هاروكي موراكامي

تسوكورو

عديم اللون وسنوات حجّه

الفصل الأول.

كل ما كان تسوكورو تازاكي يفكر به منذ شهر تموز، في سنته الثانية في الجامعة وحتى شهر كانون الثاني من السنة التي تليها هو الموت، لقد أتم العشرين خلال ذلك الوقت، لكن نقطة التحول هذه -بأن أصبح بالغاً- لم تعنِ له شيئاً، وكان المضي في الحياة هو الحل الأمثل. لكنه إلى الآن لم يستطع أن يجد تبريراً لعدم اتخاذه الخطوة الأخيرة تلك، كان اجتياز تلك العتبة بين الحياة والموت يمكن أن يكون أسهل من ابتلاع بيضة ملساء وباردة.

ربما لم ينتحر لأنه لم يستطع أن يحدد الطريقة التي تتوافق مع أحاسيسه النقية والكثيفة تجاه الموت، ولكن لم يكن للطريقة علاقة بالأمر، فلو وجد باباً يؤدي مباشرة إلى الموت لما تردد للحظة في دفعه كما لو أنه جزء من الحياة العادية. ومع ذلك، وفي جميع الأحوال لم يكن هناك باب قريب.

كان عليّ أن أموت في ذلك الحين، عندها لن يكون للعالم الذي هنا وفي هذا الوقت وجودٌ، كثيراً ما يحدّث تسوكورو نفسه بذلك. كانت فكرة آسرة وساحرة... فلم يكن ليوجد هذا العالم الحالي، ولن يبقى الواقع حقيقةً. بقدر ما كان يعنيه هذا العالم، لم يعد –ببساطة- موجوداً فيه، كما لو أن العالم لم يكن قد وُجد من أجله.

وفي ذات الوقت لم يفهم تسوكورو تازاكي تماماً لمَ وصل لهذه المرحلة، المرحلة التي كان فيها يتأرجح على حافة الهاوية. لكن هناك حادثة حقيقية قادته إلى هذا المكان الذي يعرفه جيداً، ولكن لماذا يمكن للموت أن يسيطر عليه، يطوّقه بأحضانه سنة تقريباً؟ يطوّقه (الكلمة التي تعبر عن ذلك تماماً). كما سقط يونس في بطن الحوت سقط

تسوكورو في أحشاء الموت، يومٌ وراء آخر؛ كانت أياماً لا توصف، وكان فيها ضائعاً في فراغ معتمٍ وساكن.

كأنه كان يمشي في الحياة وهو نائم، كأنه قد مات بالفعل ولم يلاحظ أحد ذلك. عندما تشرق الشمس ينظف تسوكورو أسنانه، يرمي على جسده أي ثياب يجدها بين يديه، يركب القطار ليتجه إلى الجامعة، ويدوّن الملاحظات. كمن يتمسك بعامود الإنارة بيأس أثناء العاصفة، يتشبث تسوكورو بروتينه اليومي. كان يتكلم مع الناس عند الضرورة فقط، وبعد الدراسة يعود إلى شقته المعزولة عن العالم الخارجي، يجلس على الأرض، يسند ظهره إلى الجدار، يفكر بالموت وبالإخفاقات في حياته قبل وضعه تلك الهاوية العظيمة والمظلمة التي تسرع بجذبه إلى نواة الأرض. كل ما يستطيع رؤيته هو سحابة كثيفة من اللا شيء تحوم حوله، وكل ما يمكنه سماعه هو صمت عميق يضغط على طبلة أذنه.

وعندما لا يفكر بالموت يبقى ذهنه فارغاً، ليس صعباً أن تمتنع عن التفكير. لم يكن يقرأ الصحف، ولا يسمع الموسيقى، وليست لديه رغبة جنسية. وأما الأحداث التي تحصل في الخارج فكانت بالنسبة إليه غير منطقية. وعندما يتعب من غرفته كان يتجول بلا وجهة حول الجيران أو يذهب إلى المحطة حيث يجلس على المقعد يراقب القطارات وهي تغادر وتجيء مراراً وتكراراً.

يستحم كل صباح، ويغسل شعره جيداً، يغسل ثيابه مرتين في الأسبوع. النظافة هي ركن أساسي يضاف إلى غسل الثياب والاستحمام وتنظيف الأسنان. نادراً ما ينتبه إلى ما قد تناوله، كان يتناول الغداء في كافيتيريا الجامعة، ومع هذا فإنه نادراً ما يستهلك وجبة لائقة. وعندما يشعر بالجوع يتوقف عند السوبرماركت ويشتري تفاحة أو بعض الخضار، وفي بعض الأحيان يأكل خبزاً جافاً، يذيبه مع الحليب الذي يأخذه من الصندوق مباشرة، وعندما يحين وقت النوم يتجرع زجاجة ويسكي كما لو أنها جرعة من دواء. ولحسن الحظ لم يكن يشرب

الكحول كثيراً، كان القليل منه كفيلاً بجعله يستغرق في النوم، لم يكن يحلم، وحتى إن رأى حلماً، أو ظهرت صور متخيَّلة من حواف دماغه ستوجد في اللا مكان ثم تحطّ على منحدرات وعيه الزلقة بدل أن تنزلق سريعاً و تهوي إلى الفراغ.

السبب من سيطرة الموت على تسوكورو تازاكي كان واضحاً، فيوماً ما أعلن أصدقاؤه الأربعة المقربون، أصدقاؤه الذين عرفهم منذ وقت طويل، أنهم لا يريدون رؤيته مجدداً، كان ذلك تصريحاً مفاجئاً ومضلّلاً، ولا مجال لتسوية الأمر فيه، لم يقدموا تفسيراً، ولا كلمة واحدة لهذا البيان القاسي، ولم يتجرأ تسوكورو على سؤالهم.

بدأت صداقتهم وهم في المدرسة الثانوية، وعندما تركوه غادر تسوكورو موطنه والتحق بجامعة في طوكيو، فلم يؤثر إقصاؤه تأثيراً سلبياً مباشراً في حياته الروتينية، كأن تواجهه لحظات حرجة (عندما يلتقي بهم صدفة في الشارع) لكن لم يكن ذلك إلا تشويشاً. الألم الذي شعر به مع هذا كان شديداً وقد أرهقه ذلك أكثر بسبب المسافة المادية. أصبح الاغتراب والوحدة كابلاً يمتد إلى مئات الأميال، يُسحب إلى نقطة الانهيار بواسطة رافعة عملاقة، وعبر ذلك الخيط المشدود كان يستقبل رسائل غامضة ليلاً ونهاراً، وكعاصفة تهب بين الأشجار تتفاوت هذه الرسائل في قوتها، وتصله شظايا تلدغ أذنيه.

كان الخمسةُ زملاء في مدرسة ثانوية حكومية في ضواحي ناغويا؛ ثلاثة ذكور وفتاتان. قاموا خلال العطلة الصيفية من عامهم الدراسي الأول ببعض الأعمال التطوعية معاً، وبعد ذلك أصبحوا أصدقاء، وبقوا مجموعةً متماسكة حتى بعد ذلك العام وبعد توزيعهم على صفوف مختلفة، كان العمل التطوعي الذي جمعهم جزءاً من مهمة صيفية تتعلق بدراسات اجتماعية، وبعد أن انتهت شكلوا مجموعة تطوعية تضمهم وحدهم.

كانوا إلى جانب العمل التطوعي يذهبون في نزهات، يلعبون التنس، يسبحون في شبه جزيرة تشيتا، أو يلتقون في بيت أحدهم يدرسون للامتحان، وإن لم يفعلوا ذلك فإنهم -وهذا ما يفعلونه في الغالب- يخرجون إلى مكان ما ويتحدثون لساعات.

هي صدفة خالصة ما جمعتهم، كان هناك عدة نماذج من الأعمال التطوعية عليهم أن يختاروا واحدة منها لكنهم اجتمعوا على نفس الخيار؛ برنامج إعطاء دروس خصوصية بعد انتهاء دوام المدرسة لطلاب في مراحلهم الابتدائية، أكثرهم كان ممن رفض الالتحاق بالمدرسة، كان البرنامج ينفذ بدعم من الكنيسة الكاثوليكية، ومن ضمن خمسة وثلاثين طالباً من المرحلة الثانوية كانوا قد أُختيروا هم. في البداية، شاركوا في مخيم صيفي كانت مدته ثلاثة أيام خارج ناغويا، وكانوا أصدقاء جيدين مع الأطفال.

وأياً كان وقت الاستراحة فإنهم يجتمعون معاً ويتحدثون، تعرف بعضهم على بعض جيداً، كانوا يتشاركون الحديث عن أفكارهم وعن أحلامهم وعن مشاكلهم أيضاً. وعندما ينتهي التخييم يشعر كل واحد منهم أنه كان في المكان الصحيح؛ إذ كانوا بحاجة إلى أن يرافقوا أصدقاء مثاليين. هناك إحساس فريد من الانسجام قد تطور بينهم، كل واحد يحتاج الآخر، بالتوالي، ليتشاركوا في هذا الإحساس الذي يحتاجونه، كان التقارب يشبه الحظ لكنه كان اندماجاً كيميائياً حدث بالصدفة حتماً، شيء يحدث لمرة واحدة فقط. يمكن أن تجمع نفس المواد معاً لتصنع تقديماً متماثلاً لكنك لا تستطيع أن تكرر النتيجة.

بعد انقضاء المرحلة الابتدائية، قضوا عطلتين تقريباً في الشهر في البرنامج، يعلمون الأطفال، يقرؤون لهم، يلعبون معهم، يجزون العشب، كما أنهم قد دهنوا المبنى، وأصلحوا المعدات في المكان. استمروا في هذا العمل حتى العامين اللذين تليا ذلك العام إلى أن تخرجوا في المدرسة الثانوية.

المصدر الوحيد الذي يمكن أن ينشئ التوتر بينهم هو العدد غير المتساوي، حيث تتألف مجموعتهم من ثلاثة ذكور وفتاتين، إذا شكل اثنان من الذكور وفتاتين زوجين فسيبقى واحد منهم خارج المجموعة. كل مرة يتعلق ذلك الاحتمال فوق أيديهم كغيمة صغيرة كثيفة محدبّة من الجهتين، لكن ذلك لم يحصل ولم يكن هناك أي احتمال لحدوثه.

وقد صدف أن يكون جميعهم من الضواحي، من عائلات الطبقة فوق المتوسطة، كان آباؤهم ممن ولدوا في السنوات التالية لنهاية الحرب العالمية الثانية، كلهم محترفون في عملهم، لكنهم لا يدخرون شيئاً لتعليم أبنائهم، ومع ذلك فقد كانوا هادئين ومستقرين، لا أحد من آبائهم مطلق. وأغلبهم كان يسكن في المنزل مع عائلته. تعليمهم الثانوي يقودهم إلى الدراسات الأكاديمية، وكان مجموع علاماتهم جيداً. إجمالاً كان التشابه في عاداتهم أكثر من الاختلاف.

وباستثناء تسوكورو تازاكي كان لديهم شيء صغير مشترك من قبيل الصدفة؛ إذ تحتوي أسماء عائلاتهم على لون، اسما عائلة الذكور: أكاماتسو وتعني "صنوبر أحمر"، وأومي "بحر أزرق"، واسما عائلة الفتاتين: شيراني "جذر أبيض" و كورونو "حقل أسود". أما تسوكورو فهو الوحيد الذي ليس في معنى عائلته لونٌ، وقد جعلته هذه الحقيقة منذ البداية يشعر بأنه مستثنى. إذا كان هناك لون في أحد أجزاء اسمك أو لم يكن فهذا بالتأكيد لا يؤثر في شخصيتك، فهم تسوكورو ذلك، لكن لا يزال هذا الأمر يحبطه، ويفاجئ نفسه بأن يتألم. قريباً سيدعون بعضهم بألقابهم: سينادى الذكور: أكا (أحمر) و أو (أزرق)، والفتاتين شيرو (أبيض) وكورو (أسود) وسيبقى هو تسوكورو، ما أعظمَ لو كان في اسمي لونٌ أنا أيضاً! عندها سيكون كل شيء على ما يرام. دائماً ما كان يفكر بذلك.

أكا هو الأفضل بينهم في التحصيل الدراسي، لم يكن يبدُ عليه أنه يدرس كثيراً ولكنه الآن الأول على صفه في كل المواد، لا يتفاخر

بعلاماته، وفي الغالب يبقى باحتراس في الخلف كأنه محرج من كونه ذكياً جداً، ومثلما يفعل الأشخاص قصار القامة عادة الذين لا يزيد طولهم عن نصف معدل الطول الطبيعي عندما يفكر في أمر ما -ومهما كان تافهاً- فإنه لا يتراجع، وتزعجه القوانين غير المنطقية كما يزعجه المعلمون الذين لا يظهروا مستواه المرتفع. يكره الخسارة، وإذا خسر بلعبة التنس يصبح مزاجه سيئاً، لا يفعل شيئاً، لا يغضب، وبدلاً من ذلك يصبح هادئاً بشكل غير عادي. الأربعة الآخرون يجدون مزاجهم ذا المدى القصير مسلٍّ وفي كثير من الأحيان كان يغضبه ذلك، ولكنه في النهاية يعود إلى طبيعته ويضحك معهم. والده أستاذ في كلية الاقتصاد في جامعة ناغويا.

كانت بنية أو جيدة؛ كتفان عريضان، صدر ضخم، جبين واسع، وفم كبير، وأنف مرتفع. كان لاعب هجوم في فريق الركبي، وفي سنة التخرج أصبح قائد الفريق، كان حماسياً ويتعرض باستمرار للجروح والكدمات، ليس شخصاً جدياً وليس جيداً في الدراسة، لكنه مرح، وله شعبية كبيرة بين زملائه في الصف، ينظر إلى أعين الناس مباشرة، يتحدث بصوت واضح وقويّ، له شهية مذهلة، إذ يستمتع بكل شيء أمامه، يتذكر أسماء ووجوه الناس بسرعة، ونادراً ما يتحدث بسوء عن أحد، مستمع جيد، وشخصية قيادية منذ الولادة، لم ينسَ تسوكورو كيف جمع الفريق حوله قبل المباراة ليوجه إليهم كلاماً حماسياً.

"اسمعوا". صرخ أو. "سنربح، السؤال الوحيد كيف وبكم. الخسارة ليست خياراً لنا. تسمعونني؟ الخسارة ليست خياراً".

"ليست خياراً". يصرخ الفريق قبل أن يندفعوا باتجاه الملعب.

ليس لأن الفريق المكون من طلاب الثانوية جيد، بل لأن أو ذكيٌّ ورياضيٌّ جداً، أما الفريق نفسه فليس ذا مهارة عالية، فعندما يواجه فريق المدارس الخاصة الذي يضم لاعبين من جميع أنحاء اليابان حاصلين على منح رياضية، يخسر فريق أو عادة. "المهم"، يقول

لأصدقائه "هو تصميمنا على النجاح. في الحياة الواقعية لا نستطيع أن نربح دائماً. أحياناً نربح وأحياناً نخسر".

"وأحياناً تمطر". علّقت كورو بسخرية.

هزّ أو رأسه بحزن. "أنت تخلطين بين الركبي والبيسبول أو التنس. الركبي لا يؤخره المطر".

"تلعبون حتى وهي تمطر؟". سألت شيرو متفاجئة. لا تعرف شيرو شيئاً عن أنواع الرياضة، وليس لديها اهتمام بها.

"هذا صحيح". قال أكا بجدية. "مباريات الركبي لا تلغى أبداً، مهما بلغت شدة المطر، لذلك ينضم كل سنة عدد من اللاعبين الذين يغرقون في المباريات".

"يا إلهي. هذا سيئ للغاية!". قالت شيرو.

"لا تكوني سخيفة. إنه يمزح". قالت كورو بنبرة فيها قليل من الاشمئزاز.

"إذا لا تمانع". تابَع أو "ما أريد قوله إذا كنت رياضياً فيجب أن تتعلم كيف تكون خاسراً جيداً".

"من المؤكد أنك تتدرب كثيراً كل يوم". قالت كورو.

شيرو طويلة ونحيلة، جسمها مثل عارضات الأزياء، وملامحها جميلة كملامح الدمى اليابانية التقليدية. شعرها طويل أسود لامعٌ وحريريّ. كل من يراها في الطريق يدير وجهه ليراها مرة أخرى، لكنها ترى جمالها محرِجاً. ذات شخصية جدية، وهي قبل كل شيء لا تحب أن تلفت الأنظار إليها، عازفة بيانو رائعة وماهرة، لذلك لا تعزف لأحد لا تعرفه، تبدو فرحة أثناء تعليمها البيانو للأطفال في الحصص الإضافية، وخلال تلك الدروس تظهر مرتاحة بشكل كامل وبدرجة أكبر من الأوقات الأخرى التي يراها فيها تسوكورو. يمكن أن يكون العديد من الأطفال غير جيدين في الواجبات المدرسية الاعتيادية، قالت شيرو، لكن لديهم

موهبة طبيعية في الموسيقى وسيكون من المخجل عدم تطوير تلك الموهبة لديهم. في المدرسة بيانو تقليدي قديم، أنتيكي أعتقد، ولذلك بدأ الخمسة بحملةٍ لجمع التبرعات لشراء بيانو جديد، عملوا بدوام جزئي خلال العطلة الصيفية، وأقنعوا الشركة التي تصنع الآلات الموسيقية لتساعدهم، وفي الربيع في عامهم الدراسي الأخير لاقى جهدهم ثمارَه أخيراً فقد اشتروا للمدرسة بيانو كبير، واستقطبت حملتُهم أنظار الناس، وبرزت في الصحف أيضاً.

كانت شيرو هادئة لكنها تحب الحيوانات كثيراً، فعندما ينحو موضوع الحديث إلى الكلاب والقطط يضيء وجهها وتتدفق الكلمات من فمها بسرعة. أحلامها ستكون أحلام طبيبة بيطريّة، لذا لم يكن تسوكورو يستطيع أن يتخيلها وهي تمسك مشرطاً وتشرّح بطن كلب اللابرادور، أو تلمس فتحة شرج الحصان. إذا كانت تريد أن تذهب إلى مدرسة بيطرية فتلك هي التدريبات التي يجب أن تقوم بها. فتح والدها عيادة للأمراض النسائية والتوليد في ناغويا.

أما كورو فلم تكن جميلة، لكن لديها شغف، جذابة، وفضولية دائماً، عظامها طويلة، وجسدها ممتلئ، وصدرها ممتلئ منذ أن بلغت سن السادسة عشرة، ذات شخصية مستقلة، وجافة، وعقلها سريع مثل لسانها، تسترسل في المواضيع التي تتعلق بالعلوم الإنسانية، لكنها ميؤوس منها في الرياضيات والفيزياء. فتح والدها شركة محاسبة في ناغويا، ولكن لم يكن ذلك يساعدها، كان تسوكورو معظم الأوقات يساعدها في حل واجباتها في مادة الرياضيات، كانت ساخرة ولكن لديها حس فكاهيّ منعش ومميز، فيجد الحديث معها ممتع ومحفّز، هي قارئة عظيمة أيضاً، ودائماً تحمل الكتاب تحت ذراعها.

كانت شيرو وكورو في نفس الصف في المدرسة الأساسية وتعرفتا على بعضهما جيداً حتى قبل أن تكتمل المجموعة، رؤيتما معاً كان

مشهداً رائعاً؛ مزيجاً فريداً وساحراً من فنانة جميلة وخجولة، وفتاة فكاهية ذكية ومتهكمة.

تسوكورو تازكي هو الوحيد في المجموعة الذي ليس لديه شيء مميز، درجاته أعلى بقليل من المتوسط، لم يكن مهتماً بالأساتذة بشكل خاص، لذلك كان يركز انتباهه كثيراً أثناء الدرس، ويتأكد دائماً أن يقوم بالحد الأدنى من المشاركة وبالمراجعة المطلوبة ليحصل على الدرجات. منذ كان صغيراً كانت هذه هوايته، لا تختلف عن غسل يديك قبل الأكل وتنظيف أسنانك بعد الطعام، ومع أن علامته ليست ممتازة لكنه دائماً ينجح بسهولة، وحتى لو بقيت علاماته مرتفعة لا يميل والداه إلى مضايقتك ليلتحق بمدارس الجوكو، أو ليتابع دروسه مع مدرس خصوصيّ.

لا يمانع أن يمارس الرياضات لكنه ليس مهتماً بما فيه الكفاية لينضم إلى فريق، يلعب التنس مرات متقطعة مع عائلته أو أصدقائه، أو يتزلج أو يسبح من وقت لآخر. هذا كل شيء. كان شكله جميلاً جداً، حتى إن الناس يقولون له ذلك، لكنهم في الحقيقة كانوا يعنون أنه ليس لديه أية عيوب يمكن الحديث عنها. أحياناً عندما ينظر إلى وجهه في المرآة يكتشف فيه مللاً لا يطاق. ليس لديه اهتمام عميق بالفن، ليست لديه هواية أو مهارة مميزة. وكان مع ذلك قليل الكلام، يحمر وجهه بسرعة، ليس اجتماعياً، ولا يشعر بالراحة إذا أحاط به أشخاص يقابلهم لأول مرة.

إذا اضطر أن يخبر عن الأشياء المميزة لديه سيلاحظون أن عائلته هي الأكثر ثراء بين عائلات الخمس، وسيلاحظون أن خالته ممثلة، ليست نجمة ولكنها تعدُّ معروفة، لكن عندما يختص الأمر بتسوكورو شخصياً فسيتبين أنه لا يملك ميزة واحدة ليتفاخر ويتباهى بها أمام الآخرين، على الأقل هكذا يظهر. كل شيء يتعلق به متوسط، شاحب، يفتقر إلى اللون.

كان الاهتمام الحقيقي الوحيد لديه هو محطات القطار، لم يكن واثقاً من السبب، لكن حسب ما يذكر كان يحب مراقبتها، إنها تناديه دائماً. محطات ضخمة للقطار السريع: محطات باتجاه واحد خارج الريف، محطات الشحن الأولية ولم يكن مهماً ما هو نوعها ما دامت محطات سكك حديد، كل ما يتعلق بالمحطات يثير اهتمامه بشكل عميق.

وكمعظم الأطفال يستمتع بتجميع قطع القطارات، ولكن لم تكن القاطرات الدقيقة، أو السيارات، أو السكك المتقاطعة بطريقة معقدة، أو الديوراما المصممة بطريقة ذكية ما يغريه، ما كان يغريه هو تصاميم المحطات العادية التي توضع تحت الأجزاء الأخرى، كالكلمات المعترضة. كان يحب مراقبة القطارات وهي تمر بالمحطة، أو عندما تخفف من سرعتها عندما تصل إلى رصيف المحطة، يستطيع أن يتخيل المسافرين قادمين ومغادرين، البلاغات من نظام مكبر الصوت أيضاً، رنين الإشارة عندما يستعد القطار للمغادرة، وعندما يذهب موظفو المحطة بخفة لأعمالهم. ما هو حقيقي وما هو خيالي يختلط في عقله، ويرتعش أحياناً... مستمتعاً بكل هذا. لم يكن يفسر للناس بشكل كاف عن سبب انجذابه إلى المحطات، وإن استطاع فإنه كان يدري أنهم سيظنون أنه طفل غريب. وأحياناً كان تسوكورو نفسه يشك أن هناك شيئاً ليس صحيحاً تماماً يحصل معه.

لذلك فقد كان يفتقد الشخصية اللافتة، أو المميزات التي تجعله بارزاً، وعلى الرغم من ذلك فقد كان يتطلع دائماً إلى ما هو معتدل، منتصف الطريق، هناك شيء أو (ربما) هناك شيء فيه ليس طبيعياً تماماً، شيء يفصله عنه. بقي هذا التناقض يربكه ويشوشه طوال مرحلة الشباب حتى الآن، وقد أصبح بسن السادسة والثلاثين. أحياناً يكون الارتباك قصيراً ولا قيمة له، وأحياناً عميقاً وثقيلاً.

يفكر تسوكورو أحياناً في سبب انضمامه لمجموعتهم. هل يحتاجه الآخرون حقاً؟ ألم يكونوا سيشعرون بالراحة وسيقضون وقتاً أفضل

دونـه؟ ربـما لـم يـدركـوا ذلـك إلـى الآن وهـي مـسألـة وقـت فحسب قبل أن يـتركوه؟ كلما تـأملَّ تلك الـمشكلة قلَّ استيعابـه لـها. الـمحاولـة فـي إبـراز قيمته أمـام أصدقـائـه كمحاولـة وزن شـيء ليس لـديـه قيمـةَ وحـدة. الإبـرة في الميزان لا تستقر على رقم.

ولكن لم يبدُ أن إحدى هذه المخاوف قد أزعجت الأربعة البقية، كان تـسوكـورو يـرى أنـهم يـرغبون فـي ذلـك بـصدق.. عنـدمـا يـجتمعون مـعا كالبنتاغون متساوي الأضلاع حيث كل الأطراف لها ذات الامتداد. تكوين المجموعة كـان مصمماً على أن يتألف من خمسة أشخاص بـالضبط لا أكثر ولا أقل، وكانوا يعتقدون أن ذلك صحيح.

وبـطبيعة الـحال كـان تـسوكـورو فرحـاً وفـخوراً بـأنـه قد انـضم إلـيه طرفًا لا غنى عنه من أطراف البنتاغون، أحب أصدقاءه الأربعة وأحب شعور الانتماء عندما يكون معهم، وكشجرة صغيرة تمتص غذاءها من التربة كان تسوكورو يأخذ قوتـه الذي يحتاجه (كالمراهق) من هذه المجموعة، يستخدمها كغذاء ضروري للنمو، ويخزن البـاقي في داخلـه كمصدر طاقة في الحالات الطارئـة. ومع ذلك فقد كان لديه خوف مزعج ومستمر من أنـه في يوم مـا سيسقط بعيداً عن هذا المجتمع، القريب إلى قـلبه، أو سـيجبر عـلى الخـروج مـنـه ويُـترك بـمفرده. رفـع الـقلق يـده كصخـرة ذات أطـراف حـادة مـنذرة بـالـشؤم تتكشف عند انـحسار الـمد... عند الـخوف مـن فـصله عـن الـمجموعـة، وأن ينتهـي بـه الأمـر إلـى أن يصبح وحيداً تماماً.

"إذن أنـت تـحب محطات سكك الحديد منذ كنت صغيراً". سألتـه سارة كيموتو، ويبدو أنـها متأثرة.

أومـأ تـسوكـورو بحذر. آخـر شـيء لا يـريـدهـا أن تـفكر فـيه هـو أن يكون من أولئك المهووسين بالأوتاكو الذين عرفهم في قسم الهندسة في العمل، ذلك النوع الذي يستغرق في العمل حتى يصبح كل حياتـه. كـانـت

الطريقة التي يتم فيها الحوار تجعلها تنتهي إلى التفكير فحسب. "هذا صحيح". اعترفَ. "أحب المحطات منذ طفولتي".

"قادك ذلك إلى حياة متناغمة". قالت ويبدو عليها أنها مستمتعة بالحديث، ولم يكتشف تسوكورو أية سلبية في صوتها.

"لماذا المحطات لا أعرف".

ابتسمت سارة. "لا بد أن تكون مهنتك".

"ربما". قال تسوكورو.

كيف انتهينا إلى الحديث عن هذا الأمر؟ تساءل تسوكورو. لقد حصل هذا منذ زمن بعيد وكان من الأفضل أن يمسحه من الذاكرة. لكن سارة لسبب ما أرادت أن تعرف عن أيامه في المدرسة الثانوية، من أي نوع من الطلاب كان؟ ماذا كان يفعل في ذلك الحين؟ ولكن قبل أن يعرف ذلك توجه إلى الحديث بلا انقطاع عن مجموعة الأصدقاء الخمسة المقربين؛ الأشخاص الأربعة الذين لهم لون، وتسوكورو تازاكي عديم اللون.

كانت سارة وتسوكورو داخل بار في إحدى ضواحي إبيسو. ذهبا إلى مطعم صغيرعلى الطراز الياباني كانت سارة تعرفه، ولأنها تناولت الغداء في وقت متأخر ولم تكن تشعر بالجوع بعد أن ألغيا الطلب وخرجا ليشربا الكوكتيل. لم يكن تسوكورو يشعر بالجوع أيضاً ولم يمانع أن يتجاوز العشاء، لم يكن يأكل كثيراً في الأصل، كان يستطيع أن يطلب جبنة ومكسرات من الحانة.

كانت سارة أكبر من تسوكورو بسنتين وتعمل في شركة سياحية كبيرة، مختصة بالرحلات الخارجية وتسافر في رحلات عمل كثيرة في الخارج. يعمل تسوكورو (في مهنته) في شركة محطات سكك الحديد، في القسم الذي يشرف على تصميم محطات القطار، في الجزء الغربي من منطقة كانتو التي تحيط بطوكيو. وعلى الرغم من عدم وجود اتصال

مباشر بين عمليهما، فقد كانت هناك نقطة مشتركة بينهما، إذ إنهما يعملان في مجال يتعلق بوسائل النقل. لقد تقابلا في حفلة لرئيسه، بمناسبة الانتهاء من بناء بيته الجديد، حيث تبادلا عناوين البريد الالكتروني. كان ذلك موعدهما الرابع. فبعد العشاء في الموعد الثالث -كتقدم طبيعيّ في الأحداث- عادا إلى شقته ومارسا الحب. أما اليوم فهو من الأسبوع الذي تلا ذلك، مرحلة حساسة في علاقتهما المتطورة، وإذا استمرا في رؤية بعضهما بعد ذلك فبالتأكيد ستصبح الأمور أكثر جدية. يبلغ تسوكورو ستًا وثلاثين سنة، وتبلغ سارة ثماني وثلاثين سنة، لم يكن حباً طائشاً بين طالبة وطالب في المرحلة الثانوية.

أحب تسوكورو شكلها منذ المرة الأولى الذي تقابلا فيها. لم يكن جمالها مثاليّاً، لكن العظام البارزة في وجنتيها أضفت على شكلها تماسكاً، أنفها صغير ودقيق، لكن هناك شيء قاتل وحيّ من الصعب تحديده في وجهها قد خطف أنظاره. عيناها ضيقتان ولكن عندما تنظر إلى شيء فإنهما تتسعان فجأة، غامقتين، وجريئتين، ومليئتين بالفضول.

لم يكن على وعي بهما، لكن كان في جسده جزء حساس جداً، يمتد على طول ظهره. كانت هذه المنطقة الناعمة الرقيقة التي لم يستطع الوصول إليها قد غُلّفت بشيء لا يرى بالعين المجردة، ولكن عندما تصبح هذه البقعة مكشوفة -لسبب ما- أو عندما يضغط أحدهم بإصبعه عليها فإن شيئاً ما داخله يُثار. مادة مميزة تُفرز، وبسرعة تنقل في مجرى دمه إلى كل زاوية في جسمه، هذا المنبّه المميز عبارةٌ عن إحساس جسدي وعقلي يصنعان صوراً حية في عقله.

في المرة الأولى التي التقيا فيها أحسَّ أنّ إصبعاً غامضاً قد ضغط بقوة على المنطقة المثارة في ظهره، في ذلك اليوم أخذهما الحديث لوقت طويل ولذلك لم يتذكر الكثير مما دار بينهما، ما تذكره هو ذلك الإحساس الذي في ظهره، والشعور المثير الذي يجهل تحديد الطريقة

التي وصل بها إلى عقله وجسده، جزء منه مسترخٍ والجزء الآخر مشدود. هكذا كان يشعر. لكن ماذا يعني؟ فكر تسوكورو في ذلك عدة أيام لكنه لم يكن بطبيعة الحال ماهراً في التفكير المجرد، فلم يكن منه إلا أن أرسل إلى سارة بريدًا إلكترونيا ودعاها للعشاء، كان مصمماً أن يستوضح معنى ذلك الشعور، تلك الاستثارة.

مثلما كان يعجبه مظهر سارة كانت تعجبه أيضاً طريقتها في اختيار الملابس. ملابسها عادية دائماً ومغرية لكنها جميلة وتناسبها تماماً، يتصور تسوكورو أن الملابس التي تبدو عادية تأخذ وقتاً طويلاً دون شك في اختيارها ولا يكون سعرها منخفضاً بالمقابل. مكياجها متوسط، وإكسسواراتها متوسطة القيمة وكأنها قد صُقِلتْ للتو. لم يكن لتسوكورو ذوقاً معيناً في الملابس لكنه يحب أن يرى المرأة أنيقة دائماً، كاستمتاعه بسماع الموسيقى الجميلة.

تحب أختاه الكبيرتان الملابس، كانتا وهما في مقتبل عمرهما عندما تريدان أن تخرجا في موعد تمسكان بتسكورو أولاً وتأخذا رأيه في الثياب، لم يكن واثقاً من السبب ولكنهما كانتا جادتين في ذلك. ما رأيك؟ تسألانه. هل تتناسب مع بعضها؟ ثم يعطي رأيه بصراحة من وجهة نظر ذكورية، وتحترما رأيه، وكان يجعله ذلك سعيداً، حتى أصبحت عادة.

عندما أخذ تسوكورو رشفة من الخمر ضعيف التأثير عرّى سارة ذهنياً، حلّ ظهر فستانها، وبهدوء أزال الثياب عنها. كان قد نام معها مرة واحدة، ولكن كان ذلك رائعاً وقد حقق النتيجة المرغوبة، فسواء كانت ترتدي ثيابها أو كانت عارية في الحالتين كانت تبدو أصغر بخمس سنوات، ببشرة بيضاء صافية وخصر جميل، وصدر ذو حجم معتدل... لاطفها ببطء، وعانقها. كان ذلك هائلاً. وعندما جاء أحسّ بسلام وهي بين أحضانه. ولكن لم يكن ذلك كل شيء، كان على يقين تام أن هناك

شيئاً آخر، ممارسة الحب هي رابط... اتصال... بين شخصين. تأخذ شيئاً وعليك أن تعطي شيئاً بالمقابل.

"كيف كانت أيامكِ في مدرستك الثانوية؟". سأل تسوكورو.

هزت سارة رأسها. "لا أريد الحديث عنها. لقد كانت مملة للغاية، سأخبرك عنها في وقت لاحق، ولكني الآن أريد الاستماع إليك. ماذا حصل لمجموعتك من الأصدقاء الخمسة؟".

أخذ تسوكورو حفنة من المكسرات ورماها في فمه.

"كانت لدينا قوانين غير معلنة بيننا، وبقدر ما نستطيع كنا نفعل أشياء مشتركة. كنا نحاول أن لا يخرج اثنان من المجموعة إلى مكان ما دون البقية، كنا نخاف أن تنقسم المجموعة، كنا نحاول أن نبقى وحدة متكاملة، لا أعرف كيف أعبر عن ذلك، أن نبقيها مجموعة منظمة ومنسجمة".

"مجموعة متكاملة ومنسجمة؟". ظهرت مفاجأة حقيقية على وجهها.

احمرَّ وجه تسوكورو قليلاً. "كنا في المرحلة الثانوية ولدينا جميع الأنواع الغريبة من الأفكار".

نظرت سارة إلى تسوكورو باهتمام ، وأمالت رأسها درجة أو درجتين. "لا أجد ذلك غريباً، لكن ما الهدف من المجموعة تلك؟".

الهدف الأصلي كما قلت للمساعدة في برنامج ما بعد المدرسة حيث نتقابل ونشعر بدافع تجاه ذلك، إذ يبقى هدفاً مشتركاً مهماً، ومع مرور الوقت أصبح وجود مجموعتنا ببساطة من أهدافنا أيضاً.

"تعني أن الحفاظ على المجموعة ذاتها واستمراريتها أصبحا من أهدافكم؟".

"أعتقد ذلك".

ضيقت سارة عينيها حتى أصبحتا خطاً مشدوداً. "كالعالَم تماماً".

"لا أعرف كثيراً عن العالم". قال تسوكورو. "ولكن بالنسبة إلينا كان ذلك مهماً جدًا. كان يجب أن نحافظ على الكيمياء الخاصة التي تتطور بيننا. كإبقاء عود الثقاب مشتعلاً، ومنعه من الانطفاء عند هبوب الرياح".

"كيمياء؟".

"الطاقة التي وُجدت لتنمو في ذلك الزمن، شيءٌ لا يمكن أن يُستنسخ".

"كالانفجار العظيم؟".

"لست متأكداً من هذا". قال تسكورو.

أخذت سارة رشفة من الموخيتو، ثم تفحصت ورقة النعنع من زوايا متعددة.

"ذهبتُ إلى مدارس خاصة للإناث". قالت. "لذلك لم أفهم جيداً تلك الأنواع من المجموعات المختلطة في المدارس الحكومية، لا أستطيع تصور شكلها... بدل أن تحافظوا أنتم الخمسة على المجموعة من الانقسام، حاولتَ أنت بقدر ما تستطيع أن تكون متقشفاً. هل هكذا كان الأمر؟".

"متقشف؟ لست متأكد أنها الكلمة الصحيحة، لم يكن شيئاً دراميتيكياً. ولكنه صحيح فيما يتعلق بأننا كنا حريصين في مجموعتنا على أن لا ندخل بعلاقات مع النوع الآخر".

"لكنك لم تضع ذلك في كلمات". قالت سارة.

أومأ تسوكورو. "لم نصرح بذلك. كأن نكون قد وضعنا قوانين أو شيئا".

"ماذا عنك؟ كنت تبقى معهم طوال الوقت ألم تنجذب إلى شيرو أو كورو؟ فحسبما قلت إنهما تبدوان جذابتين جداً".

"كانت لكلا الفتاتين جاذبية خاصة. أكذب إن قلت أنني لم أنجذب إليهما، ولكني حاولت قدر المستطاع ألا أفكر بهما بتلك الطريقة".

"قدر المستطاع؟".

"قدر المستطاع". قال تسوكورو. شعر أن وجنتيه صبغتا بالأحمر من جديد. "عندما لا أكف عن التفكير بهما أحاول دائماً أن أفكر بهما كزوج".

"الاثنتان كزوج؟".

توقف تسوكورو عن الكلام محاولاً أن يجد الكلمات الصحيحة. "لا أستطيع شرح ذلك حقاً، كنت أنظر إليهما على أنهما كائنات خيالية، كائنات مجردة ليس لها شكل".

"ممم". بدت سارة متأثرة، فكرت في ذلك، بدا أنها تريد أن تقول شيئاً، ولكنها أخذت تفكر جيداً بما ستقوله، وبعد قليل تكلمت.

"إذن بعد أن تخرجت من المدرسة التحقت بجامعة في طوكيو وتركت ناغويا. أليس كذلك؟".

"هذا صحيح". قال تسوكورو. "أعيش في طوكيو منذ ذلك الحين".

"ماذا عن الأربعة الآخرين؟".

"التحقوا بكليات في منطقة ناغويا. درس أكا في قسم الاقتصاد في جامعة ناغويا، في القسم الذي كان يدرّس فيه والده. التحقت كورو بكلية خاصة للإناث واشتهرت بقسم اللغة الإنجليزية، في حين التحق أو بمدرسة متخصصة بإدارة الأعمال بكلية خاصة، ينتمي إليها فريق ركبي معروفٌ بما يمتلكه من قدرات رياضية هائلة. وأما شيرو فاقنعت أخيراً

بإلغاء فكرة أن تصبح طبيبة بيطرية، وبدلاً من ذلك درست البيانو في مدرسة للموسيقى، كانت المدارس الأربعة قريبة من مكان سكنهم، وأنا الوحيد الذي ذهبتُ إلى طوكيو بحالتي تلك وسجلت في كلية الهندسة".

"لماذا قررت أن تذهب إلى طوكيو؟".

"لسبب يسير جداً، كان أستاذ في جامعتي خبيرًا ببناء محطات سكك الحديد. بناء سكك الحديد هو تَخصصٌ، لديهم مبنى مختلف عن باقي الكليات، فإذا التحقت بكلية الهندسة الأساسية ودرست البناء والهندسة لن يكون هناك فائدة عمليّة. فأنا بحاجة إلى أن أدرس مجالاً متخصصاً".

"أن تكون لديك أهداف محددة وواضحة ذلك يجعل الحياة أكثر سهولة". قالت سارة.

وافق تسوكورو.

"فإذاً بقي الأربعة الآخرون في ناغويا لأنهم لم يريدوا لهذه المجموعة أن تتفكك؟".

"عندما اقتربنا من سنة التخرج تحدثنا عن الكليات التي نريد الدراسة فيها، لقد خططوا أن يبقوا في ناغويا ويدرسوا هناك، إلا أنا لم أكن أريد ذلك. لم يأتوا ويقولوا ذلك بالضبط ، لكن كان واضحاً أنهم سيفعلون ذلك لأنهم لا يريدون أن ينقسم أحد عن المجموعة".

يستطيع أكا بمعدله التراكمي أن يلتحق بأفضل الجامعات مثل جامعة طوكيو، وأقنعه والداه أن يحاول، ويستطيع أو بمهاراته أن يكسب مقعداً بجامعة مشهورة أيضاً، وكانت شخصية كورو مناسبة تماماً للحياة المعقدة المحفزة لعقلها التي قد تجدها في بيئة عالمية، ولذلك كان يجب أن تلتحق بواحدة من الجامعات الخاصة في طوكيو. ناغويا مدينة كبيرة بالتأكيد لكن ثقافياً كانت ذات أفق تفكير ضيق. وفي النهاية قرر أربعتهم البقاء في ناغويا، تثبتوا في مدارس أقل مستوى من التي كان يجب أن

يلتحقوا بها. شيرو هي الوحيدة التي لم تكن لتغادر ناغويا حتى لو لم تكن المجموعة موجودة. لم تكن من النوع الذي يغامر وحده ليبحث عن بيئة محفزة في الخارج.

"عندما سألوني عن مخططاتي" قال تسوكورو. "أخبرتهم أنني لم أخطط بعد، لكنني كنت قد قررت أن ألتحق بالجامعة في طوكيو. أعني إذا أردت أن أبقى مقترباً من ناغويا وأدرس -دون قلب- في إحدى الكليات العادية كنت سأنجح في ذلك، إذا كان يعني ذلك أن عليّ أن أبقى قريباً منهم. سيكون ذلك سهلاً وفي العديد من الطرق وكان هذا ما تأمل به عائلتي في الحقيقة. كانوا متوقعين تقريباً أنني بعد أن أنهي دراستي الجامعية أن آخذ محل أبي في الشركة، ولكني كنت أعرف أنني إذا لم أذهب إلى طوكيو سأرفض ذلك. كنت أشعر أنه يجب أن أدرس تحت يدي ذلك الأستاذ الجامعي فحسب".

"هذا منطقي". قالت سارة. "وبعد أن قررت الذهاب إلى طوكيو كيف استقبل الآخرون الخبر؟".

"لا أعرف كيف شعروا بالضبط تجاهه، بالتأكيد، لكني كنت واثقاً جداً أنهم شعروا بخيبة أمل. إذا لم أكن موجوداً في المعادلة سيغيب جزء من معنى الوحدة التي كنا نحملها فينا على الدوام، حتماً".

"الكيمياء أيضاً".

"لقد تغيرت إلى شكل آخر، إلى حد ما".

والآن وبعد أن أدرك أصدقاؤه كم كان تسوكورو مصمماً على الذهاب لم يحاول أحد إيقافه، بل لقد شجعوه في الواقع. تأخذ الطريق من طوكيو ساعة ونصف بالقطار السريع. يستطيع أن يأتي بأي وقت، صحيح؟ وعلى أية حال لا شيء مضمون في جامعتك (خيارك الأول)، قالوا نصف مازحين. النجاح في امتحان القبول في تلك الجامعة يعني أن على تسوكورو أن يشمّر عن ساعديه ويدرس كما لم يدرس من قبل.

"وماذا حصل لمجموعتكم بعد أن تخرج الجميع في الثانوية؟". سألت سارة.

"في البدء كل شيء كان يسير بشكل جيد، كنت أرجع إلى ناغويا في العطل المدرسية، عطلة الربيع والخريف، والعطلة الصيفية، وفي رأس السنة، وأقضي أكبر وقت ممكن معهم. كنا مقربين كما دائماً وكانت تتقدم علاقتنا بشكل جيد".

عندما يرجع إلى بيته يكون هناك العديد من الأشياء التي يخوض فيها تسوكورو مع أصدقائه. وبعد أن يغادر ناغويا يستمر الأربعة في قضاء الوقت معاً، لكن عندما يعود إلى المدينة فإنهم يعودون مجموعة متكاملة من خمسة أشخاص (مع أن هناك أوقات بالتأكيد يكون بعضهم مشغولاً فيجتمع ثلاثة أو أربعة منهم). يعيده الأربعة إلى الإطار وكأنه لم يكن هناك فجوة زمنية، أو على الأقل لم يكن هناك -حسب ما اكتشف تسوكورو- تغيرٌ حادٌ في المزاج، ليس هناك مسافة غير مرئية بينهم وهذا ما جعله سعيداً جداً، وما جعله لا يبالي في عدم مصادقته أحداً في طوكيو.

ضيّقت سارة عينيها ونظرت إليه. "لم تحظَ ولا بصديق واحد في طوكيو؟".

"لا أعلم لماذا، لكني لم أستطع فحسب". قال تسوكورو. "أعتقد أني في الأساس لست اجتماعياً بما فيه الكفاية، لكن لا تأخذي فكرة سيئة عني، فأنا لست منغلقاً أو شيء ما، كانت هذه هي المرة الأولى التي أعيش فيها وحدي، ولي الحرية أن أفعل أي شيء أرغب به، كنت أستمتع بوقتي، خطوط سكك الحديد في طوكيو مثل الشبكة، منتشرةٌ على كامل المدينة، بمحطات لا معدودة، مجرد النظر إليها كان يأخذ الكثير من الوقت، كنت أذهب إلى محطات مختلفة أدقق في كيفية تصميمها، أرسم بعض المخططات، أسجل أي شيء مميز ألاحظه".

"يبدو مثل المرح". قالت سارة.

لم تكن الجامعة بحد ذاتها ممتعة، معظم مساقاته في البداية كانت مواداً تعليمية عامة، غير ملهمة، مملة بشكل تفقد فيه شعورك تجاه أي شيء، ولكنه اجتهد ليلتحق بالكلية، فكان يحاول أن لا يتغيب عن أية حصة. درس الألمانية والفرنسية، حتى إنه سجل في مختبر اللغات لممارسة الانجليزية. اكتشف بشكل مفاجئ أنه بارع في تعلم اللغات، وإلى الآن لم ينجذب إلى أحد، بالمقابلة مع مجموعة أصدقاء الثانوية ذوي اللون والمحفزين، كلٌّ شخص سواهم بدا فاتراً ومملاً ومبتذلاً. لم يقابل أحداً كان يشعر أنه يريد أن يعرف عنه الكثير، لذلك قضى الوقت في طوكيو وحيداً، ولكن -من ناحية إيجابية- كان على الدوام يقرأ أكثر من أي وقت مضى.

"ألم تشعر بالوحدة؟". سألت سارة.

"لقد شعرت بأنني وحيد لكن ليس تماماً، أعتقد أنني اعتبرت ذلك منحة".

كان شاباً صغيراً، ولم يزل في العالم الكثيرُ الذي لا يعرفه، وكانت طوكيو مكاناً جديداً عليه، مختلفة تماماً عن البيئة التي تربى فيها، وكانت تلك الاختلافات أعظم مما كان يتوقع. حجم المدينة ساحق، تنوع الحياة هناك استثنائيّ، هناك الكثير من الخيارات، الطريقة التي يتحدث الناس فيها أذهلته لغرابتها، وخطى الحياة سريعة. لم يستطع أن يحقق توازناً بين العالم حوله ونفسه، لكن لا يزال هناك مكان يرجع إليه، كان يعرف ذلك. يركب القطار السريع من محطة طوكيو وبساعة ونصف سيصل إلى مكان منظم ومتناغم ودافئ؛ حيث يمضي الوقت بسلام، وبشوق ينتظره أصدقاؤه الذين يأتمنهم على أسراره.

"ماذا عن الآن؟". سألت سارة. "هل تشعر بأنك تحافظ على توازن جيد بينك والعالم حولك؟".

"لقد مضى عليّ وأنا في هذه الشركة أربع عشرة سنة. العمل جيد، وأستمتع به. أنسجم مع زملائي. ولقد أقمت علاقات مع بعض النساء لم تؤل إلى شيء، وكان هناك أسباب كثيرة لذلك. لم يكن خطئي وحدي".

"وأنت الآن وحدك ولست وحيداً".

كان الوقت مبكراً وهما الزبونان الوحيدان في الحانة، وتُسمع موسيقى جاز لثلاثة عازفين خلفهما.

"أفترض ذلك". قال تسوكورو بعد قليل من حيرة.

"لكن لا تستطيع أن تعود الآن؟ إلى ذلك المكان المنظم والمتناغم والدافئ؟".

لقد فكر في ذلك، لذلك لم يكن هناك حاجة للتفكير. "ذلك المكان لم يعد موجوداً". قال بهدوء.

لقد اختفى المكان تماماً وكان ذلك في العطلة الصيفية من سنته الثانية في الجامعة.

الفصل الثاني

كان قد حصل هذا التغير القاسي خلال عطلته الصيفية، بين الفصل الأول والثاني من سنته الثانية في الجامعة، بعدها تغيرت حياة تسوكورو تازاكي إلى الأبد، مثل قمة جبل كبيرة قسّمت الحياة النباتية الأصلية إلى منطقتين.

وكالعادة، عندما بدأت إجازة تسوكورو تازاكي بدأ يجمع أغراضه -مع أنها ليست كثيرة جدا ليبدأ بجمعها- ثم ركب القطار السريع ليعود إلى مسكنه، وبعد أن انهى الزيارة القصيرة مع عائلته في ناغويا اتصل بأصدقائه دون أن يجيبه أحد منهم، وأُخبرَ أن الأربعة جميعاً في الخارج... فتوقع أنهم خرجوا معا إلى مكان ما. ترك لهم رسالة مع أحد أفراد عائلاتهم ثم ذهب إلى مركز المدينة، نحو قاعة السينما الواقعة في السوق ليشاهد فيلماً، وليقتل الوقت، وإن لم يكن يريد هذا الفيلم تحديداً، وعندما رجع إلى البيت تناول الغداء مع عائلته، ثم أعاد الاتصال بأصدقائه، ولكن لا أحد قد أجاب على اتصالاته.

في صباح اليوم التالي، عاود الاتصال وكانت النتيجة نفسها (كانوا في الخارج)، ترك لهم رسالة أخرى "أرجوكم، دعوهم يتصلون بي حالما يرجعون"، ووعدوه بأن يوصلوا الرسالة، ولكن شيئاً ما في صوتهم قد أزعجه، لم يلاحظه في المرة الأولى، أما هذه المرة فقد أحس بشيء مختلفٍ تماماً، كأنهم لسبب ما يحاولون إبقاءه بعيداً، ويريدون أن تنتهي المكالمة معه بأسرع وقت. كانت أخت شيرو الكبرى خاصة جافة وفظة، لكنه كان يبقى معها طويلاً، كانت أكبر من شيرو بسنتين، ورغم أنها ليست فاتنة مثل شيرو كانت تعد امرأة جميلة، كانت تقول له نكاتٍ عندما يتصل، وحتى إن لم تتبادل النكات معه فإنها تحييه بود، أما الآن فإنها تنهي المكالمة سريعاً كأنها تنتظر بفارغ الصبر أن ينتهي الكلام.

بعد أن اتصل تسوكورو بهم جميعاً أحس بأنه منبوذ وكأنه يحمل بعض الفيروسات الخبيثة ليبدأ الجميع بتجنبه.

حتماً هناك شيء ما قد حصل، شيء قد حدث حين كان بعيداً عنهم ليضعوا تلك المسافة، شيء غير مناسب، شيء مهين. ولكن ما هو؟ ماذا يمكن أن يكون؟ لم يكن لديه أية فكرة.

أصبح يشعر بغصة من شيء لم يكن يجب عليه أن يبتلعه، لم يستطع أن يبصقه أو حتى يستوعبه. بقي ذلك اليوم حبيس شقته منتظراً أن يرن الهاتف، كان رأسه مشوشاً ولم يكن قادراً على التركيز، وقد توقف عن إرسال رسائل إلى عائلاتهم تخبرهم أنه في ناغويا، إنهم في العادة يعاودون الاتصال به ويرحبون به، ولكن ليس كهذه المرة التي أصر الهاتف فيها أن يبقى صامتاً.

فكر تسوكور أن يتصل بهم مجدداً في المساء، ولكن قرر أن لا يفعل ذلك، ربما الجميع في منازلهم ولا يريدون أن يجيبوا على اتصالاتي وبدلاً من ذلك يدّعون أنهم في الخارج، وربما أوصوا عائلاتهم. " إذا اتصل تسوكورو تازاكي أخبروه أنني لست هنا"، وهذا ما يوضح لماذا تبدو أصواتهم مضطربة.

ولكن لماذا؟

لم يستطع أن يتصور أي سبب، كانت آخر مرة يجتمعون الخمسة فيها معا في بداية أيّار في عطلة (الأسبوع الذهبي)، عندما عاد تسوكورو بالقطار إلى طوكيو وجاؤوا جميعاً إلى المحطة ليودعوه، كانوا يلوحون له بأيديهم بحماس وبمودة عندما ابتعد القطار، وكان ينظر إليهم من خلال النافذة مثل جندي يبحر إلى نهاية الأرض.

كتب تسوكورو بعد ذلك مجموعة رسائل إلى أو، فقد كانت شيرو ميئوسًا منها في استخدامها للكمبيوتر لذلك كانت ترد برسائل ورقية،

وكان أو الشخص الذي يمكن التواصل معه بينهم، لذلك كان تسوكو دائماً يوجه الرسالة إلى أو ويضمن أنه سيمررها إليهم جميعاً، لهذا السبب لم يكن يرسل لكل واحد منهم رسالة منفردة بل رسالة واحدة للجميع، كان يكتب في الغالب عن حياته في طوكيو، ماذا رأى هناك، الخبرات التي اكتسبها، المشاعر التي أحس بها، ولكنه دائماً وبغض النظر عما يراه أو يفعله كان يدرك أنه سيقضي وقتاً أجمل إذا كان أربعتهم معه يشاركوه تلك التجارب، هذا ما أحس به بالفعل، ولم يكن يكتب شيئاً كثيراً بخلاف ذلك.

وقد كتبوا رسائل له ووقّع عليها أربعتهم، ولكن لم يجد بها شيئاً سلبياً ، لقد أخبروه بها وبالتفصيل ماذا ينوون القيام به في ناغويا فحسب. لقد ولد وكبُر جميعهم هناك، ويبدو عليهم أنهم مستمتعون بحياتهم في الكليّة، لقد أخبره أو أنه اشترى سيارة هوندا أكورد مستعملة مع بقعة على المقعد الخلفي كأن كلباً قد تبول هناك، هذا النوع من السيارات الذي يتسع لخمسة ركاب بسهولة بشرط أن لا يكون أحد منهم سميناً، وقد تكدّس الجميع فيها وذهبوا في رحلة إلى (بحيرة بيوا) . "من السيئ جداً يا تسوكورو أنك لم تستطع الذهاب معنا". كتبوا. وأضافوا "ننتظر أن نراك في الصيف". بالنسبة لتسوكورو بدا أنهم كانوا يعنون ذلك.

أصيب تسوكورو في تلك الليلة بالأرق بعد عدم سماعه شيئاً من أصدقائه، شعر بالقلق، كما كانت تدور في رأسه أفكار عشوائية لا معنى لها، و كانت كل تلك الأفكار هي تعدد لموضوع واحد، تظل تنصبّ في نقطة واحدة، مثل رجل فقد الإحساس بالاتجاهات. ومع الوقت أصبح تسوكورو مدرك لما يفعله دماغه، ووجد نفسه عائداً إلى حيث بدأ، وأخيراً انتهى سير تفكيره إلى مأزقٍ، كأن طيّات دماغه مسمارٌ مكسورٌ.

بقي متسيقظاً حتى الساعة الرابعة فجراً وبعدها استغرق في النوم، استفاق قليلاً بعد الساعة السادسة، لم تكن شهيته جيدة للأكل، فشرب كأساً من عصير البرتقال، ولكن هذا أشعره بالغثيان أيضاً. أقلق فقدانه للشهية عائلته ولكنه أنكر أن يكون هناك شيء، وبرر ذلك بأن معدته تؤلمه قليلاً.

بقي ذلك اليوم أيضاً في البيت، استلقى بجانب الهاتف يقرأ كتاباً أو على الأقل يحاول أن يقرأه، في العصر اتصل مرة أخرى بمنازل أصدقائه، لم يكن يعجبه هذا ولكنه لم يستطع أن يبقى بإحساسه الحائر والقلق دون أن يفعل شيئاً، و يصلي من أجل أن يرن الهاتف.

وكانت النتيجة نفسها، أفراد عائلاتهم هم الذين أجابوا على الهاتف، كانوا يخبروه بفظاظة أحياناً، أو معتذرين منه، أو بحيادية شديدة أنهم ليسوا في المنزل. وكان تسوكورو يشكرهم بأدب وباقتضاب ثم يغلق السماعة، هذه المرة لم يترك لهم أية رسالة، ربما قد تعبوا من التظاهر بأنهم خارج المنزل مثلما تعب تسوكورو من محاولة الاتصال بهم. وافترض بأن أفراد عائلاتهم التي تستلم مكالماته قد استسلموا في النهاية، فإن أعاد الاتصال بعدها سوف تكون لهم ردة فعل، وقد حصل ذلك فعلاً بعد الساعة الثامنة من تلك الليلة، لقد جاء اتصال من أو أخيراً.

"أعتذر، ولكن يجب أن أخبرك أن لا تتصل بأي أحد منا إلى الأبد" قال أو ذلك فجأة وبدون مقدمات. دون أن يقول "مرحبا، كيف حالك؟" أو "هذا سيكون لمدة قصيرة". أعتذر هذا التنازل الوحيد الذي قدّمه لي من المجاملات الاجتماعية.

أخذ نفساً، وأعاد بصمت كلمات أو وقلّبها سريعاً في عقله، محاولاً أن يقرأ مشاعره خلفها، ولكنها كانت مثل خطاب رسمي، لا مجال لوجود أية مشاعر.

" إذا طلب مني أحد أن لا أتصل به فلن أتصل" أجاب تسوكورو. خرجت الكلمات تلقائياً من فمه ، حاول أن يتكلم بهدوء وبشكل طبيعي لكن صوته بدا كأنه صوتٌ لشخص غريب يعيش في مدينة بعيدة، لا أحد قد قابله من قبل أو يمكن أن يقابله.

" إذن لا تفعل"، قال أو.

" لا أنوي فعل شيء لا يريد الناس مني أن أفعله " قال تسوكورو.

أخرج أو صوتاً، لم يكن تنهداً أو تأوهاً يعني الموافقة.

"ولكن أريد أن أعرف السبب إن كان ذلك ممكناً" قال تسوكورو.

" لا يوجد سبب أستطيع إخبارك به" رد أو.

"إذن من يستطيع ذلك؟".

جدار صخري ثخين قد ارتفع، وساد صمتٌ في الناحية الأخرى.

استطاع تسوكورو أن يسمع صوتاً خفيفاً من أو وهو يتنفس من أنفه الذي كان يتخيله مسطّحاً وضخماً.

"فكر بالأمر وستعرف" قال أو ذلك أخيراً.

كان تسوكورو عاجزاً عن الكلام. عن ماذا يتحدث؟ فكر بالأمر. أفكر بماذا؟ إذا فكرت أكثر بشيء ما فلن أعرف بعدئذ من أكون.

"من السيئ أن ينتهي الأمر إلى هذا الحد". قال أو.

"كلكم تشعرون بذات الشيء تجاهي؟".

"نعم الجميع لديه شعور سيء".

"أخبرني ماذا حصل؟" سأل تسوكورو.

"من الأفضل أن تسأل نفسك هذا السؤال". قال أو. اكتشف تسوكورو ارتجافة حزن وغضب بصوته لم تتعدَ اللحظة، وقبل أن يفكر برد مناسب أغلق أو السماعة.

*** ***

"أهذا كل ما قاله لك؟" سألت سارة.

"كانت محادثة قصيرة ببساطة، وهذا كل ما استطعت تحقيقه".

كانا يجلسان على طاولة في الحانة أمام بعضهما.

"وبعدها هل حاولت التحدث معه أو مع الثلاثة الآخرين؟".

هز رأسه "لا لم أتحدث مع أي منهم منذ ذلك الحين".

ضاقت عينا سارة كأنها تحدّق إليه، كأنها تدقق في مشهد اعتداء على قانون الفيزياء. "لا أحد؟".

"لم أرَ أحداً منهم مرة ثانية ولم نتحدث مطلقاً".

"ولكن ألا تريد أن تعرف لماذا أخرجوك من المجموعة فجأة ؟".

"لا أعرف كيف أعبر عن هذا... ولكن في اللحظة ذاتها لا شيء بدا مهماً. لقد أُغلق الباب بوجهي، ولم يسمحوا لي أن أعود إليهم ولم يخبرونني لماذا، ولكن إن كان هذا ما يريدونه أستطيع أن أقول أنه ليس هناك ما يمكن فعله".

"لم أفهم". قالت سارة، كأنها لم تفهم ذلك حقاً. "ربما هناك سوء فهم، أعني ألا تستطيع أن تجد أي سبب يبرر ما قد حصل؟ ألا تجد أن الأمر كله بائس؟ ربما فعلت خطأ أحمق جعلك تخسر بسببه أصدقاءك، لكن لماذا لم تحاول أن توضح لهم سوء الفهم الذي قد حصل وبسهولة سيستقيم الأمر؟"

كانت كأسه الموخيتو فارغة فأشارت سارة إلى النادل ليحضر القائمة وبعد تشاور بينهما اختارت كأس نابا كابرنيه. كان تسوكورو قد شرب نصف كأسه، وقد ذاب الثلج مشكلاً قطرات تظهر على الكأس من الخارج، وكانت الورقة الموضوعة تحت الكأس رطبة ومنتفخة.

"هذه كانت المرة الأولى في حياتي التي يرفضني فيها أحد رفضاً تاماً" قال تسوكورو. " المرة الأولى التي يرفضني أكثر من وثقت بهم، أفضل أربعة أصدقاء لي في العالم. كنت قريباً منهم وكانوا أشبه بامتداد لجسدي. فإيجاد سببٍ، أو تصحيح فهمهم لي خارجان عن إرادتي. ببساطة كنت مصدوماً بذلك تماماً لدرجة أنني اعتقدت أنني لن أتعافى، وشعرت أيضاً أن شيئاً بداخلي قد قُطع".

أعاد النادل ملء الكأس وملء وعاء المكسرات أيضاً، وبعد أن ابتعد النادل عنهما عادت سارة إلى تسوكورو.

"لم أجرب ذلك، لكني أستطيع أن أتخيلك وأنت مذهول، وأنا أتفهم أنك لا تُشفى بسرعة. ولكن بعد مرور الوقت وبعد أن صارت صدمتك قديمة، ألم يكن يجب أن تفعل شيئاً؟ أعني هذا ليس عدلاً. لماذا لم تعارض ذلك؟ لا أعرف كيف تحملت ذلك".

هز تسوكورو رأسه قليلاً "لقد اختلقت عذراً لعائلتي وعدتُ بالقطار السريع إلى طوكيو، لم أستطع أن أتحمل البقاء في ناغويا يوماً آخر، جل ما كنت أفكر به أن أبتعد عن ذلك المكان".

"لو كنت مكانك لما ابتعدت، ولبقيت حتى أصل إلى القاع" قالت سارة.

"لم أكن بتلك القوة لأفعل ذلك" قال تسوكورو.

"ألم تكن ترغب في اكتشاف الحقيقة؟".

حدق تسوكورو بيديه الموضوعتين على الطاولة، وبحذر اختار كلماته "أعتقد أنني خائف من المتابعة، ومن الحقائق التي ربما ستتكشف، خائف من أن تأتي قُبالة وجهي. وأياً كانت فإنها لن تنقذني، لا أعلم لماذا بالتحديد، ولكني واثق من ذلك".

"ماذا عن الآن؟ هل أنت واثق؟"

"لا أعلم" قال تسوكورو. "ولكني كنت واثقاً في ذلك الوقت".

"فعدتَ إلى طوكيو واختبأتَ في شقة. عيناك مغلقتان وأذناك مسدودتان".

"نعم، تستطيعين قول ذلك".

مدت سارة يديها وأرختهما على يديه "تسوكورو المسكين" قالت. لمستها اللطيفة تسربت إلى داخله، وبعد لحظة سحبتهما، وأبقت الكأس على فمها.

"ذهبت بعد ذلك إلى ناغويا ونادراً ما كنت أتمكن من ذلك"، قال تسوكورو "وعندما رجعت حاولت ألا أغادر منزلي، وإذا انتهيت مما كان يجب علي فعله كنت أعود إلى طوكيو بأقصى سرعة. عندها قلقت عليَّ أمي وأخواتي الكبريات وسألنني إذا كان شيء قد حصل، ولكنني لم أقل شيئاً، مستحيل أن أخبرهنّ".

"هل تعرف أين هم الآن وماذا يفعلون؟".

"لا أعرف، لم يخبرني أحد ولا أريد أن أعرف".

أدارت كأس النبيذ بيديها وحدقت إلى التموجات التي صنعتها كأنها تقرأ الحظ لأحدٍ ما.

"وجدت ذلك غريباً" قالت. "واضح أن تلك الحادثة كانت صدمة كبيرة لك، لقد غيرت حياتك أليس كذلك؟".

أومأ تسوكورو إيماءة خفيفة. "لقد كنت شخصاً مختلفاً في نواحٍ كثيرة".

"وكيف ذلك؟".

"شعرت في كثير من الأحيان ما أكثر كوني مملًا وحقيراً بالنسبة إلى الآخرين وبالنسبة إليّ أيضاً!"

نظرت سارة في عينيه للحظات وبصوت حاسم "لا أظن أنك ممل أو حقير".

"أقدر لك هذا" قال تسوكورو. وضغط بأصابع يده بلطف على صدغه. "ولكن يجب أن أكتشف هذه القضية بنفسي".

"ما زلت لا أدرك ذلك" قالت سارة "ما زال الألم من تلك الحادثة في عقلك أو في قلبك أو ربما في كليهما. ولكنني أعتقد أنها واضحة جداً فيهما. والآن وبعد خمس عشرة أو ست عشرة سنة لم تحاول أن تتقصى السبب الذي جعلك تعاني هذه المعاناة".

"لا أقول أني لم أكن أود معرفة الحقيقة ولكن أعتقد أنه بعد كل هذه السنين من الأفضل أن أنسى ما يتعلق بها. لقد مضى وقت طويل، وكل ما فات قد غرق في الماضي".

انطبقت شفتا سارة الرفيعتان. ثم قالت. " أعتقد أن هذا خطِر".

"خطِر؟ كيف؟".

"تستطيع أن تخفي الذكريات أو تكتمها لكنك لا تستطيع أن تمحو التاريخ الذي صنعهم. نظرت إلى عينيه مباشرة "إذا لم يكن هناك شيء فعليك تذكر هذا: لا تستطيع أن تمحو التاريخ أو تغيره. هذا يشبه أن تحطم ذاتك!".

"لماذا نتحدث بهذا الموضوع؟". قال لها تسوكورو محدّثاً نفسه أيضاً وبصوت جعله يبدو مبتهجاً. " لم أتحدث بهذا الموضوع مع أحد من قبل ولم أنوِ ذلك".

ابتسمت سارة ابتسامة بسيطة "ربما كنت بحاجة إلى أن تتحدث مع أحد أكثر مما كنت تتصور".

عندما عاد تسوكورو في ذلك الصيف من ناغويا إلى طوكيو، ذلك الإحساس الغريب والذي كان قد أثر عليه جسدياً جعله ثابتاً في مكانه. الألوان التي كان يراها في السابق ظهرت مختلفة الآن تماماً كأنها قد غُطيت بفيلتر خاص، سمع أصواتاً لم يسمعها من قبل، وفي المقابل لم يعد ينتبه إلى الأصوات الأخرى المزعجة، لقد أصبحت مألوفة لديه.

وعندما انتقل شعر بأنه إنسان غير مبالٍ بشيء، إنسان بلا مشاعر، كأن الجاذبية قد رحلت عنه.

كان يعيش تسوكورو خلال الخمسة شهور بعد عودته إلى طوكيو على عتبة الموت، لقد أقام في منزل صغير جداً قد بناه بمفرده على شفا هاوية مظلمة، في منطقة خطيرة جداً كانت تتأرجح على الحافة، وإن حصل وتدحرج تسوكورو في نومه ربما سيهوي إلى العدم، لكنه لم يعد خائفاً الآن، وكل ما يفكر به هو ما أهون ما سيكون عليه السقوط.

كل ما هو حوله وما كان يستطيع أن يراه على مد بصره حالَ إلى أرض قاسية قد انتثرت فيها الصخور، بلا أية نقطة ماء ولا نتوءات عشب، لا لون، لا ضوء، لا شمس، لا قمر، لا نجوم، فقدانٌ تام بالإحساس بالاتجاهات. تبدل الشفق الغامض بظلام لا حدود له مجرد أن غابت الشمس، حد بعيد على أطراف اللا وعي، وفي ذات الوقت كان هناك فيضٌ غريب. أتت طيور ذو مناقير حادة وقت ظهور الشفق تنهش لحمه بلا هوادة. وحالما غطى الظلام الأرض حلقت الطيور إلى مكان ما، وكانت قد ملأت فجوات الأرض بلحمه وأشياء أخرى... بعض المواد الغامضة.

لم يفهم تسوكورو تماماً فحوى تلك المواد، لم يقبلها ولم يرفضها أيضاً، لقد استقرت على جسده وحسب. كسربٍ ذي ظلال كثيفة، واضعاً كمية كبيرة من بيضه المليء بالظلال أيضاً. بعدها انسحب الظلام وعاد الشفق مرة أخرى حاملاً معه الطيور التي كانت نهشت جسده.

عاد كما كان بعد ذلك، وفي ذات الوقت لم يعد هو نفسه، عاد تسوكورو تازاكي وليس تسوكورو تازاكي. كان يبتعد عن جسده عندما لا يستطيع تحمل الألم، وعن تلك النقطة القريبة التي لا تتألم والتي تراقب تسوكورو تازاكي وهو ثابت في العذاب. إذا ركّز أكثر فلا شيء مستحيل.

إلى الآن يزداد هذا الشعور لديه، بأنه يغادر نفسه، بأنه يراقب وجعه وكأنه وجع شخص آخر.

دعا تسوكورو سارة على العشاء مرة أخرى بعد أن غادرا الحانة. هل يمكن أن أدعوك لتناول الطعام في أي مكان قريب؟ بيتزا مثلاً؟ ما زلت لا أشعر بالجوع. أجابته سارة. حسناً. قال تسوكورو. ماذا لو عدنا إلى بيتي؟

"أعتذر، لكن مزاجي سيئ اليوم". قالت سارة بنبرة غير متحمسة ولكنها حازمة.

"لأني أغرقت في الحديث عن هذا الشيء الغبي؟" سأل تسوكورو. وتنهد تنهيدة قصيرة.

"لا، ليس الأمر كذلك. لكن عليّ أن أفكر بعدة أشياء. لذا أرغب حقاً أن أعود إلى البيت وحدي".

"بالتأكيد". قال تسوكورو. "تعلمين، لقد سررت برؤيتك مرة أخرى، والتحدث إليك، وأتمنى أن يكون لدينا مواضيع شيقة أكثر لنتحدث بها".

زمت شفتيها بإحكام للحظة ثم كأنها توصلت إلى قرار ما "هلا طلبت مني أن أخرج معك مرة أخرى؟ أعني إذا لم تمانع؟"

"بالطبع. إذا كان يناسبك ذلك".

"نعم يناسبني ذلك".

"سررت بذلك". قال تسوكورو. "سأرسل لك بريدًا إلكترونيا".

تودعا عند مدخل الميترو، صعدت سارة بالدرج المتحرك إلى (خط يامانوتي) بينما هبط تسوكورو بالسلالم إلى (خط هيبيا) وعاد كل منهما إلى بيته ضائعاً في أفكاره.

لم يكن تسوكورو يدرك ما يجول في ذهن سارة أبداً، ولم يكن يريد أن يخبرها عما يجول في ذهنه، هناك أفكار معينة يجب أن تبقيها داخلك. وكانت أفكار تسوكورو من النوع الذي يبدأ يتزاحم في رأسه حالما يركب القطار عائداً إلى بيته.

الفصل الثالث.

لقد خسر تسوكورو في منتصف العام أكثر من اثنين وعشرين كيلو غرام وهو هائم على حافة الموت، هذا الشيء الوحيد الذي يمكن توقعه؛ إذ إنه بالكاد كان يتناول طعامه.

كان وجهه مليئاً في طفولته حتى إن حصل شيء، أما الآن فقد أصبح هزيلاً ونحيلاً، فشدُّ الحزام لم يكن كافياً، كان عليه أن يشتري بنطالاً أضيق. عندما يخلع ثيابه، كانت تظهر ضلوعه البارزة مثل قفص رخيص. وقد ساءت حالته بشكل واضح، وانحنت أكتافه إلى الأمام، وأصبحت رجلاه مع هذه الخسارة في وزنه طويلتين ونحيلتين مثل رجليّ طائر اللقلق. وحين كان ينظر إلى نفسه في المرآة أتته فكرة صادمة، هذا جسد رجلٍ عجوز أو جسد رجل مقبل على الموت.

كان أثناء ذلك يحدّث نفسه، حتى لو كنتُ حقاً رجلاً مقبلاً على الموت فليس هناك الكثير لأفعله تجاه ذلك، ذلك لأنني على حافة الموت فعلاً. لقد نجوت...بالكاد نجوت، كنتُ أتشبث بالعالم مثل قشرة مهمَلة لحشرة متعلقة بفرع شجرة، وتتفتت إلى الأبد من هبوب العاصفة، ولكنّ حقيقة أنه يشبه رجلاً اقترب من الموت قد صدمته بقوة مرة أخرى. ثبّت نظره على صورة جسده العاري لوقت طويل مثل رجل يشاهد تقريراً على التلفاز عن زلزال ضخم أو فيضان قويّ في أرضٍ بعيدة.

فكرةٌ مفاجئةٌ قد صدمته، ربما قد متُّ بالفعل عندما رفضني أربعتهم، ربما الشاب الذي يدعى تسوكورو قد مات فعلاً، وبقيت صورته الخارجية فقط، ولكنها بالكاد تُرى، وبعدها على مدار السنة التالية حتى القشرة كانت قد تبدلت بسبب ما عاناه جسده وقلبه من التغير القاسي. الإحساسُ بالرياح، صوتُ تدفق المياه، لمسُ ضوء الشمس المتكسر في الغيوم، ألوانُ الزهور عند تبدل الفصول، كل شيء حوله قد تغير، وكأنه

قد أُعيدت صياغته من جديد. ربما الشخص الموجود هنا والذي رآه في المرآة كان ومضة شبيهة بتسوكورو تازاكي، ولكنها لم تكن هو في الحقيقة، لقد كانت -وعلى سبيل الراحة- صندوقاً مطبوعاً عليه اسمه ولكنّ محتوياته قد استبدلت بأخرى، إنه ينادى بهذا الاسم لأنه لا يملك اسماً آخر في الوقت الحالي.

لقد جاءه حلم غريب في تلك الليلة وعذّبه ذلك الإحساس القويّ بالغيرة، لم يرَ من قبل حلماً قوياً ونابضاً مثل ذلك الحلم.

لم يفهم تسوكورو شعور الغيرة من قبل، ولكنه كان بالطبع يفهم فكرته، الشعور الذي تكنّه لشخص تمتلكه، أو تستطيع ببساطة أن تحصل عليه، الملكات أو المواهب، أو المكانة التي تشتهي أن تكون فيها. هو شعورك بأنك تحبّ امرأة حباً عميقاً، لتجدها بين أحضان رجل آخر. حقدٌ، غيظٌ، رفضٌ، خيبةُ أمل، غضبٌ، تلك المشاعر التي لا مخرج منها.

ولكنه لم يجربها على نحو شخصيّ، لم يتمنَّ أن تكون لديه تلك الملكات أو الهبات التي لا يمتلكها، لم يكن قد مرّ بحب عميق جداً، لم يحنّ إلى أحد ولم يحسد أحداً. لا نقول أنه لم تكن هناك أشياء غير راضٍ عنها، أو أشياء يفتقر إليها. فلو أراد تدوينها في قائمة لفَعَل، لن تكون كبيرة و ليست أسطرًا معدودة بالمقابل، ولكنّ هذه المشاعر بالإضافة إلى تلك التي كانت تنقصه قد بقيت داخله، ولم تكن من ذلك النوع الذي يحفّزه -على الأقل في ذلك الوقت- على الذهاب إلى مكان آخر باحثاً عن أجوبة.

لكن تلك المرأة التي في ذلك الحلم قد أثارت رغبته، لم يكن واضحاً من تكون، كانت هناك فحسب، وكانت لديها قدرة خاصة على التفريق بين جسدها وقلبها. سأعطيك أحدهما. أخبرت تسوكورو. جسدي أو قلبي. لا تستطيع أن تأخذ كليهما. عليك أن تختار الآن. أما الجزء الآخر فسأعطيه لغيرك. قالت. لكن تسوكورو كان يريد جميعَها. لم يكن يريد

أن يتخلى عن نصفها لرجل آخر. لم يستوعب ذلك، إذا كان الأمر بهذه الكيفية فسيخبرها أنه لا يحتاج إلى أي جزء منها. لكنه لم يستطع، كان في وضع حرج، غير قادر على المضيّ وغير قادر على العودة.

لقد هاجمه ألم رهيب، مثل أن يكون باطن جسده قد انتُزع بأيدٍ ضخمة. نُهشت عضلاته، صرخت عظامه من الألم، وشعر بعطش شديد، كأن كل خلية في جسده قد جفت وسُحبت منها كل رطوبتها. اهتز جسده بغضب من فكرة إعطاء نصفها إلى شخص آخر، وصار هذا الغضب طيناً كثيفاً ليّناً يندفق من رئتيه، كانت رئتاه منفاخين هاجئين، في حين كان قلبه يتسارع مثل محرك التصقت دواسته بالأرض، دمٌ مظلمٌ ثائر ينبض في كل أطراف جسده.

استيقظ وجسمه يهتز، ومر وقت طويل قبل أن يدرك أنه كان يحلم، مزّق ملابس نومه الغارقة بالعرق، وجفف نفسه بالمنشفة، لكن لا يهم كيف مسح عرقه، فهو لم يستطع أن يتخلص من ذلك الشعور الدبق. عاد إلى وعيه، أو ربما أحس بذلك بديهياً، إذاً، تلك كانت غيرةً. لقد انتُزع جسد أو قلب تلك المرأة التي أحبّها وربما كلاهما منه بواسطة شخص آخر.

الغيرة، كما استطاع فهمها من ذلك الحلم، هي أكثر سجون العالم يأساً، لم تكن مكاناً أُجبر على الدخول فيه، لكنه السجن الذي يدخل إليه السجين طوعاً، يغلق الباب عليه ثم يرمي المفتاح بعيداً، ولا يوجد روحٌ أخرى يمكن أن تعرف أنه مقيّدٌ هناك، وإذا كان يريد النجاة بالتأكيد يستطيع... لقد أصبح السجن بعد كل ذلك قلبَه، لكنه لم يستطع أن يتخذ قراراً بعد، كان قلبه قاسياً مثل جدار معدني، وكان هذا أساسَ الغيرة.

التقط تسوكورو صندوقاً من عصير البرتقال من الثلاجة، وشرب كؤوساً متلاحقة، كان حلقه جافاً جداً، ثم جلس على الطاولة يراقب الشمس من خلال النافذة وهي تطلع ببطء، وصمم أن يبقى هادئاً، هذا التدفق من شعوره الطاغي الذي صدمه وجعل قلبه وجسده يرتجفان.

ولكن ما هذا الشيء الموجود في العالم والذي يمكن أن يعنيه ذلك الحلم؟ يتساءل. هل هو نبوءة؟ رسالة ترمز إلى شيء؟ هل كان يحاول أن يخبره شيئاً؟ أو هي ذاته التي لا يعرفها حتى هذه اللحظة وقد خرجت من صدفته وصارت تعاني من أجل أن تظهر؟ مخلوقٌ قبيحٌ قد ظهر من داخل البيضة فاقداً الأمل في أن يصل إلى الهواء في الخارج!

لقد أدرك تسوكورو ذلك لاحقاً، في تلك اللحظة التي توقف فيها عن انتظار الموت، وهو يتأمل صورته العارية في المرآة، فقد رأى شخصاً آخر، انعكست صورته هناك. في الليلة نفسها التي جرّب فيها (في ذلك الحلم) الغيرة أو ما قد أدركه منها ولأول مرة في حياته. مع قدوم الفجر، كان يضع تلك الأيام المظلمة من الأشهر الخمسة الماضية وراء ظهره، الأيام التي قضاها مواجهاً للفَناء المطلق.

لقد خمّن حدوث ذلك، كرياح شمالية قوية تبعثر الأكوام الكثيفة من الغيوم، مشاعر حارقة ونابضة عبرت روحه على شكل حلمٍ ألغى وأنكر الرغبة في الموت، الرغبة التي مدّت يدها ثم شدّت على عنقه.

كل ما بقي الآن هو استسلام هادئ، إحساس لا لون له، محايدٌ، وفارغ. كان يجلس تسوكورو وحيداً في بيت هائل قديم وفارغ، وكان ينصت، مثل ساعة جدّ هائلة تكّاتُها جوفاء وعقاربها تسير خارج الوقت. كان فمه مغلقاً، وعيناه مركّزتين على الساعة كما يراقب اليدين وهما تتحركان إلى الأمام. التفّت مشاعره وشكلّت طبقات من الغشاء الرقيق، وبقي قلبه خالياً كأنه قد كبُر ساعةً واحدةً في وقتٍ واحدٍ.

أصبح تسوكورو يأكل بالتدريج، اشترى وجبات مناسبة، أصنافاً من المأكولات الطازجة والمحضرة بشكل يسير، واستعاد جزءاً قليلاً من وزنه الذي خسره. فخلال نصف سنة تقريباً كانت معدته قد تقلصت بشكل كبير، فإذا تناول الآن أكثر من المقدار المحدد سيتقيؤه. وعاد

يسبح من جديد في مسبح الجامعة في ساعات الصباح، لقد فقد الكثير من عضلاته، وكانت تنقطع أنفاسه عندما يصعد الدرج ويحتاج إلى وقت كي يستعيد قواه، اشترى بنطالاً جديداً للسباحة ونظارات واقية وصار يسبح كل يوم سباحة سريعة من 1000 إلى 1500 متر، وبعد ذلك يذهب إلى الصالة الرياضية ويستخدم الآلات بهدوء.

بعد بضع أشهر من المأكولات الجيدة والتمرينات اليومية تعافى تماماً، وحصل على العضلات التي كان يرغب بها مع أن عضلاته كانت مشدودة في السابق بطريقة مختلفة، لقد أصبحت حالته معتدلة الآن، ليس في رخاء ولكنها معتدلة، وعاد اللون لوجهه للمرة الأولى خلال المدة الطويلة تلك. ولكن كلما استيقظ من نومه في الصباح؛ كان وضعه يسوء من جديد.

في ذلك الوقت، جاءت أمه في زيارة مفاجئة إلى طوكيو، ووجدت تسوكورو يتصرف ويتكلم بطريقة غريبة. قررت أن تطمئن عليه لأنه لم يزرهم في رأس السنة، وعندها لاحظت مقدار التغير الذي حصل له خلال أشهر، وأصبحت عاجزة عن الكلام. لكن تسوكورو برّر ذلك، "إنها تغييرات طبيعية كنت قد مررتِ بها وأنت في مثل عمري". فأيدت أمه تفسيره ذلك بشكل تام. الذي يحتاجه الآن في الواقع هو ملابس تناسبه. لقد كبُر مع أخته، لذلك أصبح بعد زواجها يعرف كيف يربي أطفالها الإناث، وبالمقابل لم تكن لديه أية معرفة عن كيفية تربية الأطفال الذكور. أقنع تسوكورو أمه بأن هذه التغييرات تطورات طبيعية... فاصطحبته بودّ إلى المتجر ليشتري ملابس جديدة، في الغالب كانت من (بروكس بروذرز) و(بولو)، الماركات التي يفضّلها، وأما ملابسه القديمة فقد رُميت أو تُبرع بها.

لقد تغير وجهه أيضاً، لم تعد المرآة تظهره ناعماً ولطيفاً، ولكنها أيضاً كانت تُظهر وجه طفلٍ مطمئن ومغبّش. الذي يحدق به الآن هو وجه شاب، عظام وجنتيه بارزة كأنّ المنشفة قد نحتتها. هناك ضوء

جديد في عينيه، بريق لم يره من قبل، ضوء وحيد، مبعَد، بمدى محدود... نمت لحيته بكثافة بشكل مفاجئ، وكان عليه أن يحلقها كل صباح... لقد أطال شعره أيضاً.

لم يكن يحب تسوكورو التغييرات الجديدة في مظهره مبدئياً، ولم يكن يكرهها بالمقابل. كانت مجرد قناع مريح ومؤقت، ومع ذلك كان ممتناً، في الوقت الحالي، لأنه لم يكن يرتدي هذا الوجه في السابق.

على أية حال، الفتى الذي يدعى تسوكورو قد مات... في الظلام الموحش الذي أخذ آخر أنفاسه، ودُفن في الغابة، في أرض صغيرة لا أشجار فيها، بهدوء وسرية قبل حلول الفجر، الوقت الذي ينام فيه الجميع سريعاً حتى هذه اللحظة. لم تكن هناك علامة غامضة، الذي بقي الآن هو نفَسه، تسوكورو تازاكي الماركة الجديدة التي تغيرت محتوياتها بالكامل، لكنه الوحيد الذي يعرف ذلك، ولم ينوِ إخبار أحد.

ومثل السابق، رسم تسوكورو مجموعة من التصاميم لمحطات سكة الحديد. لم يغب عن أي محاضرة في الجامعة، كان يستحم عندما يستقظ، يمشط شعره، ينظف أسنانه دائماً بعد الأكل، يرتب سريره كل صباح، ويكوي قمصانه، كان يحاول أن يبقى مشغولاً دائماً. وفي الليل، يقرأ كتباً تاريخية أو سيرًا ذاتية في الأغلب ساعتين أو أكثر، هواية وُجدت منذ وقت طويل، الهواية التي دفعت حياته إلى الأمام، ولذلك فهو لا يؤمن بالمجتمع المثالي، ولا يشعر بالدفء الآتي من الكيمياء بين الناس.

كان يقف كل صباح أمام المغسلة ويدرس وجهه في المرآة، ببطء كان يكبر ويعتاد على ذاته الجديدة مع كل التغييرات فيها، كان ذلك مثل اكتساب لغة جديدة وحفظ قواعدها.

ولكنه في النهاية تعرّف على صديق جديد، كان ذلك في شهر حزيران، أي بعد أن تركه أصدقاؤه في ناغويا بقرابة عام، كانا يذهبان

إلى نفس الكلية وكان أصغر منه بسنتين... لقد قابل الرجلَ في مسبح الكلية.

الفصل الرابع.

لقد قابل الرجلَ في مسبح الكلية.

كان يسبح وحده كل صباح، كما يفعل تسوكورو. أحنيا رأسيهما للتحيّة، ثم بدآ يتحدثان مع بعضهما، وبعد أن بدّلا ملابسهما في غرفة الملابس ذهبا لتناول الإفطار في كفتيريا الجامعة. كان أصغر من تسوكورو بسنتين دراستين، يتعلم الفيزياء، ولكنه مع تسوكورو في نفس الكلية، كلية الهندسة... وكان يبدو على طلاب قسم الفيزياء وقسم الهندسة المدنية أنهم قادمون من كوكب آخر.

"ما تخصصك بالضبط في قسم الهندسة المدنية؟" سأله الطالب.

"أبني محطات". أجابه تسوكورو.

"محطات؟".

"محطات قطار. ليست محطات تلفاز أو شيء آخر".

"ولكن لماذا محطات قطار؟".

"لأن العالم يحتاج إليها". قال تسوكورو وكأنه شيء مفروغ منه.

"شيء مثير للإعجاب". قال الرجل، كأنه شعر بذلك حقاً. لم يسبق أن راودتني فكرة عن ضرورة وجود المحطات".

"ولكني أتصور أنك تستخدمها. لو لم تكن هناك أية محطة فستكون في مأزق عندما تركب القطار".

"إنني أركب القطار وأفهم ما تقصد...أنا فقط...حسناً... لم أتصور أن يكون هناك شخص في العالم لديه شغف في بناء المحطات".

"بعضهم يكتب معزوقة موسويقة للرباعيات الوترية، وبعضهم يزرع الخس والطماطم، بالمقابل ستكون هناك فئة ما من الناس تبني المحطات". قال تسوكورو. لا أقول أن لدي شغف لفعل ذلك تماماً. ولكن لدي ميل لشيء محدد".

"ربما تبدو هذه وقاحة ولكنني أعتقد أنه إنجاز عظيم أن تجد أكثر من شيء تهتم به".

اعتقد تسوكورو أن الرجل الأصغر منه سناً يهزأ به، فحدّق إلى وجهه الوسيم باهتمام، ولكنه بدا جدياً، ملامحه مكشوفة وصريحة.

"أنت تحب أن تصنع أشياء، هذا ما يدل عليه اسمك". قال الرجل مشيراً إلى حقيقة ما يعنيه اسم تسوكورو (يصنع أو يبني).

"أنا أرغب دائماً أن أصنع أشياء تُرى". اعترف تسوكورو.

"أما أنا فلا". قال الرجل. "دائماً ما كنت أواجه مشاكل في صنع الأشياء، فمنذ أن كنت في المدرسة الابتدائية، كنت أخرب الأشياء بين يديّ، لم أكن أعرف كيف أركّب قالباً بلاستيكياً. أنا أفضّل التفكير بالأشياء النظرية، ولم أكن أتعب من ذلك، ولكن عندما يصل الأمر إلى استخدام يديّ في صنع شيء حقيقي أنسى ما يخصه. ومع ذلك أنا أحب الطبخ، ذلك لأنه أقرب إلى تفكيك الأشياء من بنائها، أعتقد أنه سيكون أمراً مقلقاً لشخص مثلي لا يستطيع صنع شيء أن يذهب إلى كلية الهندسة".

" ماذا تريد من دراستك هنا بالضبط؟".

أعطاه الرجل بعض الأفكار. "لا أعلم بالضبط، لا أملك هدفاً واضحاً ثابتاً مثلك. أنا فقط أريد أن أفكر بعمق في الأشياء. أتأمل الأفكار بطريقة نقية وحرة، هذا كل شيء. لو فكرت في ذلك، فستجده يشبه إلى حد ما صنع مكنسة كهربائية".

"حسناً، يحتاج العالم إلى عدد قليل ممن يصنعون مكنسة كهربائية".

ضحك الرجل الآخر بلباقة. "نعم، لكنهم يختلفون عمن يزرعون الخس والطماطم. إذا سعى كل شخص في العالم إلى صنع مكنسة كهربائية فسنكون في ورطة كبيرة".

"الأفكار كاللحى، لا يملكها المرء إلا إذا أصبح رجلاً، أحدهم قال ذلك لكنني لا أتذكر من هو".

"فولتير". قال الرجل الأصغر سناً، حكّ ذقنه وابتسم ابتسامة مرحة وغير متكلفة. "ربما كلام فولتير خطأ، فأنا لا أملك أية لحية على الإطلاق، ولكنني أحب التفكير في الأشياء منذ الطفولة".

كان وجهه أملس حقاً بلا أي تلميح لظهور لحية، حاجباه رفيعان لكنهما كثيفان، شكل أذنيه مثل أصداف البحر الجميلة.

"كنت أتساءل عما كان يعنيه فولتير، وأظنه ليس مجرد أفكار بقدر ما هو تأمل". قال تسوكورو.

حنى الرجل رأسه قليلاً. "الألم هو ما يثير التأمل، وليس هناك ما يمكن فعله تجاه العمر، فدعك من اللحى".

الشاب يدعى هايدا، والذي يعني حرفياً (الحقل الرماديّ)، فومايكا هايدا. شخص آخر بلون، قال تسوكورو ذلك بعد تأمل. السيد رمادي. إذن رماديّ. بالطبع، لون باهتٌ تماماً.

لم يكونا اجتماعيّيْن كثيراً، ولكن لأنهما واصلا لقاء بعضهما نمت بينهما صداقة طبيعية، وبدآ يفتحان قلبيهما لبعضهما. قررا أن يتقابلا كل صباح ثم يسبحان مع بعضهما في دورات مائية لمسافات حرة طويلة، كان هايدا أسرع قليلاً من تسوكورو، فقد بدأ يسبح في مسبح المدرسة، منذ أن كان يافعاً، وكانت طريقته في السباحة جميلة، ليس ثمة حركة ضائعة. عظام كتفيه تتحرك بسلاسة مثل أجنحة الفراشة، بالكاد يلامس

سطح الماء. لقد أصبح تسوكورو، بعد نصائح هايدا المفصّلة، وبعد أن زاد من تدريبات القوة، يجاري سرعة هايدا. كانا يتحدثان في البداية عن أساليب السباحة، ثم تعددت مواضيعهما بعد ذلك.

كان هايدا قصيراً ولكنه رجل وسيم، وجهه صغير وضيق كتمثال يونانيّ قديم، ولكن ملامح وجهه مع هذا كلاسيكية ومتحفظة، لم تكن وسامته من النوع الذي يأسر كل من يراه، ولكنها من النوع الذي يظهر مع الوقت.

شعره قصير ومجعد قليلاً، يرتدي دائماً ملابس غير رسمية، بناطيل رياضية وقمصان بألوان فاتحة، كان يعرف كيف يرتدي ملابسه جيداً بغض النظر عن لباسه البسيط والعادي. وبالإضافة إلى ذلك كله كان يحبّ القراءة، ولكنه مثل تسوكورو، نادراً ما كان يقرأ الروايات، يفضل قراءة الفلسفة والأدب الكلاسيكي، ويستمتع بقراءة المسرحيات أيضاً، وهو من أكبر معجبي التراجيديا الإغريقية وشكسبير، كما يعرف نوح وبونراكو جيداً. أصل هايدا من ولاية أكيتا شمال اليابان، بشرته بيضاء وأصابعه طويلة، ولا يشرب النبيذ كثيراً، كتسوكورو، إلا أنه يستطيع التمييز بين موسيقى مندلسون وموسيقى شومان. كان خجولاً بشكل كبير، فعندما يزيد عدد من معهما عن ثلاثة فإنه يحاول جاهداً أن يبقى مخفياً، هناك ندبة قديمة عميقة بطول إنش ونصف على عنقه، كأنه قد جُرح بسكين، لكنها أضافت، مع ذلك، علامةً غريبةً على مظهره الهادئ. أتى هايدا من أكيتا إلى طوكيو في ذلك الربيع، وكان يقيم في السكن القريب من الحرم الجامعي ولم يكن قد كوّن صداقات بعد. وعندما اكتشف الاثنان ذلك الانسجام بينهما بدآ يقضيان الوقت معاً، وأصبح هايدا ينزل إلى شقة تسوكورو.

"كيف يستطيع طالب أن يتحمل تكاليف شقة باهظة الثمن؟". تساءل هايدا في أول زيارة له لتسوكورو في شقته.

"أبي يعمل في العقارات في طوكيو". وضّح تسوكورو. "كانت حماقة، وطلبوا مني العيش هنا لهذا السبب. قررت أختي الصغيرة ذلك أولاً، ولكنها كانت تتنقل هنا وهناك بعد أن تخرجت من الكلية. وهذه الشقة باسم الشركة".

"يجب أن تكون عائلتك ثرية؟".

"أتعرف، لست متأكداً من ذلك. ربما، ليست لدي فكرة. لا أعتقد أن أبي سيعرف ذلك إذا لم يجمع محاسبه ومحاميه وجباة الضرائب ومستشاره ومستشار الاستثمار في غرفة واحدة معاً. يبدو أننا لسنا أثرياء بما فيه الكفاية لذلك أسكن في شقة مثل هذه. صدقني، أنا أشعر بالامتنان".

"لكن لا يعجبك نوع عمل أبيك؟".

"لا، أبداً. في خط العمل يتحرك رأس المال باستمرار بشكل دائري من طرف إلى آخر ثم يرجع. طريقة سير الأمور مقلقة بالنسبة إليّ. أنا لست مثله. أنا أفضل طريقي إلى محطات البناء حتى إن لم يكن مريحاً".

"ما تستمتع به". علّق هايدا بابتسامة كبيرة على وجهه.

* * *

انتهى الأمر بتسوكورو إلى غرفة نوم واحدة في جوجوكا حتى بعد أن تخرج من الجامعة، وبدأ يعمل في شركة تهتم بشؤون المحطات مقرها الرئيس في شينجوكو. توفي والده وهو في الثلاثين من عمره وأصبح السكن ملكه، كان والده قد عزم بوضوح أن يعطيه إياه، وانتقل العقد دون علمه إليه. أخذ زوج أخت تسوكورو الكبرى شركة والده، وأكمل تسوكورو العمل في تصميم محطات القطار في طوكيو دون تواصل كبير مع عائلته، وبقيت زياراته إلى ناغويا قليلة ومتباعدة.

توقع نصف توقع عندما رجع إلى موطنه أن يظهروا في جنازة أبيه ليقدموا تعازيهم، وفكر كم سيكون جميلاً لو فعلوا ذلك، لكن لم يظهر

أحد. شعر تسوكورو بالراحة وبقليل من الحزن أيضاً، وفكر مرة أخرى: كل الذي فعلوه في السابق قد انتهى حقاً. لن يرجعوا مرة أخرى، لقد أصبح سنُّ الخمسة الآن ثلاثين سنة. لا أهمية للعمر بعد... حين يحلم أحد ما بمجتمعٍ منسجمٍ ومنظمٍ من الأصدقاء.

يكره نصفُ سكان العالم تقريباً أسماءهم، هذا ما اطلع عليه تسوكورو في الإحصاءات المكتوبة في المجلات. أما هو فكان من النصف الآخر، أو عاالأقل من الذين لا يكرهون أسماءهم. ربما الأكثر دقة أن نقول إنه لم يتصور أن يكون له اسم آخر أو حياة أخرى غير التي انقاد إليها، لو أراد ذلك.

لقد كُتب اسمه الأول (تسوكورو) بحرف صيني واحد، ويقوم عادة بتهجئته بالهريغانا، ويعتقد أصدقاؤه أنه يكتب هكذا، وتستخدم أمه وأختاه قراءة بديلة لذات اسمه، ينادونه ساكو أو ساكو شان لأنهن يرين ذلك أسهل.

والده هو من اختار له الاسم. حسناً، كان والده قد قرر الاسم قبل أن يولد تسوكورو، والسبب غير واضح، ربما لأنه أمضى سنوات عديدة من حياته يُزاح من أي شيء يتعلق بصنع الأشياء، أو ربما في وقتٍ ما جاءه شيء أقرب أن يكون إلهاماً، جزءاً من ضوء غير مرئي، مصحوباً برعد ليس له صوت، يحرق اسم تسوكورو في عقله، ولكن والده لم يخبر أحداً من أين جاء بفكرة اسمه، لا لتسوكورو ولا لأي أحد آخر.

لم يكن ليأخذ وقتاً طويلاً في اختيار الحرف الصيني، ليصبح تسوكورو، الحرف الذي يعني "يبدع" أو الأكثر بساطة والذي يعني "يصنع" أو "يبني". يمكن أن تقرأ هذه الحروف بنفس الطريقة مع وجود فروق بسيطة. افترضت أمه أنه يجب أن يُكتب اسمه بالحرف الذي يعني "يبدع"، ولكن والده اختار المعنى الأكثر تجرداً.

تذكرت أمه النقاش الذي كان (عندما اختار والده له الاسم) بعد انتهاء جنازته. "شعر والدك أن إعطاءك الحرف الذي يعني "يبدع"

سيكون عبئاً عليك". أخبرت تسوكورو. الحرف البسيط يُقرأ أيضاً تسوكورو، واعتقد أنه سيكون أكثر هدوءاً وراحة. يجب أن تعرف أنه في الأقل. فكّر طويلاً وجدياً باسمك، أنت ابنه الأول في النهاية".

لا يذكر تسوكورو كثيراً أنه كان قريباً من أبيه، ولكن عندما يصل الأمر إلى اختياره الاسم فتسوكورو ملزم أن يوافق. في الحقيقة اسم تسوكورو بهذا الشكل الأبسط والأسهل قد ساعده أكثر، ذلك لأن عظامه لا تحتوي على الشيء الكثير من الأصالة والإبداع. ولكن هل خفف أيُّ شيء من هذا من أعبائه في الحياة؟ ربما هذه الأعباء أخذت شكلاً مختلفاً، ولكن أيٌّ منها كان الأكثر خفة؟ لا يستطيع تسوكورو القول.

هكذا أصبح هذا الشخص يدعى تسوكورو. لم يكن شيئاً قبل ذلك، ظلام، فوضى لا اسم لها، لا أكثر. أكثر من ثلاثة كيلو غرامات من كتل اللحم التي بالكاد تتنفس أو تبكي في الظلام. أُعطيَ الاسم أولاً ، ثم نما الوعي، ونمت الذاكرة، ثم الأنا أخيراً، ولكن كل شيء بدأ مع اسمه.

اسم والده توشيو تازاكي، يتم تهجئة اسم توشيو بحروف تعني "الرجل الذي يربح"، أما تازاكي فيعني حرفياً "العديد من أشباه الجُزر". اسمٌ لرجلٍ يربح حقاً، بتميز، وفي مجالات كثيرة، فقد انتقلت حالته من الفقر إلى وظيفة مميزة، صمّم أن يعمل في العقارات، فاكتسح عصرَ التطور في اليابان، بنجاحه المتميز. ثم بدأ يعاني من سرطان الرئة، إلى أن توفي بعمر أربع وستين سنة، ولكنّ ذلك حصل لاحقاً، فعندما التقى تسوكورو بهايدا كان والده لا يزال بصحة جيدة، يشتري ويبيع العقارات السكنية الراقية في طوكيو بقوة وبلا كلل، كما كان ينفث بطريقه خمسين سيجارة (دون فلتر) في اليوم الواحد، وقد انفجرت فقاعة العقارات، ولكنه كان يتوقع حدوث هذا الخطر، فقد وظّف جميع أمواله، ليخفض النتائج المالية التي قد تحدث في نهايته. وبقي الظل المشؤوم في رئتيه مخفياً وبعيداً عن أن يكتشفه أحد.

"يدرّس أبي الفلسفة في جامعة حكومية في أكيا". قال هايدا لتسوكورو. "إنه يشبهني، لقد كان يحب دراسة الأفكار التجريدية، يسمع الموسيقى الكلاسيكية دائماً، ويلتهم الكتب التي لم يقرأها أحد من قبل، ليست لديه القدرة على جني الأموال، وأي مال يكسبه يذهب لشراء الكتب أو التسجيلات، ونادراً ما يفكر بعائلته أو مدخراته، عقله يحلق دائماً في الغيوم. ولم أكن أستطيع أن أدرس إلا في طوكيو لأن الرسوم الدراسية فيها جيدة ومنخفضة، ولأني أخذت سكناً فيجب أن أخفف من مصاريفي أيضاً".

"ألم يكن من الأفضل له، من الناحية المالية، أن يذهب إلى قسم الفيزياء بدل قسم الفلسفة؟". سأله تسوكورو.

" بالنسبة لخريجيها فهم لا يكسبون أي شيء، كلهم متساوون، إلا إذا فزت بجائزة نوبل أو شيء آخر". قال هايدا ذلك بابتسامة النصر اللامعة الاعتيادية.

كان هايدا الابن الوحيد لعائلته، لم يكن لديه أصدقاء كثيرون، وكان يعتمد على كلبه والموسيقى الكلاسيكية ليأنسا وحدته، لم يكن السكن الذي يعيش فيه مكاناً مثالياً ليسمع فيه الموسيقى، وبالتأكيد ليس مكاناً مناسباً لإبقاء الكلب فيه، لذلك كان يذهب إلى شقة تسوكورو ومعه بعض الأقراص ليسمعها هناك، اقترض أغلبها من مكتبة الجامعة، وأحياناً كان يجلب معه ألعاب الفيديو الخاصة به. كان في شقة تسوكورو مشغِّل أقراصٍ لائق نوعاً ما، وأما التسجيلات الوحيدة التي أبقتها أخته فهي لباري مانيلو، ومجموعة **Pet Shop Boys**، لذلك لم يكن تسوكورو يلمس المشغِّل.

كان هايدا يفضل أن يسمع موسيقى الآلات، وموسيقى الحجرة، والتسجيلات الصوتية. لم تكن الموسيقى التي تكون فيها مكونات الأوركسترا صاخبة من النوع الذي يرغب سماعه، أما تسوكورو فلم

يكن مهتماً بالموسيقى الكلاسيكية أو أية موسيقى أخرى للسبب ذاته، ولكنه كان يستمتع بها مع هايدا.

لاحظ تسوكورو وهما يستمعان إلى تسجيلات البيانو أنه قد سمع هذه المقطوعة من قبل مرات عديدة، ولكنه لم يعرف عنوانها أو مؤلفها، كانت قطعة هادئة وحزينة، تبدأ بمقدمة بطيئة وبارزة، تعزف بنوتات منفردة، ثم يتبعها تقلبات هادئة. بحث تسوكورو في الكتاب الذي كان يقرؤه ثم سأل هايدا عنها.

"فرانز ليست (Le mal du). 'من معزوفته "سنوات حج"- المتتالية الموسيقية الأولى 'السنة الأولى: سويسرا'".

"Le mal du؟"

"Le mal du pays". إنها فرنسية. وفي العادة تترجم "الحنين إلى الوطن" أو "كآبة".

إذا وضعت أدق نقطة عليها سيبدو معناها أقرب لـ (حزن لا حدود له يُبعث في قلب امرئ بمشاهدة طبيعة ريفية). تعبير يصعب عليّ شرحه.

"هناك فتاة أعرفها، صديقتي في المدرسة الثانوية تعزف هذه القطعة كثيراً".

"لطالما أحببت هذه القطعة، هي ليست معروفة كثيراً". قال هايدا. "هل كانت صديقتك عازفة بيانو جيدة؟".

"من الصعب قول ذلك، فأنا لا أعرف كثيراً عن الموسيقى، ولكني كلما سمعتها اعتقدت أنها جميلة، كيف أوضح ذلك؟ إنها تبعث فيك حزناً هادئاً، ولكنها ليست عاطفية".

"إذاً فقد عزفتها جيداً". قال هايدا. "تبدو بسيطة تقنياً ولكن من الصعب التعبير عنها. اعزفها كما هي مكتوبة وستنتهي بملل جذاب، ولكن اذهب في طريق معاكس وترجمها بشكل مكثف ستبدو هيّنة،

كاستخدامك للدواسات التي تصنع كل الاختلافات، و تستطيع أن تغير رمز القطعة الموسيقية بالكامل".

"من عازف البيانو الآن؟".

" الروسي، لازار بيرمان. عندما يعزف لـ(ليست) فكأنه يرسم مشهداً متخيلاً مباشراً، أغلب الناس يرون أن موسيقى (ليست) فنية وسطحية، وله بعض القطع الصعبة بالطبع، ولكن إذا دققت السمع في موسيقاه فستكتشف عمقاً لا تلاحظه في بادئ الأمر، في معظم الوقت يكون مخفياً وراء الزخرفات، هذه حقيقة معزوفة "سنوات حج" تحديدًا. ليس هناك عازفو بيانو أحياء كثيرون يستطيعون عزف هذه القطعة بشكل صحيح وجميل. بيرمان هو الوحيد من بين العازفين المعاصرين الكثيرين من يستطيع فعل ذلك بشكل صحيح، وأما القدامى فسأختار كلاوديو آرو".

كان هايدا يتحدث كثيراً إذا كان الموضوع يتعلق بالموسيقى. بدأ يصف بدقة أداء بيرمان لموسيقى ليست، وكان تسوكورو لا يصغي إليه كثيراً، وبدلاً من ذلك سقطت صورة شيرو في عقله وهي تعزف القطعة الموسيقية، صورة ذهنية ثلاثية الأبعاد، ومشرقة، كأن هذه اللحظات الجميلة كلها على نحو سواء تسبح عائدة، في ممر مائي معاكس لضغط الوقت المنطقي.

بيانو ياماها، ضخمٌ، في غرفة الاستقبال في بيتها، انعكاس لوعي شيرو. البيانو مضبوط بشكل تام دائماً، بمظهره اللامع، دون أي لطخة قد تشوه لمعانه. ضوءُ ما قبل المساء يترشح من خلال النافذة، ينصبّ ظلُ شجر السرو في الحديقة، ترتعش أشرطة الستارة في النسيم، أكواب الشاي على الطاولة، شعرها الأسود مربوط بعناية على ظهرها، ملامحها الحازمة وهي تحدق في الرمز الموسيقي، أصابعها العشرة الطويلة على مفاتيح البيانو، قدماها وهي تضغط على دواسات البيانو مأخوذة بقوة مخفية قد لا تُصدّق في مواقف أخرى، جلدُها الذي مثل

خزف مصقول، أبيض وناعم، وعندما يطلب منها أن تعزف شيئاً فإن هذه القطعة تكون خيارها الأقرب Le mal du pays، حزن لا حدود له يُبعث في قلب امرئ بمشاهدة منظر طبيعة ريفية، الشوق إلى الوطن، الكآبة.

حين أطبق تسوكورو جفنيه وانسجم مع الموسيقى شعر بضيق في صدره صاحبه شعور خانق وحزين، كأنه قبل أن يدرك ذلك الشعور قد ابتلع قطعة قاسية من الغيوم... انتهت المقطوعة الموسيقية وبدأت مقطوعة أخرى ولكنه لم يقل شيئاً، ولم يفعل شيئاً سوى أن سمح لتلك المشاهد أن تنجرف ببساطة نحوه، أما هايدا فكان يطلق عليه نظراته من حين لآخر.

"إذا لم تمانع، أرغب أن أترك هذه الإسطوانة هنا، لا أستطيع الاستماع إليها في غرفتي في السكن أبداً". قال هايدا ذلك وهو يغلّف ألعاب فيديو.

ما زالت تلك المجموعات الثلاث من الأسطوانات إلى الآن في شقة تسوكورو، على يمين باري مانيلو و Pet Shop Boys.

كان هايدا طباخ ماهر. أحب أن يتسوق ويحضّر الطعام في مطبخ تسوكورو لشكره على السماح له بسماع الموسيقى. تركت أخت تسوكورو له مجموعة من القدور والمقالي والصحون، ميراثَه من الأثاث، ومكالمة مؤقتة من أحد أصدقائها السابقين. "أعتذر، لم تعد أختي تسكن هنا أبداً". كان يتناول تسوكورو الغداء مع هايدا مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، يستمعان إلى الموسيقى، يتحدثان، يتناولان الطعام الذي يحضره هايدا، كانت أطباقاً بسيطة ليوم واحد، وفي العُطل عندما يصبح لديه متسع أكثر من الوقت كان يحاول أن يعد الأطباق الأكثر دقة، وتكون جميعها شهية. يبدو أن هايدا يمتلك موهبة الطبخ، وأي شيء يصنعه، من أومليت عادي، حساء ميسو، صلصة الكريما، أو نيجرو، يكون محضراً بمهارة ودراية.

"من السيئ أن تكون في قسم الفيزياء، يجب أن تفتح مطعماً". قال تسوكورو ذلك نصف مازح.

ضحك هايدا. "يبدو هذا جيداً، ولكني لا أحب أن أقيّد في مكان واحد، أحب أن أكون حراً، أذهب أينما أشاء ومتى أشاء، وأكون قادراً على التفكير بأي شيء أريده".

"بالطبع، ولكن لا تستطيع أن تفعل ذلك بسهولة".

"نعم ليس سهلاً ولكني قررت. أنا أحب الطبخ ولكني لا أريد أن أكون مقيداً في المطبخ ليصبح هذا عملاً. إن حصل هذا سينتهي الأمر بكره أحد".

"كره أحد؟".

"الطبّاخ يكره النادل، وكلاهما يكرهان الزبون". قال هايدا. "سطر من مسرحية (المطبخ) لآرنولد ويسكر. الناس الذين يفقدون حريتهم ينتهي بهم الأمر دائماً إلى أن يكرهوا أحداً ما. صحيح؟ أعرف أني لا أريد أن أعيش هكذا".

"أن تكون غير مقيد، تفكر بالأشياء بحرية، أهذا ما تأمل به؟".

"تماماً".

"هذا يعني أن تترك جسدك خلفك، تترك القفص الذي يحوي لحم جسدك، تكسر القضبان، وتسمح للمنطق النقي بالتحليق، تعطي المنطق حياته الطبيعية ، هذا هو أساس التفكير الحر".

هز هايدا رأسه. "لا، هذا يعتمد على كيف تراه، هو ليس بهذه الصعوبة، يفعل كثير من الناس ذلك مرات عديدة دون أن يعلموا، هذا ما يتمكنون من فعله ليبقوا عقلاء، غير مدركين لما يفعلونه تماماً ".

فكّر تسوكورو في هذا، إنه يحب التحدث مع هايدا عن مثل هذا النوع من الأفكار التجريدية، الأفكار التأملية. لا يتكلم تسوكورو كثيراً

في العادة، ولكن شيئاً ما في الحديث مع هذا الشاب يحفّز عقله، وأحياناً تتدفق الكلمات وحدها... إنه لم يجرب ذلك سابقاً، فبالعودة إلى ناغويا والمجموعة التي تضم خمستهم فإنه يلعب، في أغلب الأحيان، دورَ المستمع.

"ولكن إذا لم تفعل ذلك قصداً". قال تسوكورو. "لا تستطيع أن تحصل على حرية التفكير التي تتكلم عنها. صحيح؟".

أومأ هايدا. "تماماً، ولكن هذا بنفس درجة صعوبة أن تحلم الحلم الذي قصدت أن تراه، هذا الأمر خارج عن طبيعتك البشرية".

"الآن، أنت تريد أن تكون قادراً على فعل ذلك قاصداً".

"يمكنك قول ذلك".

"لا أتخيل أنهم يدرّسون ذلك في قسم الفيزياء".

ضحك هايدا. "لا أتوقع أنهم سيدرّسون ذلك في يوم من الأيام، ما أبحث عنه هنا هو محيط حر، ووقت، هذا كل ما أبحث عنه. في الإطار الأكاديمي إذا أردت أن تناقش معنى ما تفكر به عليك أولاً أن توافق على التعريف النظري، حيث تصبح الأشياء شائكة. الأصالة هي لا شيء لكنها محاكاة حكيمة. قال ذلك الواقعيّ، فولتير".

"أنت موافق على ذلك؟".

"كل الأشياء لها حدود، وذات الشيء ينطبق على الأفكار، يجب ألا تخاف من الحدود، و يجب ألا تخاف من هدمها أيضاً. هذا أهم شيء تفعله إذا أردت أن تكون حراً، احترام الحدود، والغضب منها. أكثر ما يهم في الحياة هي الأشياء الثانوية، دائماً. هذا جُلّ ما أستطيع قوله".

"هل أستطيع أن أسألك سؤالاً؟". قال تسوكورو.

"بالتأكيد".

"في الأديان المختلفة يبعث الرسل وبهم نشوةٌ، يستلمون رسالة من وجودٍ كامل".

"صحيح".

"ويحدث هذا في مكان يتجاوز الإرادة الحرة. أليس كذلك؟ وبشكل مجهول دائماً".

"هذا صحيح".

"وهذه الرسالة تتجاوز حدود شخصية المرسَل، وتؤدّى المهام بنهجٍ واسعٍ وكونيّ".

"صحيح أيضاً ".

"ولا يكون في هذه الرسالة تناقض أو التباس".

أومأ هايدا بصمت.

"لم أفهم ذلك". قال تسوكورو. "إذا كان ذلك صحيحاً فما قيمة الإرادة الحرة للإنسان؟".

"هذا سؤال قوي". قال هايدا، وابتسم بهدوء كابتسامة القط وهو يتمدد، وحين يغفو في الشمس.

"أتمنى أن يكون لديّ إجابة لك، ولكني لا أملك الآن أية إجابة ".

بدأ هايدا يبتعد عن شقة تسوكورو في أيام العطل، كان يمكن أن يتحدثا حتى وقت متأخر من الليل، وحينها سيطوي هايدا الكنبة في غرفة الاستقبال ويذهب إلى النوم، وفي الصباح يصنع القهوة، ويعد الأومليت لهما. كان هايدا استثنائياً فيما يتعلق بالقهوة، كان يستخدم دائماً حبوباً معطِّرة، يضعها في مطحنة كهربائية صغيرة يحضرها معه دائماً. كان إخلاصه للبن ترفاً في فقره ونمطِ حياته الضئيلة.

أفصح تسوكورو لهذا الصديق الجديد والكاتم للأسرار عن كل أموره الشخصية، ومع ذلك كان يتجنب ذكر أصدقائه الأربعة في ناغويا، فلم يكن الحديث عنهم شيئاً سهلاً، ولا تزال الجروح غضيضة وعميقة.

أما الآن، فعندما يكون برفقة صديقه الصغير فإنه يستطيع بشكل عام أن ينساهم. لا. ينسى ليست الكلمة المناسبة، فالألم من رفضه بهذا الشكل العلنيّ ظل يصاحبه، والآن هو كالمد والجزر ينحسر ويفيض، تارة يغمر قدميه وتارة أخرى يتراجع بعيداً...بعيداً جداً إلى ذلك الحد الذي لا يمكن اكتشافه أبداً. تمكّن تسوكورو شيئاً فشيئاً أن يشعر بأنه قد وضع جذوراً في تربة طوكيو الجديدة. لقد بنى حياة جديدة هناك وإن كانت صغيرة ووحيدة، وبدت أيامه التي قضاها في ناغويا شيئاً من الماضي، غريبة تقريباً ولكنها كانت خطوة إلى الأمام بلا شك، أتت بصديقه الجديد، هايدا، إلى حياته.

كان لدى هايدا رأي في كل شيء، وكان يناقش انطباعه بمنطق، وكلما قضى تسوكورو وقتاً أطول مع صديقه الجديد؛ تأصّل احترامه له. ولكن تسوكورو الآن، لا يفهم لم انجذب هايدا إليه، أو لمَ هو مهتم به، ولكنهما كانا يستمتعان برفقة بعضهما البعض، حتى إن الوقت يمر سريعاً وهما يتمازحان.

وعندما يكون تسوكورو وحيداً تراوده رغبة أن تكون له حبيبة... يودّ أن يضم امرأة، يعانق جسدها، يتنفس رائحة جلدها، وهذه رغبة طبيعية تماماً لشابٍ سليم، ولكنه عندما يحاول أن يستحضر صورة امرأة، أوعندما يفكر بعناق امرأة، تأتي في عقله مباشرة، لأسباب ما، صورتا شيرو وكورو. إنهما تظهران دائماً في هذا العالم المتخيَّل كثنائي متلازم، وهذا ما يضيف لتسوكورو، دائماً، ولسبب غير مفهوم، شعوراً كئيباً. لماذا يجب أن تبقى هاتان الاثنتان معي دائماً، وحتى الآن؟ فكّرَ. لقد رفضتاني بشكل قاطع، وقالتا أنهما لا تريدان رؤيتي أبداً ولا تريدان التحدث معي مرة أخرى، لمَ لمْ تخرجا بهدوء وتتركاني وشأني؟!

عشرون سنة هو سنُّ تسوكورو تازاكي الآن، وإلى الآن لم يعانق أي امرأة، لم يقبّلها، أو يمسك يدها، أو حتى يواعدها.

في الواقع، لا بد أن يكون هناك خطأ ما، فكّر تسوكورو بهذا كثيراً. هناك شيء ما يُغلق المسار الطبيعي للمشاعر، ويشوّه شخصيتي. ولكن لم يعرف تسوكورو إن كان هذا بسبب رفضه من أصدقائه الأربعة، أو لسبب فطريّ، مشكلةٌ موجودة لديه من الأساس، لا علاقة لها بالصدمة التي مر بها.

* * *

في إحدى ليالي يوم السبت، ظل تسوكورو وهايدا مستيقظان ويتحدثان كالعادة، إلى أن تغير الموضوع، فأصبحا يتكلمان عن الموت، عن معنى الموت، يجب أن تعيش إلى جانب المعرفة إلى أن تموت معها. ناقشا ذلك من منحى نظريّ في الغالب. أراد تسوكورو أن يوضح له ما أقربَ ما كان من الموت مؤخراً، و مقدار التغير العميق الذي نتج عن تلك التجربة، تغيّرٌ على المستوى الجسدي والنفسي. أراد أن يخبره عن الأشياء الغريبة التي رآها، ولكنه يعرف أنه إذا قام بذلك فسيضطر إلى توضيح تسلسل الأحداث بأكمله من البداية حتى النهاية. ولكن كالعادة لم يترك هايدا له مجالاً للكلام، وظل تسوكورو جالساً يستمع.

في الساعة الحادية عشرة وبضع دقائق مساء (الوقت الذي يسميانه ليلاً، وحينها يتجهزان للنوم) تلاشى الكلام، وعمّ الصمت في أرجاء الغرفة. كانا قد عزما على الاستيقاظ باكراً، لكن هايدا بقي جالساً، متربّعاً على الكنبة، وذاهباً في تفكير عميق، ثم بنبرة مترددة غير عادية، بدأ يتكلّم.

"لديّ قصة غريبة متعلقة بالموت، شيء أخبرني به أبي. قال إنه قد حدث معه شيء حقيقي عندما كان في أوائل العشرينات من عمره، كما هو سني الآن، لقد سمعت القصة عدة مرات وأستطيع تذكر كل تفاصيلها، إنها غريبة فعلاً، ويصعب عليّ حتى الآن تصديق إن كان ذلك قد حصل فعلاً، لكن

(5)

أبي لم يكن من النوع الذي يكذب بمثل هذه الأمور، أو من النوع الذي يخترع قصصاً مثلها، أنا متأكد أنك تعلم ذلك، فعندما تؤلف قصة بنفسك فإن تفاصيلها ستتغير في كل مرة أعدت روايتها، إنك تميل إلى زخرفة الأشياء ثم تنسى ما قد قلته... لكن قصة أبي من بدايتها حتى نهايتها تبقى دائماً هي ذاتها في كل مرة يقصّها على أحد، لذلك أومن أن ثمة شيئًا قد حصل معه فعلاً، أنا ابنه وأعرفه جيداً، والشيء الوحيد الذي عليّ فعله هو أن أصدق ما يقول. أما أنت تسوكورو فإنك لا تعرف أبي، فلك الحرية في تصديقه أو عدم تصديقه، لكن عليك أن تدرك أن هذا ما قاله، يمكن أن تحسبها (فولكلور) أو قصة خارقة، ليس لدي مانع. إنها قصة طويلة، وقد تأخر الوقت، لكن هل تمانع أن أرويها لك؟

بالتأكيد، قال تسوكورو، لا بأس في ذلك. لا أشعر بالنعاس الآن.

الفصل الخامس.

"أمضى أبي، عندما كان صغيراً، سنة كاملة يتجول في اليابان". بدأ هايدا. "كان هذا في بداية الستينات، في أوج عصر الثقافة المضادة، عندما كانت تقوم الحركات الانقلابية في الجامعات. لا أعرف كامل التفاصيل، ولكن عندما كان في الجامعة في طوكيو حصلت أشياء كثيرة غبية، ثم سئم من السياسة وترك تلك الحركة. أخذ إجازة من الجامعة وبدأ يتجول في اليابان. عمل في وظائف مؤقتة ليكسب قوته، وكان يقرأ الكتب عندما يجد وقتاً، يلتقي بجميع أصناف الناس، يحظى بحياة حقيقية، وبخبرة عملية. يقول أبي أن ذلك الوقت كان أسعد أيام حياته، عندما تعلم بعض الدروس المهمة. كان يخبرني عندما كنت طفلاً بعض القصص التي حصلت معه في تلك الأيام، كجندي قديم يسرد ذكريات معارك قديمة في مكان قصيّ. رجع إلى الجامعة بعد تلك الأيام البوهيمية، وعاد إلى حياته الأكاديمية. ولم يذهب بعدها إلى رحلة طويلة مرة أخرى، وحسب ما أعرف كان يقضي وقته يجيء من المكتب إلى البيت، والعكس. هذا غريب أليس كذلك؟ لا يهم كيف تبدو حياة الأشخاص هادئة ومريحة، فهناك دائماً وقت ما في الماضي كانوا قد وصلوا فيه إلى مأزق، وقت أصيبوا فيه بالجنون قليلاً، أعتقد أن الناس بحاجة إلى مثل هذه المرحلة في حياتهم".

عمل والد هايدا في ذلك الشتاء بمهنة حرفي عامّ في منتجع للينابيع الساخنة في جبال محافظة أويتا شمال اليابان، لقد أحب المكان فعلاً، وقرر أن يبقى على هذا الوضع مدة قصيرة، طالما هو يؤدي مهامه اليومية، والأعمال المتنوعة الأخرى الموكلة إليه، وباقي الوقت يستطيع أن يفعل ما يشاء. أجره كان قليلاً ولكن كانت لديه غرفة مجانية بالإضافة إلى ثلاث وجبات في اليوم، ويمكنه الاستحمام في الينابيع الساخنة متى يرغب، وعندما لا يكون لديه عمل يستلقي في غرفته

الضيقة ويقرأ. الأشخاص الآخرون كانوا مثل طلاب طوكيو- قليلي الكلام وغريبي الأطوار. الوجبات كانت بسيطة وشهية، مصنوعة من مكونات طازجة ومحلية. المكان كان، فوق هذا كله، معزولاً عن العالم الخارجي، لم تكن هناك غرفة مخصصة للتلفاز، والصحف تصل يومياً في وقت متأخر، وأقرب محطة للحافلات كانت تبعد عن الجبال ثلاثة كيلومترات، ووسيلة النقل الوحيدة التي تأخذك من هناك وتعيدك عبر الطريق الوعر هي جيب قديمة ومتكسرة، وهي ملك للحانة. وكانت الكهرباء في الجبال قد ثُبتت حديثاً.

أمام الحانة جدول جميل تستطيع أن تلتقط منه الكثير من الأسماك الثابتة والملونة، طيور مزعجة تقرأ دائماً سطحه، نداؤها حاد. ولم تكن مراقبة خنزير بري أو قرد يتجول في مكان قريب أمراً مألوفاً. كانت الجبال كنزاً من النباتات البرية الصالحة للأكل، كان الشاب هايدا قادراً في هذه البيئة المعزولة أن يدلل نفسه بالقراءة والتأمل، ولم يعد مهتماً بما يحصل في العالم الحقيقي.

بدأ أثناء زياراته للحانة على مدار شهرين يتحدث مع زائر مقيم هناك، بدا على الرجل أنه في منتصف الأربعينات، طويلاً، رجلاه طويلتان ونحيلتان، وشعره قصير، يرتدي نظارة بإطار ذهبيّ، لديه انحسار في خط الشعر يجعل قمة رأسه ملساء كبيضة طازجة. صعد الجبال وحده، يرتدي حقيبة سفر بلاستيكية تحمل على كتف واحد. لقد بقي في الحانة مدة أسبوع، كان يرتدي ثيابه التي لا تتغير عندما يخرج، معطفاً جليدياً، بنطال جينز، وحذاء العمل، وفي الأيام الباردة يضيف قبعة من الصوف وشالاً أزرق داكن، كان اسم الرجل ميدوريكاوا. في الأقل هذا هو الاسم الذي وقّعه في دفتر زوار الحانة، مع العنوان: في مدينة كوجاني في طوكيو. كان يدفع نقداً أجرة إقامته البارحة، وبدقة كل صباح.

(ميدوريكاوا؟ "نهر أخضر"، شخص آخر بلون، فكر تسوكورو، لكنه لم يقل شيئاً وبقي يستمع إلى باقي القصة).

لم يكن ميدوريكاوا يفعل شيئاً مميزاً، يقضي أوقاته يتبلل، في حمام في الهواء الطلق، يتمشى في التلال القريبة أو يستلقي في كاتاتسو (الطاولة التي تبقي القدمين دافئتين) يقرأ كتب الجيب التي جلبها معه (أسرار طائشة في الغالب) وفي وقت العصر يتناول زجاجة من السيك الساخن لا أكثر ولا أقل. كان قليل الكلام كوالد هايدا، ولا يتكلم إلا للضرورة، لذلك لم يكن يبدو عليه أنه يزعج الآخرين في الحانة، وكانوا معتادين على ذلك النوع من الضيوف، كل الذين يأتون إلى هذه الينابيع الساخنة النائية غريبون، من هؤلاء الذين يبقون لوقت طويل وأكثر.

وفي صباح أحد الأيام قبل بزوغ الفجر، كان هايدا يبلل جسده من مياه الينابيع الساخنة بجانب النهر عندما أتى ميدوريكاوا ليستحم وبدأ يتحدث معه، ولسبب ما بدا على ميدوريكاوا أنه أحس بإعجاب عميق تجاه هذا العامل الصغير الذي يقوم بأعمال مختلفة، وربما نبع هذا الاهتمام -إلى حد ما- في الوقت الذي رأى فيه هايدا على الشرفة يقرأ كتاباً لجورج باتاي.

أنا عازف بيانو لموسيقى الجاز. قال ميدوريكاوا. لدي خيبات أمل على المستوى الشخصي، الروتين اليومي سيطر علي، لذا جئت وحدي إلى هذا المكان الهادئ، إلى عمق الجبال على أمل أن أرتاح، في الحقيقة لقد انطلقت دون أي تخطيط وانتهى بي الأمر هنا. أحببته، كل شيء قد جُرّد من الكماليات. سمعت أنك من طوكيو أيضاً؟

وضّح هايدا ذلك مختصراً موقفه بقدر ما يستطيع، وهو ينتقع بالماء الساخن في الضوء الباهت، كيف أراد أن يأخذ إجازة من الجامعة ويتجول في اليابان، وبجانب ذلك كان الحرم الجامعي قد حوصر، أضاف، فلم يكن هناك داعٍ للبقاء في طوكيو.

ألست مهتماً بما يجري الآن في طوكيو؟ سأل ميدوريكاوا. إنها مسرحية فعلاً، صخبٌ وراء صخب، يومياً، مثل أن يكون العالم كله قد انقلب رأساً على عقب. ألا تشعر باستياء من كونك ضيّعت عليك ذلك؟

لا ينقلب العالم بتلك السهولة، أجاب هايدا. إن الناس هم من ينقلبون على رؤوسهم، ولم أشعر باستياء عندما فاتني ذلك. بدا على ميدوريكاوا أنه يقدّر اقتضابَ الرجل الأصغر سناً في الكلام وأسلوبَه المباشر.

أتساءل إذا كان هناك مكان يمكنني أن أعزف فيه على البيانو. سأل ميدوريكاوا هايدا.

هناك مدرسة ثانوية على الجانب الآخر من الجبل، رد هايدا. عندما ينتهي دوام المدرسة ربما يسمحون لك بالعزف على البيانو بغرفة الموسيقى. فرح ميدوريكاوا لسماع ذلك. هلا أخذتني إلى هناك إذا لم تكن لديك مشكلة؟ قال ميدوريكاوا. نقل هايدا طلبه إلى صاحب الحانة الذي أخبره بأن يصطحبه إلى هناك، ثم اتصل صاحب الحانة بالمدرسة لتجهيزها، وذهب الاثنان إلى الجبل. المطر كان قد توقف للتو لذلك كان الطريق زلقاً، تدلت حقيبة ميدوريكاوا بشكل قطري على كتفيه، فصار يخطو خطوات كبيرة، واثق القدم، إلى آخر الطريق، فظاهرياً بدا أقوى من أن يكون شخصاً يعيش في المدينة.

لوحة البيانو القديم الموجود في الغرفة كانت غير مستقيمة والنغم غير مضبوط لكنه مع كل هذا كان محتملاً. جلس ميدوريكاوا على الكرسي الذي يحدث صريراً، مد أصابعه ودق على كل المفاتيح الثمانية والثمانين، ثم بدأ يجرب بعض الكوردات، الخامس، السابع، التاسع، الحادي عشر. لم يبدُ راضياً عن الصوت ولكن تبين أنه قد حصل على رضى جسدي بمجرد أن دق على المفاتيح. وعندما شاهد هايدا أصابعه كيف تتحرك بخفة وليونة عليها أصر أن ميدوريكاوا يجب أن يكون عازف بيانو معروفاً جداً.

وبعدما جرب ميدوريكاوا البيانو أخذ كيساً صغيراً من القماش من حقيبته وبلطف وضعه على سطح البيانو. الكيس مصنوع من قماش ثمين، فتحته مربوطة بخيط. ربما رماد أحدهم؟ فكر هايدا. يبدو أن وضع القماش على سطح البيانو في كل مرة يعزف فيها هي موهبة لديه، يمكنك أن تقول ذلك من الطريقة المحترفة التي يفعل بها ذلك.

بدأ ميدوريكاوا يعزف "Round Midnight " بتردد. بدأ يعزف كل كورد بحذر واحتراس في بداية الأمر كمن يغرز أصابع قدميه في النهر يختبر سرعة المياه ويبحث عن موطئ قدميه. بدأ يرتجل مدة طويلة بعد أن عزف المقدمة الرئيسة، ومع الوقت أصبحت أصابعه أكثر رشاقة وسخاء بحركاتها كسمكة تسبح في مياه صافية. اليد اليسرى ألهمت اليمنى واليد اليمنى حفّزت اليسرى. لم يكن والد هايدا يعرف كثيراً عن الجاز ولكنه صدف أن كان على معرفة بمعزوفة ثيلونيوس مونك، ثم وصل ميدوريكاوا مباشرة إلى قلب المقطوعة، كان عزفه مفعماً بالعاطفة حتى نسي هايدا أمر النغمة غير المضبوطة. كلما سمع الموسيقى داخل الغرفة هذه في المدرسة الثانوية المتعمقة في الجبال شعر هايدا (الجمهورُ الوحيدُ الذي يستمع إلى عزفه) بأن كل ما هو ملوث داخله قد انجرف، وتداخل جمال الموسيقى البسيط مع الهواء النقي المليء بالأكسجين ومع ماء الشلال البارد والصافي، الجميع لهم دور في الحفلة الموسيقية حتى ميدوريكاوا كان ضائعاً في عزفه كأن كل التفاصيل الصغيرة للحقيقة قد اختفت. لم يرَ هايدا أحداً يستغرق تماماً بما يفعله، لم يرفع عينيه عن أصابع ميدوريكاوا العشرة التي تتحرك كمخلوقات حية مستقلة.

أنهى ميدوريكاوا العزف خلال خمس عشرة دقيقة، أخرج منشفة سميكة من حقيبته، وبحرص مسح وجهه المتعرق، أغلق عينيه برهةً كأنه كان يستغرق في التفكير بأمر ما. "حسناً". قال أخيراً. "هذا يكفي، لنرجع". مد يده، أمسك قطعة القماش الموضوعة على البيانو وبلطف أرجعها إلى حقيبته.

"ما قطعة القماش هذه؟". تجرأ والد هايدا وسأله.

"تعويذة تجلب لي الحظ". قال ميدوريكاوا بيسرٍ.

"كالملاك الحارس لإله البيانو؟".

"لا، إنــها تشــبه شــخصيتي الــبديــلة أكــثر ". رد مــيدوريــكاوا، وبابتسامة متعبة على شفتيه. "هناك قصة غريبة وراءها، ولكنها طويلة جداً، وأحسب أني منهك كثيراً لأرويها الآن".

توقف هايدا وألقى نظرة سريعة على الساعة المعلقة على الحائط، ثم نظر إلى تسوكورو. إنه بالطبع هايدا الابن، ولكن هايدا الأب كان بنفس سنه في هذه القصة، بدأت الشخصيتان تتداخلان في عقل تسوكورو. كان إحساساً غريباً كأن الزمانين المختلفين امتزجا في زمن واحد، ربما لم يكن الأب هو من حصل معه هذا بل الابن، ربما رواها هايدا كأنها حصلت مع والده لكن في الواقع حصلت معه. لم يستطع تسوكورو أن يتخلص من هذا الوهم.

"إن الوقت تأخرَّ، سأكملها لاحقاً إذا كنت تشعر بالنعاس".

لا إن الوقت مناسب، قال تسوكورو. لا أشعر بالنعاس. كانت قد عصفت عليه الرياح الثانية، وأراد أن يسمع بقية القصة.

"حسناً، سأكمل". قال هايدا. "وأنا كذلك، لا أشعر بالنعاس".

* * *

كانت تلك هي المرة الوحيدة التي سمع فيها هايدا عزف ميدوريكاوا. بعدما عزف "Round Midnight" في غرفة الموسيقى في المدرسة الثانوية، بدا عليه أنه فقد الشهية في العزف مرة أخرى. "ألا تريد أن تعزف مرة أخرى؟". سأله هايدا محاولاً استدراجه، ولكن حركة رأس ميدوريكاوا الصامتة كانت رده الوحيد، ثم استسلم

هايدا ولم يعد يسأله. لم يعد ميدوريكاوا يخطط أن يعزف مرة أخرى على البيانو، وتمنى هايدا أن يتمكن من سماع عزفه مرة أخرى.

يمتلك ميدوريكاوا موهبة صادقة، ولا شك في هذا، فلعزفه قدرة على إثارة المستمع غريزياً وجسدياً، ونقلك إلى عالم آخر، ليس من النوع الذي تخلقه بسهولة.

ولكن ماذا تعني هذه الموهبة الفريدة لميدوريكاوا نفسه؟ لم يفهم هايدا ذلك، إذا كنت تملك مثل موهبته، أستسعدك أم ستكون عبئاً؟ رحمة أم لعنة؟ أم شيئاً يحتوي كل تلك المكونات معاً؟ أياً كان، لم يبدُ ميدوريكاوا شخصاً سعيداً، تبدل انفعاله إلى شيء ما بين الكآبة واللا مبالاة، يمكن لابتسامة طفيفة أن تعلو شفتيه من حين لآخر ولكنها دائماً ما تكون مكبوتة وساخرة قليلاً.

وفي أحد الأيام حيث كان هايدا يقطع الخشب، جاء إليه ميدوريكاوا وهو في الساحة الخلفية يحمل الحطب.

"هل تشرب؟". سأله.

"قليلاً". ردّ هايدا.

"لا بأس بالقليل منه". قال ميدوريكاوا. "هل تشرب معي الليلة؟ تعبت من أن أشرب وحدي".

"لدي بعض الواجبات لأقوم بها في المساء، وسأفرغ منها في السابعة والنصف".

"حسناً، تعال إلى غرفتي عندئذ ".

وعندما وصل هايدا الصغير إلى غرفة ميدوريكاوا كان العشاء مجهزاً لهما، سفرة طويلة مع شراب سيك ساخن. جلسا قبالة بعضهما يأكلان ويشربان. أكل ميدوريكاوا أقل من نصف حصته من العشاء

ولكنه قد شرب السيك، وخدم نفسه بنفسه، لم يقل أي شيء عن حياته الخاصة، وبدلاً من ذلك كان يسأل هايدا عن المكان الذي نشأ فيه (في أكيتا) وعن حياته الجامعية في طوكيو، وعندما علم أن هايدا كان يدرس الفلسفة سأله بعض الأسئلة المتعلقة باختصاصه، عن نظرية هيجل، عن كتابات أفلاطون. واقعياً، بدا واضحاً عليه أنه قد قرأ تلك الأنواع من الكتب، ولم تكن الكتب التي تحتوي على الغموض هي الوحيدة التي قرأها.

"فهمت، إذن أنت تؤمن بالمنطق، أليس كذلك؟". قال ميدوريكاوا.

"نعم، أؤمن بالمنطق، وأعتمد عليه، هذا كل ما تدور حوله الفلسفة في النهاية". رد هايدا.

"ثم فأنت لا تحب أي شيء يتنافى مع المنطق؟".

"بعيداً عن إن كنت أرغب في ذلك أو لا، أنا لا أرفض التفكير بالأشياء غير المنطقية، هذا ليس أنني أمتلك إيماناً عميقاً في المنطق، أعتقد أنه من الضروري أن تجد الفكرة من هذا التداخل بين ما هو منطقي وما هو غير منطقي".

"هل تؤمن بالشيطان؟".

"الشيطان؟ تقصد الفتى الذي لديه قرون؟".

"هذا صحيح، إذا كان يمتلك قروناً في الحقيقة أو لا، لا أعرف".

"إذا كنت تقصد الشيطان المَجاز الذي يعني الشر فأنا أومن به".

"ماذا إذا كان هذا المجاز الذي يعني الشر يأخذ شكلاً حقيقياً؟".

"لا يمكنني قول أي شيء إذا لم أره". قال هايدا.

"ولكن ما إن تراه فسيكون الوقت قد تأخر كثيراً".

"حسناً، نحن نتحدث بفرضيات الآن، إذا أردنا أن نتابع الحديث أكثر فسنحتاج إلى بعض الأمثلة المادية، كالجسر في حاجته للعوارض

الخشبية. كلما ذهبت أكثر في هذه الفرضيات؛ أصبح الأمر زلقاً أكثر، وأي استنتاج ستستخلصه سيصبح أقرب إلى الوهم".

"أمثلة؟". قال ميدوريكاوا. أخذ رشفة من السيك وامتعض. "ولكن في بعض الأحيان عندما يظهر مثال يجيء سؤال أستوافق عليه أم لا، أو هل ستؤمن به. ليس هناك أرض في الوسط، يجب أن تقوم بقفزة عقلانية، المنطق لن ينقذك".

"ربما لا تتمكن من ذلك. المنطق ليس دليلاً ملائماً لتعرضه، مع أنه لاحقاً يتوجب عليك أن تقيس أي حالة بالمنطق.

"ولكن في ذلك الوقت، قد تكون قد تأخرت".

"ولكن ليس هناك ما يمكن فعله بالمنطق".

ابتسم ميدوريكاوا. "معك حق، بالطبع. حتى لو وجدت في آخر الطريق أن الوقت متأخر لذلك فهذا مختلف عن منطق ذلك، هذا صوت الجدال. لا مجال للمناقشة".

"هل خضت مثل تلك التجربة سيد ميدوريكاوا؟ الموافقة على شيء، الإيمان به، أخذ قفزة لما وراء المنطق؟".

"لا". أجاب ميدوريكاوا. "لا أومن بشيء، لا المنطقي منه ولا اللا منطقي، لا أومن بالله ولا بالشيطان. ولا امتداد للفرضية، ولا شيء كالقفزة. أنا أتقبل بصمت كل شيء كما هو فحسب. في الواقع، هذه هي مشكلتي الأساسية. لا أستطيع وضع حاجز لائق بين الفاعل والشيء".

"ولكنك موهوب جداً، بما يخص الموسيقى".

"أتعتقد ذلك؟".

"موسيقاك تستطيع أن تحرك الناس، ليست لدي معرفة كبيرة بالجاز، ولكن هذا كل ما أستطيع قوله".

هز ميدوريكاوا رأسه على مضض. "يمكن أن تكون الموهبة شيئاً جميلاً تمتلكه في بعض الأحيان، فتبدو جيداً، تجذب الانتباه، وإذا كنت محظوظاً تكسب المال، وتندفع النساء إليك. بمعنى، أن تكون لديك موهبة أفضل من لا تكون، لكن فوائدها لا تظهر إلا إذا أُوليت اهتماماً مادياً وفكرياً قاسياً وشديداً. كل ما تأخذه هو برغياً تضعه في دماغك لتصبح خاسراً وتسقط، أو يكون لبعض الوصلات في جسدك لتتدمر، يتلاشى تركيزك مثل الندى في ساعات الصباح، وجع أسنان بسيط، أكتاف متيبسة، فلا تستطيع أن تعزف على البيانو بشكل جيد. هذا صحيح، لقد جربت ذلك في الحقيقة، تجويف واحد، كتف واحد متألم، والمشهد الجميل والصوت الذي أملت أن أوصله خرج من النافذة. جسد الإنسان الهش نظام معقد يمكن أن يتحطم بسبب شيء تافه جداً، وفي أغلب الحالات عندما يحدث وأن يتحطم لا يمكن استعادته بسهولة، التجويف أو الكتف الضعيف يمكن أن تتغلب عليه ولكن هناك أشياء كثيرة لا يمكنك تجاوزها، إذا كانت الموهبة هي الأساس الذي تعتمد عليه، والآن هي شيء لا يُعتمد عليه كثيراً لدرجة أنك لا تعرف ماذا سيحدث لها في الدقيقة القادمة. فماذا تعني إذاً؟

"ربما تكون الموهبة عابرة". رد هايدا. "وليس هناك الكثير ممن لا يستطيع تحملها مدى الحياة، ولكنها تجعل من القفزة الروحية العظيمة ممكنة، هي ظاهرة عالمية مستقلة تتجاوز الأفراد".

تأمل ميدوريكاوا ذلك للحظة قبل أن يجيب. "مات موزارت وشوبارت وهما في سن صغيرة، ولكن موسيقاهما بقيت إلى الآن. هل هذا ما تقصده؟".

"يمكن أن يكون هذا مثالاً".

"ذلك النوع من الموهبة دائماً استثناء، معظمهم يود أن يدفع ثمن عبقريته من خلال قبول حياة قصيرة الأمد وموت يجيء في غير أوانه، إنهم يعقدون صفقة واضعين حيواتهم على الخط، سواء كانت الصفقات

مع الله أو مع الشيطان، لا أعرف". تنهد ميدوريكاوا وبقي صامتاً مدة. "تغيير في الموضوع قليلاً". أكمل، "ولكن، في الحقيقة أنا أموت، وبقي لي شهر واحد".

جاء دور هايدا ليصمت، لم تأته أية كلمة.

"أنا لا أحارب أي مرض أو أي شيء". قال ميدوريكاوا. "أنا في صحة جيدة، ولا أفكر في الانتحار، إذا كان هذا ما تفكر فيه فتستطيع أن تستريح".

"إذاً كيف تعرف أنه تبقى لموتك شهر واحد؟".

"أحد ما أخبرني بذلك، بقي لك أن تعيش شهرين، قال، كان ذلك قبل شهر".

"من سيقول شيئاً مثل هذا؟".

"لم يكن طبيباً، أو عرافة، كان شخصاً عادياً، مع أنه في ذلك الوقت كان ميتاً أيضاً".

قلّب هايدا الصغير ذلك في عقله ولكن موطئ أقدامه المنطقيّ تفلّت منه. "إذن هل... جئت إلى هنا تبحث عن مكان لتموت فيه؟".

"يمكن قول ذلك".

"لا أستطيع أن أتابعك تماماً، ولكن ألا توجد طريقة ما تستطيع من خلالها تجنب الموت؟".

"هناك طريقة واحدة". قال ميدوريكاوا. "أن تأخذ تلك الصفة (صفة الموت) إن شئت، وتحوّلها إلى شخص آخر. ما أعنيه هو أن تجد أحداً آخر ليموت في مكانك. تمرر العصا إليه، تقول له: "حسناً، جاء دورك". وبعدها تغادر. افعل ذلك وستلغي الموت في ذات اللحظة. ولكن أنا لا أخطط لذلك، كنت أفكر منذ وقت طويل أنني أرغب أن أموت في أقرب وقت، ربما هذا ما أحتاج إليه".

"حسناً تعتقد أنه لا بأس في أن تموت، كما أنت الآن؟".

"أصبحت الحياة لا تطاق، ليس لدي مانع أن أموت كما أنا، لا أملك الطاقة لأخرج وأبحث عن طريقة تساعدني على الحياة، ولكني بهدوء قبلت أن أموت، هذا ما أستطيع القيام به".

"ولكن كيف بالضبط تسلّم صفة الموت هذه إلى شخص آخر؟".

رفع ميدوريكاوا كتفيه، كأنه غير مهتم بالأمر حقاً. "هذا سهل، يجب على الشخص الآخر أن يدرك ما أقوله فحسب، يوافق عليه، يعطي موافقته الكاملة، ويوافق على أن يلتزم بها، وحينها يتم التحويل، يمكن أن تكون موافقة كلامية، هز الرأس مقبول، لا ضرورة لوثيقة موقعة ومختومة أو عقد أو شيء آخر، هي ليست نوعاً من الأشياء الروتينية".

أمال هايدا رأسه. "ولكن ليس من السهل أن تجد أشخاصاً مستعدين لأخذه منك، إذا كان أخذه منك يعني أنهم سيموتون في القريب العاجل".

"هذه نقطة منطقية". قال ميدوريكاوا. "لا تستطيع أن تطرح هذه الفكرة على أي أحد، لا تستطيع أن تتسلل إلى أحد ما ثم تهمس في أذنه عفواً، هل يمكن أن تموت مكاني؟ يجب أن تكون حذراً جداً في الاختيار، تصبح هنا الأشياء شائكة قليلاً".

حدق ميدوريكاوا ببطء إلى كل أنحاء الغرفة، وتنحنح.

كل شخص له لونه الخاص، هل تعلم ذلك؟". قال.

"لا. لا أعلم".

"كل فرد له لونه المميز الخاص به، يومض قرب حدود جسده، كالهالة أو كالإضاءة الخلفية. لدي القدرة على رؤية هذه الألوان بوضوح.

سكب ميدوريكاوا كوباً من السيك وأخذ رشفة منه، وعلى مهل أخذ يتذوق طعمه.

"هل القدرة هذه على كشف الألوان قد نشأت معك منذ الولادة؟". سأل هايدا بريبة.

هز ميدوريكاوا رأسه. " لا، ليست فطرية بل هي قدرة مؤقتة، تكتسبها من موافقتك على تبادل الموت الفوري. وإنها تمرر من شخص لآخر حالاً، وأنا المتعهد بها".

ظل هايدا الشاب صامتاً لفترة. لم تأته أية كلمة.

"هناك ألوان في العالم أحبها فعلاً". قال ميدوريكاوا. "وهناك ألوان أكرهها. ألوان جذابة، وأخرى حزينة، هناك من لديه لون عميق جداً، في حين البعض الآخر لديه لون باهت، سيرهقك هذا حتماً، لأنك ترى كل تلك الألوان حتى إن لم تكن تريد ذلك، لا أحب أن أكون في أمكنة مزدحمة جداً لهذا السبب، هذا ما جعلني أنتهي إلى هذا المكان البعيد.

بالكاد كان هايدا يعي ما يقوله. "إذن أنت تخبرني أنك تستطيع أن ترى اللون الذي يطلقه جسدي؟".

"نعم بالتأكيد، ومع هذا لا أريد أن أخبرك به". قال ميدوريكاوا. "ما أحتاج فعله هو أن أجد الأشخاص الذين لديهم نوعاً محدداً من الألوان، لوناً يرافقه توهج. هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون الذي أستطيع أن أنقل إليهم صفة الموت، لا أستطيع تسليمه إلى أي أحد".

"هل يوجد في العالم الكثير ممن لديهم هذا اللون وهذا التوهج؟".

"لا، ليس كثيراً، أخمن أن أجد واحداً من ألف أو ربما ألفين، ليس من السهل أن تجدهم، وليس مستحيلاً أيضاً. الأصعب من ذلك أن تجد الفرصة لتجلس معهم وتناقشهم بذلك بجديّة. كما تتخيل، إنه ليس بالأمر السهل".

"ولكن أي نوع من الناس هم؟ الأشخاص المستعدون للموت مكان أحدٍ لا يعرفونه حتى؟".

ابتسم ميدوريكاوا. "أي نوع من الناس؟ لا أستطيع الإفصاح عن ذلك حقاً. كل ما أعرفه أنهم يملكون نوعاً خاصاً، عمقاً محدداً من التوهج يحدد أجسادهم. إنها مميزات إضافية فقط، إذا كنت سأغامر وأخمن (وهذا سيكون رأيي الخاص) فتذكر أنني سأقول أن هناك أشخاصًا ليسوا خائفين من القفزة النوعية، وأنا واثق أنهم يملكون كل الأسباب التي تجعلهم يفعلون ذلك".

"حسناً، أنا محظوظ لأنهم غير خائفين منها، ولكن لماذا يقفزون". لم يقل ميدوريكاوا شيئاً لمدة، وفي الصمت بدا اندفاع الشلال أشد. ابتسم ابتسامة عريضة أخيراً.

"والآن تأتي منطقة نفوذي".

"هذا ما أرغب بسماعه". قال هايدا.

"في الوقت الذي تقبل فيه أن تتحدى الموت، ستكتسب قدرة خارقة، قوةً خاصةً يمكنك أن تسميها. إدراك الألوان التي يصدرها الناس هي واحدة فقط من الوظائف التي تقوم بها تلك القوة، ولكن في جذورها كلها قدرة على توسيع مداركك، تملك القدرة على دفع ما يسميه ألدوس هكسلي "أبواب الإدراك"، إدراكك يصبح نقياً خالصاً، وكل شيء حوله يصبح واضحاً كانقشاع الضباب، تملك رؤية معرفية لا محدودة للعالم وترى الأشياء التي لم ترها من قبل".

"هل أداؤك في اليوم الآخر كان نتيجةَ تلك القدرة؟".

هزّ ميدوريكاوا رأسه قليلاً. "لا، كان هذا ما أستطيع فعله دائماً، أعزف مثل ذلك العزف منذ سنين، الإدراك مكتمل في حد ذاته، ولا يكشف عن نفسه في الخارج ليصبح دليلاً ملموساً، وليس هناك مصالح مادية، يصعب عليّ شرح ذلك في كلمات، يجب أن تجربه لتفهم، إلا أن

هناك شيء واحد يمكنني قوله أنه عندما ترى الرؤية الحقيقية تلك بعينيك سيبدو العالم الذي عشت فيه وتعيش فيه حتى الآن مسطحاً وغير مشجع، ليس هناك منطق أو لا منطق في ذلك المشهد، لا خير ولا شر، كل الأشياء اندمجت مع بعضها، وأنت جزء من هذا الاندماج. تترك حدود جسدك الفيزيائي خلفك لتصبح كائناً ميتافيزيقياً، تصبح حدساً، إحساساً رائعاً ومليئاً بالخيبة في ذات الوقت، لأنك في آخر دقيقة على الغالب تدرك ما أكثرَ ما كانت حياتك ضحلة وسطحية، وترتجف من الحقيقة التي ظهرت في ذلك الوقت الذي أصبحت فيه قادراً على فهم هذه الحياة".

"وتعتقد أن اختبار ذلك الإحساس يستحق التجربة حتى إذا كان يعني أن تلتزم بالموت؟ وحتى إذا جربته لبعض الوقت؟".

أومأ ميدوريكاوا. "حتماً. هذا إحساس قيّم، أضمن ذلك".

بقي هايدا صامتاً مدةً.

"إذن ما رأيك؟". قال ميدوريكاوا ذلك وابتسم. "هل بدأت تهتم بقبول تلك الصفة؟".

"هل يمكن أن أسألك سؤالاً؟".

"تابع".

"هل من المحتمل أنك تقول بأني من أولئك الناس الذين لديهم ذلك اللون الخاص والتوهج المحدد؟ من بين ألف أو ألفين؟".

" أنت منهم، عرفت ذلك في الدقيقة التي رأيتك فيها".

"إذن أنا واحد من أولئك الذين يريدون أن يقفزوا؟".

"من الصعب قول ذلك. في الحقيقة لا أعرف، هذا ما ستسأله لنفسك، هل تعتقد ذلك؟".

"ولكنك قلت إنك لا تريد أن تمرر الصفة إلى شخص آخر".

"أعتذر". قال عازف البيانو. "أنا أخطط للموت ولم أشعر أنني كنت سأسلمها لأحد، أنا أشبه البائع الذي لا يريد أن يبيع شيئاً".

"وإذا مت ماذا سيحصل للصفة؟".

"فهمتني. سؤال جيد. ربما ستختفي معي، وربما ستبقى بشكل آخر، ثم تمرر مرة أخرى من شخص لآخر كخاتم فاغنر، ليست لدي فكرة وبصراحة لا أهتم. أعني أنني لست مسؤولاً عما سيحدث عندما أذهب".

حاول هايدا خلق نوع من التنظيم لكل تلك الأفكار في عقله لكنها لم تنتظم بشكل جيد.

"إذاً ما أخبرتك به ليس منطقياً ولو قليلاً. أليس كذلك؟ قال ميدوريكاوا.

"إنها قصة ساحرة، ولكن يصعب تصديقها". اعترف هايدا.

"لأنه ليس هناك تفسير منطقي؟".

"بالضبط".

"لا يمكن إثبات ذلك".

"الطريقة الوحيدة لتعرف أنها حقيقية أم لا، الطريقة الوحيدة لإثباتها هي بعقد الاتفاق. أليست تلك هي الطريقة التي تعمل فيها؟".

أومأ ميدوريكاوا. "بالضبط، إلا إذا قفزت فعندئذ لن تثْبتها. لا حاجة لإثباتها بعد الآن إذا قفزت، ليس هناك أرض وسطى، إما أن تقفز وإما لا تقفز. أحدهما أو الآخر".

"ألست خائفاً من الموت؟".

"لا أبداً، لقد شاهدت كثيراً من الفاشلين والتافهين يموتون، وإذا كان مثل هؤلاء يستطيعون القيام بذلك فيجب أن تكون لدي القدرة أيضاً على القيام بذلك".

"هل فكرت يوماً ماذا ينتظرك بعد الموت؟".

"البعث والآخرة؟ مثل تلك الأشياء؟".

أومأ هايدا.

"قررت ألا أفكر بها". قال ميدوريكاوا وهو يحك لحيته. "أن تفكر بأشياء لا تعرفها وأشياء لا تصدقها -حتى لو كنت تعرفها- تضييعٌ للوقت. في التحليل الأخير، هذا الأمر لا يختلف عن المنحدر الزلق من الفرضيات التي كنت تتحدث عنها".

أخذ هايدا نفساً عميقاً. "لماذا تخبرني بكل تلك الأشياء؟".

"لم أخبر أحداً بذلك من قبل حتى الآن، ولم أخطط لذلك". قال ميدوريكاوا، وأخذ رشفة من الشراب. "سأختفي بنفسي بهدوء فحسب، ولكني فكرتُ عندما رأيتك: لقد حان الوقت، هذا هو الرجل الذي يستحق أن أخبره".

"ولا يهمك إن صدقتك أم لا؟".

بدت عينا ميدوريكاوا ناعستين، وتثاءبَ قليلاً.

"لا يهمني إن صدقت ذلك، لأنك ستصدقه عاجلاً أم آجلاً. ستموت يوماً ما، وليس لديّ فكرة متى وكيف سيحصل ذلك، وعندئذ ستتذكر حتماً أنني أخبرتك، وستوافق على ما قلتُه لك، وستفهم كل تفاصيل المنطق وراء ذلك، المنطق الحقيقي. كل ما فعلته هو نثر البذور".

بدأت تمطر من جديد، مطر خفيف وصامت، اندفاع الشلال حجب صوت المطر، يمكن لهايدا أن يقول إنها تمطر، باختلاف طفيف في الهواء المعاكس لجلده فحسب.

الجلوس في غرفة صغيرة مقابل ميدوريكاوا بدا فجأة شيئاً غريباً، كما لو أنهما وسط شيء مستحيل، على خلاف مع مبادئ الطبيعة. ازداد

الدوار في رأس هايدا، في الهواء الساكن، التقط نفساً خفيفاً من الموت، رائحة الجسد وهو يتعفن ببطء. لا بد أن يكون وهماً، فلم يمت أحد بعد.

"سترجع إلى جامعتك في طوكيو قريباً". أعلن ذلك بهدوء. "وسترجع إلى الحياة الحقيقية، تحتاج إلى أن تعيشها بالكامل، لا بأس كم ستصبح الأشياء سطحية ومملة ربما، هذه الحياة تستحق أن تعاش، إنني أقدّرها، ولست في طريق أن أصبح ساخراً أو متناقضاً. كل ما في الأمر أن كل ما هو جدير بالاهتمام في الحياة يصبح عبئاً في نظري، شيء لا أستطيع تحمله أكثر. ربما لم أنقطع عنه، وكالقط الميت زحفتُ إلى مكان هادئ ومظلم منتظراً بصمت أن يأتي أجلي بأي وقت. هذا ليس سيئاً، إنك مختلف، يجب أن تكون قادراً على الإمساك بالطريق الذي اختارته لك الحياة، تحتاج إلى أن تستخدم خيط المنطق، بقدر ما تستطيع، لترقع نفسك بكل ما يستحق العيش لأجله".

"هذه نهاية القصة". قال هايدا الابن. "في الصباح، بعد يومين من ذلك الحوار، حينما كان أبي في الخارج يهتم ببعض الأعمال، غادر ميدوريكاوا الحانة مثلما جاء، مع حقيبة متدلية على كتفيه، يسير ثلاثة كيلومترات هابطاً من الجبل إلى محطة الحافلات، لم يكتشف أبي أين ذهب. دفع ميدوريكاوا أجرة إقامته عن اليوم السابق وانسحب دون كلمة أو أية رسالة لأبي، كل ما تركه خلفه هو كومة من الروايات الغامضة. بعد مدة ليست طويلة عاد أبي إلى طوكيو، رجع إلى الجامعة وركز على دراسته . لا أعلم إن كانت مقابلة ميدوريكاوا حافزاً جعله ينهي رحلته الطويلة، ولكن عند سماعي القصة من أبي أحسست أنها فعلاً لعبت دوراً كبيراً في ذلك".

اعتدل هايدا في جلسته على الكنبة، مدّ أصابعه الطويلة إلى رسغيه ودلّكهما.

"بعد أن عاد أبي إلى طوكيو، بحث إذا كان هناك عازف بيانو للجاز يدعى ميدوريكاوا لكنه لم يجد أحداً بهذا الاسم. ربما استخدم اسماً

مستعاراً. وإلى اليوم لم يكتشف أحد ذلك ، (إذا كان الرجل قد مات بعد شهر فعلاً)".

"لكن والدك حيٌّ وبصحة جيدة، أليس كذلك؟". سأل تسوكورو.

أومأ هايدا. "إلى الآن لم يصل إلى نهاية حياته".

"هل صدّق والدك القصة الغريبة تلك التي أخبره بها ميدوريكاوا؟ ألم يخطر له أن تكون مجرد قصة ذكية مصممة لخداعه؟".

"أتعرف، يصعب عليّ القول. بالنسبة لأبي أعتقد أنها لم تكن مسألة صدّقها أم لا، في ذلك الوقت. أعتقد أنه قبلها بشكل كامل كما كانت، قصةً غريبةً. كالطريقة التي تلتهم فيها الأفعى فريستها دون أن تلوكها، وبدلاً من ذلك تهضمها ببطء".

توقف هايدا في هذه اللحظة وأخذ نفساً عميقاً.

"أعتقد أني أشعر الآن بنعاس شديد. ما رأيك أن نذهب إلى النوم؟".

كانت قرابة الواحدة صباحاً حين ذهب تسوكورو إلى غرفة نومه، وجهز هايدا الكنبة وأطفأ الضوء. عندما تمدد تسوكورو في سريره بثياب النوم سمع صوت تدفق مياه الشلالات، لكن ذلك مستحيل طبعاً. لقد كانوا في وسط طوكيو.

غرق في نوم عميق بعد وقت قصير. في تلك الليلة، حدثت العديد من الأشياء الغريبة.

الفصل السادس.

أرسل تسوكورو في اليوم الذي تلى حديثهما داخل الحانة في إبيسو بريدًا إلكترونيا من كمبيوتره إلى سارة يدعوها إلى العشاء، وأتى ردها من سنغافورة. "سأرجع إلى اليابان خلال يومين"، كتبت. "وسيكون لدي متسع من الوقت في مساء اليوم التالي لعودتي، أنا سعيدة لأنك تتواصل معي، فهناك شيء أريد التحدث معك بشأنه".

شيء نتحدث بشأنه؟ لم تكن لدى تسوكورو أية فكرة عما يمكن أن يكون ذلك الشيء. ولكنّ فكرة رؤيتها مجدداً أسعدته، وجعلته يتأكد كم يريدها. فكان إذا لم يرها لحظة كأنّ شيئاً حيويّاً قد فُقد من حياته، وكأن ألماً مملاً قد استقرّ في صدره. لم يشعر بذلك منذ وقت طويل.

كانت الأيام الثلاثة التي تلت ذلك التبدّل عصيبة على تسوكورو، كمهمة مفاجئة وغير متوقعة قد ظهرت للتو. لقد واجهت خطة الاستخدام المشترك لخط محطة القطار عقبة، إذ اتضح أن الاختلاف في شكل القطارات قد خلق قضية أمنية (لماذا لم يتمكنوا من إخبارنا بمثل هذه المسائل الحرجة من قبل؟) تساءل تسوكورو، وقد استدعى ذلك إصلاحات طارئة لأرصفة العديد من المحطات. كانت مهمة تسوكورو أن يصمم جدول الإصلاحات، كان يعمل على مدار الساعة، ولكنه ما يزال يقلّب في التقويم ليأخذ إجازة تبدأ من مساء السبت وحتى صباح الأحد. انطلق السبت من مكتبه ببدلته إلى المكان الذي خطط وسارة أن يلتقيا فيه في أيوما، لكنه راح في نوم عميق في المترو حتى إنه قد فقد طريقه في محطة أكاسكا-ميتسوك.

"تبدو مرهقاً". قالت سارة عندما رأته.

وضّح تسوكورو لها بإيجاز وبيسر قدر ما يستطيع سبب انشغاله الكبير في الأيام القليلة الأخيرة.

"كنت أخطط أن أعود للبيت لأستحم وأبدل ملابسي بأخرى مريحة، ولكن ما كان مني إلا أن قدمت من العمل مباشرة" قال.

أخرجت سارة صندوقاً، ملفوفاً بشكل جميل، طويلاً ومسطحاً وضيقاً من حقيبة التسوق وقدمته إليه "هدية مني إليك".

أزال تسوكورو الغلاف فوجد بداخله ربطة عنق زرقاء وأنيقة، مصنوعة من الحرير العادي، من ماركة إيف سان لوران.

"رأيتها في السوق الحرة في سنغافورة واعتقدت أنك ستبدو جميلاً بها".

"شكراً لك. إنها جميلة".

"بعض الرجال لا يحبون أن يهدَوا ربطات عنق".

"لست واحد منهم". قال تسوكورو. "فأنا ليس لدي دافع لأخرج وأشتري ربطة عنق. ثم إنّ لديك ذوقاً جيداً".

"سعيدة بذلك". قالت سارة.

أزال تسوكورو ربطة العنق الذي كان يرتديها، بخطوطها الضيقة، وارتدى الربطة التي قدمتها سارة إليه. كان يرتدي بدلة صيفية لونها أزرق غامق وقميص أبيض عاديّ، فتناسبت الربطة الزرقاء معها. اقتربت من فوق الطاولة وبيد متمرسة ضبطت العقدة. فالتقط تسوكورو أثراً فاتناً من العطر.

"تبدو جميلة عليك". قالت بابتسامة.

بدت الربطة الملقاة على الطاولة بالية أكثر مما كان يظن، كسلوك غير لائق لم يكن على وعي بأنه كان يقوم به. صدمته فكرة أنه يجب أن يهتم أكثر بمظهره. لم تكن في مكتب شركة محطات القطار ضرورة

لتهتم بملابسك، فمعظم الذين يعملون هناك رجال، وعندما يقترب وقت انتهاء الدوام ينزع عنه ربطة العنق ويرفع أكمامه، في أغلب الأوقات يكون في موقع العمل في الخارج فأي نوع يرتديه من البدلات أو ربطات العنق سيكون في غير موضعه. هذه أول مرة منذ مدة طويلة يتعرف على حبيبة منظّمة.

لم تقدم سارة هدية إليه من قبل فهديتها أسعدته. أحتاج أن أعرف متى يكون عيد ميلادها، فكّر. يجب أن أهديها شيئاً. شكرها مرة أخرى وطوى الربطة القديمة ووضعها في جيب سترته.

كانا في مطعم فرنسي في الطابق السفلي من المبنى الموجود في أيوما، قصدته سارة من قبل، كان مكاناً بسيطاً، وسعر النبيذ والطعام فيه مقبول، كان شكله قريباً من شكل حانة صغيرة لكن المقاعد فيه متباعدة، لتسمح ببدء حوارات مريحة، الخدمة فيه لطيفة أيضاً. طلبا زجاجة نبيذ أحمر وقرآ القائمة.

كانت سارة ترتدي فستاناً منقوشاً بالورود وسترة بيضاء من الصوف، كأنهما أزياء مصمِّم، لم تكن لدى تسوكورو أية فكرة كم تكسب سارة من المال ولكن يبدو أنها تنفق مبلغاً لا بأس به لخزانة ثيابها.

أخبرته بعد أن تناولا الطعام عن عملها في سنغافورة، عن التفاوض بشأن أسعار الفندق، اختيار المطاعم، تأمين النقل البري، إعداد الرحلات اليومية، التأكد من توفر التجهيزات الصحية... هناك مجموعة كاملة من المهمات لأهتم بها في الجولة الجديدة، تحضير قائمة طويلة، السفر إلى الوجهة المقصودة، التحقق من كل شيء، الذهاب إلى كل الأماكن للتأكد مباشرة بأن كل جزء تم التعامل معه بشكل مناسب، تشبه العملية هذه كثيراً ما تتابعه شركة ما حين ينشؤون محطة جديدة. وحين يستمع إليها اتضح له ما أكثر دقتها وأهليتها وتخصصها.

"أفكر أن أذهب إلى هناك مرة أخرى في أقرب وقت". قالت سارة. "هل زرت سنغافورة من قبل؟".

"لا. في الحقيقة لم أغادر اليابان، لم تكن هناك فرصة للذهاب في رحلة عمل إلى الخارج، والسفر خارج البلاد وحدي يعني لي دائماً أنني سأواجه مشاكل كثيرة".

"سنغافورة مذهلة، الطعام مذهل، هناك منتجع جميل قريب، سيكون جميلاً لو سافرت معي!".

تخيّلَ روعة السفر معها إلى الخارج، هما فحسب .

شرب تسوكورو زجاجة نبيذ واحدة كالعادة بينما أنهت سارة باقي الزجاجات، يبدو أن الكحول لا يؤثر بها، فوجهها لا يتورد أياً كانت الكمية التي تشربها. اختار لحم بقر بالبورغيغون، أما هي فقد طلبت بط مشوي، ووقعت في حيرة بعد أن انتهت من الطبق الرئيس أتختار طبق الحلوى أم لا، وفي النهاية قررت أن تطلب. أما تسوكورو فقد طلب قهوة.

"بدأتُ، في الواقع، بعد آخر مرة رأيتك فيها أفكر في عدة أشياء". قالت سارة وهي ترتشف من كوب الشاي الذي اختتمت به وجبتها "عن أصدقائك الأربعة في المدرسة الثانوية، عن تلك المجموعة الجميلة، وعن تأثير كل واحد منهم فيك".

حرّك تسوكورو رأسه قليلاً، وانتظرها لتكمل.

"وجدت قصة مجموعتك مثيرة للاهتمام حقاً. ربما لأنني لم أجرب شيئاً مثل ذلك من قبل".

"ربما سيكون الأمر أفضل إذا لم أجرب ذلك أنا أيضاً". قال تسوكورو.

"لأنك قد تأذيت في النهاية؟".

أومأ.

"أفهم شعورك". قالت سارة وقد ضيقت عينيها. "ولكن حتى لو انتهت القصة نهاية سيئة وتأذيت أعتقد أنه شيء جيد أنك التقيت بهم، فلا يحدث هذا كثيراً، أن يتقرب الناس منك إلى هذه الدرجة، وعندما تفكر أنّ هناك خمسة أشخاص لديهم كل تلك الصلة، فهذا ليس أقل من معجزة".

"أوافقك. كان يشبه المعجزة، ونعم أعتقد أن ما حصل جيد بالنسبة إليّ". قال تسوكورو. "ولكنّ انتهاء العلاقة جعل المفاجأة سيئة للغاية، أو يجب أن أقول عندما انتُزعت مني. إحساسٌ بالخسارة، الاغتراب... مثل هذه الكلمات، حتى إنك لا تستطيعين أن تقتربي من وصف ذلك الإحساس بالضبط".

"لكن مضى على ذلك أكثر من ست عشرة سنة، والآن أنت بالغ، في أواخر الثلاثينات، ربما عاد شعورك بالألم العظيم من جديد، ولكن ألم يحن الوقت لتتغلب عليه؟".

"أتغلب عليه!". أعاد تسوكورو. "ماذا تقصدين بالضبط؟".

أرخت يديها على الطاولة، باعدت بين أصابعها العشرة بعض الشيء. كانت تضع خاتماً في إصبعها الصغير في يدها اليسرى، عليه حجرٌ لوزي الشكل، حدّقت في الخاتم قليلاً ثم نظرت إليه.

"أتاني إحساس بأنّ الوقت قد حان لتعرف سبب إقصائك، أو محاولة إقصائك عنهم بذلك الشكل المفاجئ".

"كان تسوكورو سيشرب ما تبقى من قهوته لكنه لاحظ أن فنجان القهوة قد فرغ فأعاده إلى الصحن. ضرب الفنجانُ الصحن فأصدر صخباً غير متوقع، استجاب النادل للضجيج، أسرع إليهما وأعاد ملء الزجاجات بالماء البارد.

انتظر تسوكورو أن يذهب النادل ليتكلم.

"كما أخبرتك، أريد أن أخرج هذا كله من دماغي، حاولت ببطء أن أغلق الجرح وبطريقة ما أتغلب على الألم، استغرق هذا وقتاً طويلاً، والآن الجرح مغلق، لماذا أشقه فينفتح مرة أخرى؟".

"أفهمك، ولكن ربما يظهر من الخارج فقط أن الجرح لا يزال مغلقاً". حدقت إلى عينيه وتكلمت بهدوء. "ربما داخل الجرح، تحت القشرة التي تغطيه ما زال الدم يتدفق بصمت. ألم تفكر بهذا من قبل؟".

لقد تجاوز تسوكورو ذلك، ولكن لم يكن لديه رد مناسب.

"هل تستطيع أن تخبرني عن أسماء أولئك الأربعة الكاملة، اسم المدرسة الثانوية، سنة تخرجكم منها، الكليات التي التحقوا بها، وعناوينهم الأخيرة حين كنتم على تواصل؟".

"ماذا تنوين أن تفعلي بتلك المعلومات؟".

"أريد أن أعرف أين هم الآن، وماذا يفعلون".

اختنق تسوكورو فجأة. التقط كأسه وابتلع بعض الماء. "لماذا؟".

"لتقابلهم، لتتحدث معهم، وليفسروا لك سبب تخليهم عنك".

"وإذا قلت أنني لا أريد ذلك؟".

قلبت يديها على الطاولة فأصبح باطن يديها إلى الأعلى، واستمرت في النظر مباشرة إلى تسوكورو، عيناها لم تكفّ عن التحديق.

"هل أكون صريحة معك؟". سألت سارة.

"بالطبع".

"ليس من السهل قول ذلك".

"أريد أن أعرف بماذا تفكرين، لذا قولي ما يدور في دماغك".

"المرة الأخيرة التي تقابلنا فيها أخبرتك أنني لا أريد أن أرجع إلى شقتك، هل تذكر؟ هل تعرف لماذا قلت هذا؟".

هز تسوكورو رأسه.

"أعتقد أنك شخص جيد، وأنا أحبك فعلاً، ليس كصديق"، قالت سارة وتوقفت قليلاً". "لكن أعتقد أن لديك نوعاً من المشاكل العاطفية التي لم تحلّ".

نظر إليها تسوكورو بصمت.

"هذا الجزء يصعب عليّ قليلاً التحدث عنه، من الصعب التعبير عنه، هذا ما أقصد. إذا ترجمته فسيبدو مبالغاً فيه، لا أستطيع أن أشرحه باعتدال أو بشكل منطقي. هو أقرب إلى أن يكون شيئاً بديهياً".

"أثق بحدسك". قال تسوكورو.

عضت سارة على شفتها بلطف ونظرت إليه، كأنها تقيس مسافة ما، ثم قالت. "عندما مارسنا الحب شعرت أنك في مكان آخر، مكان بعيد عنا ونحن معاً في السرير، كنت لطيفاً، وكان ذلك رائعاً، ولكن...".

رفع تسوكورو فنجان القهوة الفارغ مرة أخرى متمسكاً به بكلتا يديه، أعاده إلى الصحن ولكن هذه المرة دون أن يصدر صوتاً".

"لا أفهم" قال."كل الوقت كنت أفكر بك... أنت فقط، لا أتذكر أنني كنت في مكان آخر، بصدق، لا أظن أنه كان هناك أي احتمال لأفكر بشيء آخر غيرك".

"ربما. ربما كنتَ تفكر بي فحسب، إذا قلت ذلك سأصدقك، ولكن كان في عقلك شيء آخر، على الأقل لقد شعرت بنوع من المسافة بيننا، ربما هذه من الأشياء التي تستطيع الأنثى وحدها التقاطها، على أية حال، ما أريدك أن تعرفه أنني لا أستطيع إكمال العلاقة على هذا النحو مدة أطول من ذلك، حتى لو كنت مغرمة بك. أنا أكثر حباً للتملك، أكثر بساطة مما كنت أظن. إذا كنا في طريقنا إلى علاقة جدية فلا أريد لأي شيء مهما كان أن يحول بيننا، هذا الشيء غير القابل للتحديد، هل تدرك ما أقول؟".

"أنك لا تريدين رؤيتي بعد الآن؟".

"لا، ليس كذلك". قالت. "ليست لدي مشكلة في رؤيتك والحديث معك بهذا الشكل، فأنا أستمتع بهذا كثيراً، لكني لا أريد أن أرجع إلى شقتك".

"تقصدين أنك لا تستطيعين ممارسة الحب معي؟".

"لا أستطيع". قالت سارة بصراحة.

"لأن لديّ... مشاكل عاطفية؟".

"صحيح، لديك مشاكل، تحملها معك، بعض الأشياء التي يمكن أن تتعمق أكثر مما تتوقع، ولكني أعتقد أنها من النوع الذي تستطيع تجاوزه إذا رتبتَ أفكارك وقررت ذلك فعلاً، كأن تشرع في إصلاح خلل ما في المحطة. لتفعل ذلك تحتاج أن تجمع البيانات اللازمة، تضع مخططاً دقيقاً، تنشئ برنامج عمل مفصل، وعلاوة على ذلك كله، تحتاج أن تحدد الأولويات".

"ولأفعل هذا أحتاج أن أرى أولئك الأشخاص الأربعة مجدداً وأتحدث معهم. أهذا ما تقولينه؟".

أومأت. "يتطلب منك أن تواجه الماضي ليس كولد ساذج يُجرح بسهولة، بل كمحترف ناضج ومستقل. لا أن ترى ما تريد أن تراه بل ما يجب أن تراه، وإلا فستحمل ذلك الثقل بقية حياتك. لهذا السبب أريدك أن تخبرني بأسماء أصدقائك الأربعة، سأبدأ أتقصى أماكنهم الآن".

"كيف ستفعلين ذلك؟".

هزت سارة رأسها باستغراب. "تخرجت من كلية الهندسة ولا تعرف كيف تستخدم الإنترنت؟ ألم تسمع من قبل بجوجل أو فيسبوك؟".

"أستخدم الإنترنت في العمل بالطبع، وأعرف جوجل وفيسبوك، ولكن لا أستخدمهما كثيراً، أنا فقط غير مهتم بهما".

"إذن اترك الأمر لي. فأنا خبيرة بمثل هذه الأمور". قالت سارة.

تمشيا بعد العشاء إلى شيبويا، كان مساءً ساحراً مع اقتراب نهاية الربيع، وقد تغطى القمر الأصفر الكبير بالضباب، كان هناك أثر رطوبة في الهواء، وكان ذيل ثوب سارة يرتعش بجانبه في النسيم على نحو رائع، وكلما مشى كان تسوكورو يتخيل الجسد تحت تلك الثياب. فكّر أن يمارس معها الحب مرة أخرى، وكلما كان يتخيل ذلك يشعر بأنه عضوه بدأ يتصلّب، لم تكن لديه مشكلة بالإحساس بتلك الرغبات، فهي في النهاية رغبة طبيعية وشهوة ذكر بالغ سليم. ولكن ربما قد وضع في الداخل، في العمق (كما توقعت سارة) شيئاً غير منطقي، شيئاً ملتوياً، لم يستطع وصفه، كلما فكر أكثر في الحدود بين الوعي واللا وعي قلّ يقينه بوجوده.

تردد تسوكورو أولاً ثم قال:"هناك شيء يجب أن أصححه، شيء قد أخبرتك به في اليوم التالي".

حينما كانت سارة تسير نظرت إليه، وقد أثار فضولها ذلك. "ما هو؟".

"كنتُ على علاقة مع مجموعة من النساء، ولكن لم يحصل شيء، لعدة أسباب، قلت لك أنه لم يكن خطئي وحدي".

"أذكر ذلك".

" خرجت خلال العشر السنوات الأخيرة مع ثلاثة أو أربعة نساء، واستمرت علاقتي بهنّ مدة طويلة إلى حدٍ ما وكانت علاقة جدية، لم أكن أتلاعب بهنّ، وعدم نجاح أي علاقة مع واحدة منهنّ كان بسببي، ليس لأن هناك مشكلة لدى إحداهنّ".

"وما هي المشكلة؟".

"كانت مختلفة قليلاً وذلك يعتمد على الشخص". قال تسوكورو. "ولكن العامل الشائع أكثر هو أنني في الحقيقة لم أنجذب إلى أي منهنّ. أعني، لقد أحببتهنّ وكنا نقضي وقتاً ممتعاً، لديّ الكثير من الذكريات، ولكني لم أشعر بأن هناك رغبة جرفتني أو طغت عليّ تجاه أي واحدة".

بقيت سارة صامتة لبعض الوقت. "لعشر سنوات"، أخيراً قالت. "حظيت بعلاقات طويلة إلى حد ما وجديّة مع نساء لم تكن منجذباً إليهنّ".

"هذا صحيح تقريباً".

"لم يقنعني ذلك كثيراً".

"كان يجب أن أوافق".

"ربما لم ترد أن يصل بك الأمر إلى الزواج، أو أن تُقيّد؟".

هز تسوكورو رأسه. "لا، لا أعتقد أنّ هذا هو السبب، فأنا من الأشخاص الذين يرغبون بالاستقرار".

"لكن لا يزال هناك ما يمنعك نفسياً من القيام بذلك؟".

"ربما".

"يمكن أن تخوض علاقة فقط مع امرأة لست مضطراً لتفتح لها قلبك".

"ربما أخاف إذا أحببت واحدة ما، واحتجت إليها، يأتي يوم وتختفي فيه فجأة دون أية كلمة وتتركني وحيداً تماماً".

"إذاً أنت دائماً -بوعي ودون وعي- تُبقي مسافة بينك وبين المرأة التي تواعدها، وإذا لم تفعل ذلك تختار واحدة تستطيع أن تبقي بينكما تلك المسافة فلا تتأذى، هل اقتربتُ مما يدور في عقلك؟".

لم يجب تسوكورو، كان صمته تأكيداً، وفي ذات الوقت كان يدرك أن ذلك ليس أساس المشكلة الحقيقيّ.

"وذات الشيء يمكن أن يحصل معي أنا وأنت". قالت سارة.

"لا، لا أعتقد ذلك، يختلف الأمر بالنسبة إليك، أنا فعلاً أعني ذلك، أريد أن أفتح لك قلبي، أنا حقاً أشعر بهذا الشيء. لهذا أخبرك عن كل هذا".

"تريد أن ترى المزيد مني؟". سألت سارة.

"بالطبع أريد".

"أريد أرى المزيد منكَ أنا أيضاً إذا استطعتُ ذلك". قالت سارة. "أنت شخص جيد، وصادق، ومخلص".

"شكراً لك". قال تسوكورو .

"إذن أخبرني بتلك الأسماء الأربعة، وبعدها قرر. وعندما أعرف عنهم أكثر وأشعر أنك لا تريد أن تراهم فلست مجبراً على الاستمرار، الأمر يعود إليك كلياً، ولكن بغض النظر عن كل هذا، أنا شخصياً لديّ الفضول لأعرف عنهم، أريد أن أعرف المزيد عن أولئك الذين لا يزالون يتعبونك".

عندما عاد إلى شقته أخرج تسوكورو دفتر جيب قديم من درج مكتبه، فتح قائمة العناوين، ودوّن الأسماء الأربعة، العناوين، أرقام الهاتف منذ آخر مرة بحث فيها عن أصدقائه الأربعة في الحاسوب المحمول.

كي أكاماتسو

يوشيو أومي

يوزوكي شيراني

إري كورونو

عندما تفحص الأسماء الأربعة في الشاشة ورجعت الذكريات التي حملتها تلك الأسماء إليه، أحس أن الماضي قد اختلط بصمت مع الحاضر، في الوقت الذي كان يجب أن تحوم طويلاً في الهواء حوله، كدخان لا رائحة له ولا لون يتسرب إلى الغرفة من شق صغير في الباب. وأخيراً عند نقطة معينة عاد إلى الحاضر، نقر على المفتاح في حاسبه المحمول، وأرسل إيميل لسارة، تأكد أنه قد أُرسلت الرسالة وأطفأ الكمبيوتر، وانتظر الوقت أن يعود حقيقياً من جديد.

أنا شخصياً لديّ الفضول لأعرف عنهم، أريد أن أعرف المزيد عن أولئك الذين لا يزالون يتعبونك.

سارة على حق، فكر بهذا عندما تمدد في السرير، لا يزال أولئك الأشخاص الأربعة عالقين بي، وربما أكثر مما كانت سارة تتخيل.

السيد أحمر

السيد أزرق

الآنسة بيضاء

الآنسة سوداء

الفصل السابع

في تلك الليلة التي أخبره فيها هايدا قصة والده في شبابه، عن التقائه بعازف البيانو المسمى ميدوريكاوا في منتجع الينابيع الساخنة المتعمقة في جبال كيوشو، حصلت أشياء كثيرة.

بقي تسوكورو مستيقظاً ثابتاً في الظلام، استيقظ على صوت نقر، كصوت حصى يضرب النافذة، ربما قد تخيل ذلك فحسب لكنه لم يكن متأكداً من ذلك. أراد أن يتأكد من ساعة المنبه الموضوعة على المنضدة بجانب سريره، لكنه لم يستطع تحريك عنقه، جسده الداخلي لا يتحرك، لم يكن مخدَّراً، لكنه عندما يحاول أن يحرّكه لا يستطيع، الرابط بين عقله وعضلاته قد انقطع.

لقد التفّت الغرفةُ بالظلام. يضطرب نوم تسوكورو عندما يكون هناك أي ضوء في الغرفة، ودائماً يغلق الستائر بإحكام عندما يذهب إلى السرير، لذلك لم يكن يتسرب أي ضوء من الخارج. ومع ذلك فما زال يشعر بوجود شخص آخر في الغرفة، مختفياً في الظلام، ينظر إليه، كحيوانٍ مموّه، يلتقط أنفاس أي كان، يخفي رائحته، يغير لونه، ثم يرتدّ إلى الظلال، ومع ذلك كان تسوكورو لسببٍ ما يعرف من هو. هايدا.

السيد رمادي.

الرمادي هو خليط من الأبيض والأسود، غيّرْ ظله وسيختلط بسهولة مع تدرجات العتمة العديدة.

كان هايدا واقفاً في إحدى زاوايا الغرفة المعتمة، يحدّق إلى الأسفل نحو تسوكورو الذي كان متمدداً على السرير ووجهه لأعلى. وكالمهرج في المسرحية الصامتة كان يتظاهر بأنه تمثال، لم يحرّك هايدا عضلة واحدة لوقت طويل، الشيء الوحيد الذي من الممكن أن يكون قد تحرك

هو رموشه الطويلة. هناك تناقض غريب فقد اختار هايدا أن يبقى ساكناً تماماً، أما تسوكورو فقد اختار أن يتحرك، إلا أنه لم يستطع. يجب أن أقول شيئاً، أنّ تسوكورو قد فكّر: عليّ أن أتكلم لأحطّم هذا التوازن الوهميّ، لكنّ صوته لم يُسمع، لم تتحرك شفتاه، تجمّد لسانه، الشيء الوحيد الذي أفلت من حلقه هو الجفاف... تنفسٌ بلا صوت.

ماذا كان يفعل هايدا هناك؟ لماذا كان يقف هناك ويحدق إليَّ باهتمام بالغ؟

هذا ليس حلماً، قرر تسوكورو. كل شيء جليّ على أن يكون حلماً، لكنه لم يستطع القول ما إذا كان الشخص الذي كان يقف هناك هو هايدا الحقيقي. فهايدا الحقيقي، لحمه ودمه الحقيقيان، كان نائماً على الكنبة في الغرفة المجاورة. لا بد أن يكون هايدا الذي كان واقفاً هناك نوعاً من الإسقاطات التي انزلقت خاليةً من هايدا الحقيقي، هكذا كان يبدو الأمر.

لم يشعر تسوكورو أن ذلك الكائن يهدده أو أنه يكمن له الشر. لم يكن هايدا ليؤذه على الإطلاق بهذه الطريقة، شعر تسوكورو بأنه على يقين من ذلك، لقد عرف ذلك بغريزته، من اللحظة الأولى التي التقيا فيها.

كان أكا، صديقُه من الثانوية، ذكياً أيضاً، حتى إنه كان بذكاء نفعيّ. فبالمقابلة مع أكا، كان ذكاء هايدا مكرراً ونظرياً أكثر، حتى إنه أكثر ذاتيّة. عندما يكونان معاً عادة لا يلتقط تسوكورو ما يفكر به هايدا بالضبط، إذ إن شيئاً ما في عقل هايدا يندفع، ويتجاوز تسوكورو، لكن ما كان شكل ذلك الشيء، لا يعرف. عندما يحدث ذلك يشعر بحيرة تبقيه وحيداً، ولكنه لم يحس بقلق وغضب تجاه صديقه الصغير. عقل هايدا سريع جداً، فلكُ نشاطه العقلي واسع جداً، بدرجة مختلفة تماماً، فبعد أن علم تسوكورو بهذا توقف عن محاولة مجاراة هايدا.

لا بد أن تكون في عقله دائرة كهربائية ذات سرعة عاليةُ أُسّست لتتناسب مع سرعة أفكاره، تطلب منه أن يجمع سرعته من حين لآخر،

أن يطلق العنان لعقله لمدد محددة من الوقت، إذا لم يفعل ذلك، إذا بقي في سرعة منخفضة ليجاري سرعة تسوكورو المنخفضة فسترتفع درجة حرارة الأساسات العقلية لتسوكورو وتبدأ تتعطل، أو في الأقل هذا الانطباع الذي أخذه تسوكورو. وبعد مدة قليلة سيغادر هايدا تلك الدائرة الكهربائية كأن شيئاً لم يحدث، يبتسم بهدوء، ويعود إلى المكان الذي يتمدد فيه تسوكورو منتظراً. سيخفف من سرعته ويجاري عقل تسوكورو.

إلى متى ستستمر نظرة هايدا الكثيفة؟ لم يستطع أن يحدد ذلك بعد. بقي هايدا في منتصف الليل ثابتاً هناك لا يتحرك، يحدق به بصمت. بدا أن لدى هايدا شيئاً ما يريد قوله، رسالة يجب أن يبلغها، لكنه لسبب ما لم يستطع أن يترجمها إلى كلمات، وهذا ما جعل صديق تسوكورو الصغير يغضب على غير العادة.

عندما تمدد تسوكورو على السرير تذكر القصة التي رواها هايدا عن ميدوريكاوا. قبل أن يعزف ميدوريكاوا في غرفة الموسيقى في المدرسة الثانوية وضع كيساً صغيراً على البيانو، كان على وشك الموت أو هكذا قال. ماذا كان بداخل الكيس؟ لقد انتهت قصة هايدا قبل أن يُظهر المحتويات! كان تسوكورو فضولياً جداً بشأن ما كان بداخله، وكان يريد من أي أحد أن يخبره بدلالته، لماذا كان ميدوريكاوا حريصاً جداً على أن يضع الكيس على البيانو؟ هذا هو المفتاح المفقود من القصة.

لكنه لم يحصل على إجابة، وبعد صمت طويل غادر هايدا أو شخصية هايدا البديلة بصمت. وفي نهاية زيارته شعر تسوكورو أنه التقط صوت تنفس هايدا الخفيف، لكنه لم يكن متأكداً. كبخور ابتلعه الهواء اختفت كينونة هايدا وتلاشت، وقبل أن يدرك تسوكورو ذلك كان وحيداً مرة أخرى في الغرفة المعتمة، وإلى الآن لم يستطع تحريك جسده، ظل السلك بين إرادته وعضلاته مقطوعاً، البرغي الذي وصلهما معاً قد سقط.

ما نسبة أن يكون ذلك حقيقياً؟ تساءل. لم يكن حلماً أو وهماً. يجب أن يكون حقيقياً لكن ينقصه الوزن الذي تتوقعه من الحقيقة.

السيد رمادي.

لا بد أن تسوكورو قد غفا مرة أخرى، لكنه استيقظ مرة أخرى في حلم. ربما بالمعنى الدقيق لم يكن حلماً. كان حقيقة، لكنها تشربت بكل خصائص الحلم. فلك مختلف من الحقيقة، حيث تحرر الخيال بوقت ومكان مميزين.

كانت الفتاتان في السرير عاريتين كما وُلدتا، تحضنانه من جانبيه، شيرو وكورو. كان عمرهما ست عشرة سنة أو سبع عشرة سنة، ثابتتين في ذلك السن، صدورهما وأفخاذهما ملتصقات به، جسداهما ناعمان ودافئان، يستطيع تسوكورو أن يحس ذلك بوضوح، مررتا أصابعهما ولسانهما على جسده بصمت وشراهة. كان عارياً أيضاً.

لم يكن شيئاً مما يأمل تسوكورو أن يحصل، ليس السيناريو الذي أراد تخيله، لم يكن يجب أن يحدث ذلك. لكن ذلك الخيال الذي كان ضد إرادته نما بشكل أكثر وضوحاً، الأحاسيس تصويرية أكثر، وأكثر واقعية.

كانت أصابع الفتاتين لطيفة، مرهفة، حساسة، أربع أيدٍ، عشرون إصبعاً. كمخلوقات ناعمة عمياء مولودة في الظلام، تجولت في كل إنش من جسد تسوكورو، أثارته تماماً. أحس بضجيج قلبه بشدة، بطريقة لم تحصل معه من قبل، كأنه قد عاش منذ زمن بعيد في منزل، فقط ليكتشف غرفة سرية لا يعرفها. كالطبل ارتجف قلبه، أصدر ضربات مسموعة. وما تزال ذراعاه وساقاه مخدرة ولا يستطيع تحريك إصبع واحد.

تشابكت الفتاتان بخفة مع تسوكورو، صدر كورو ممتلئ وناعم، صدر شيرو صغير وحلماتها قاسية كالحصى الصغيرة المدورة، الشعر في الأسفل مبلل كالغابة المطرية، اختلطت أنفاسهما مع أنفاس

تسوكورو لتصبح واحدة، كتيارات آتية من البعيد تتداخل بسريّة في قاع البحر المظلم.

استمرت العناقات الملحّة حتى أصبح تسوكورو بداخل رحم إحدى الفتاتين. كانت شيرو. لقد باعدت بين ساقيه، أمسكت بقضيبه المتصلب والمنتصب وبذكاء قادته إلى داخلها، لقد وجد طريقه دون مقاومة كأنه قد ابتلعته مكنسة كهربائية مفرغة من الهواء. أخذت لحظة تلتقط أنفاسها، ثم بدأت ببطء تدير جذعها كأنها ترسم رسماً بيانياً معقداً في الهواء، وكل الوقت تلوي وركيها، تمايل شعرها الطويل الأسود المستقيم فوقه بحدة كالسوط. الحركات جريئة، خارجة كثيراً عن شخصية شيرو الاعتيادية.

تعاملت كلاهما طوال الوقت مع ذلك كأنه تغير طبيعي في الأحداث، لا شيء يستدعيهما لإعادة التفكير به، لم تترددا. عانقته الاثنتان معاً، لكن شيرو من قد نفذ إليها. لماذا شيرو؟ تساءل تسوكورو في أوج تشوشه العميق. لماذا كانت شيرو؟ كان من المفترض أن تتساوا تماماً. كان من المفترض أن تكونا كائناً واحداً.

لم يستطع أن يفكر أبعد من ذلك، تطورت حركات شيرو بسرعة وبوضوح أكبر، وقبل أن يدرك ذلك كان يأتي داخلها. كان الوقت بين التخلل والنشوة قصيراً، قصيراً جداً، واستغرق تسوكورو في التفكير وقتاً قصيراً جداً، لكنه ربما فقد الإحساس بالوقت، على أية حال، لقد اجتاحته تلك الشهوة دون سابق إنذار.

أما الآن فلم يأتِ داخل شيرو، بل داخل هايدا. لقد اختفت الفتاتان فجأة وأخذ هايدا مكانهما، وبمجرد أن جاء انحنى هايدا ووضع عضو تسوكورو بفمه واحترس أن لا تتسخ ملابسه فوضع كل السائل المنوي المتدفق في فمه، قبِل هايدا ذلك كلَّه بصبر، وعندما انتهى تسوكورو، لعق هايدا عضوه، بدا أنه معتاد على ذلك، على الأقل بدا الأمر كذلك،

نهض هايدا من السرير بهدوء وذهب إلى الحمام، سمع تسوكورو ماء يتدفق من الحنفية. ربما هايدا ينظف فمه.

بقي عضوه منتصباً حتى بعد أن أتى، ما زال يحس بدفء وبرقة رحم شيرو كأنه التوهج الذي يظهر بعد الجنس الفعليّ، وإلى الآن لم يستطع أن يدرك الحد بين الحلم والخيال، بين ما هو خياليّ وما هو حقيقيّ.

بحث تسوكورو في العتمة عن كلمات، ليس هناك كلمات موجهة إلى شخص محدد، لقد شعر بأنه يجب أن يقول شيئاً ما، يجب أن يجد ولو كلمة واحدة تملأ ذلك الصمت، تلك الفجوة الغامضة قبل أن يرجع هايدا من الحمام، لكنه لم يجد شيئاً، كان كل الوقت يدور في رأسه لحن بسيط، أدرك فيما بعد أنها قطعة (ليست) الموسيقية (Le mal du)، (سنواتُ حجٍ)، (السنة الأولى: سويسرا)، (حزن لا حدود له يُبعثُ في قلب امرئ بمشاهدة منظر طبيعة ريفية).

ثم ذهب بعد ذلك في نوم عميق جداً.

كانت قبل الثامنة صباحاً عندما استيقظ.

وحالاً تفحص ملابسه الداخلية إذا كان عليها أثر من السائل المنوي. كلما جاءته أحلام جنسية مثل ذلك الحلم يكون هناك دليل، لكن هذه المرة ليس هناك شيء، ارتبك تسوكورو. لقد قذف بكل تأكيد، في حلمه أو في الأقل في المكان الذي لم يكن حقيقياً. كثيراً. ما يزال التوهّج يصاحبه، لا بد أنه قد اندفقت كمية غزيرة من السائل المنوي الحقيقي، لكن لا أثر لذلك.

ولكنه تذكر كيف أخذ هايدا كل ذلك بفمه.

أغلق عينيه وقطّب وجهه. هل حدث ذلك فعلاً؟ لا، هذا مستحيل. لقد حدث ذلك في عقلي الباطني، لا يهم كيف تنظر إليه. إذن إلى أين اندفع ذلك السائل المنويّ؟ هل اختفى ذلك كله في خبايا عقلي أيضاً ؟

نهض تسوكورو من السرير مشوشاً، ما يزال يرتدي ملابس النوم، اتجه بخفة إلى المطبخ. كان هايدا مرتدياً ملابسه، جالساً على الكنبة يقرأ، منسجماً بكتابه الضخم، كان في عالم آخر، ولكن حالما ظهر تسوكورو ألقى الكتاب جانباً، ابتسم ببهجة، وذهب إلى المطبخ ليعدّ القهوة، والأومليت مع التوست، انبعثت رائحة القهوة الطازجة وانتشرت في أرجاء الشقة، الرائحة التي ميّزت الليل عن النهار، جلسا قبالة بعضهما البعض على الطاولة يتناولان الفطور ويسمعان الموسيقى ذات الصوت الخافت. تناول هايدا كالعادة خبزاً أسمر مع طبقة رقيقة من العسل.

شرح هايدا بلهفة عن البن الجديد الذي اكتشفه وبجودة تحميصه، ولكن بعد ذلك ذهب في تفكير عميق وبقي صامتاً. ربما يفكر في الكتاب الذي كان يقرؤه، كانت عيناه مثبتتين في ناحية من الخيال، واضحتين صافيتين، أما تسوكورو فلم يستطع أن يقرأ ما وراءهما. ذلك النوع من النظرات التي يستخدمها عندما يفكر بقضية مجردة، عينان تذكران تسوكورو دائماً بالشلالات التي لمحها من الفراغ بين الأشجار.

لا شيء يبدو خارج المعقول، كان صباح أحد اعتيادي، تغطي السماء طبقة رقيقة من الغيم ، وأشعة الشمس ناعمة. عندما بدأ يتكلمان، كان ينظر هايدا إلى عينيه مباشرة، ولم يستطع تسوكورو قراءة أي شيء من تلك النظرة. ربما لم يحصل شيئاً في الواقع. لا بد أنه وهمٌ قد رسمه لا وعيه، استنتج تسوكورو. أحرجته الفكرة وأقلقته. لقد أتت عدد من الأحلام الجنسية التي حوت على شيرو وكيرو معاً. لم يكن هذا شيئاً جديداً، أتت الأحلام بانتظام تماماً، بشكل لا إرادي كالعادة،

ينتشي بعدها دائماً. ولكن هذه هي المرة الأولى التي أتته أحلام جنسية حية وحقيقية بشكل مذهل. ولكن ما أربكه فعلاً هو وجود هايدا.

قرر تسوكورو أن لا يقتنع بذلك كثيراً، له الحرية في أن يفكر بذلك متى يريد وأن لا يحصل على إجابة، وضع ذلك الشك داخل الدرج في عقله الذي يحمل عنوان (قيد الانتظار) وأجّل أي وجهات نظر أخرى. كان لديه العديد من الأدراج داخله، بشكوك لا معدودة وأسئلة مطويّة.

ذهبا بعد أن تناولا الإفطار إلى مسبح الكلية وسبحا لنصف ساعة، كان صباح الأحد، وكان المسبح تقريباً لهما، وكانا يستطيعان الاستمتاع بالذهاب إلى المكان الخاص بهما، ركّز تسوكورو على تحريك العضلات المطلوبة بطريقة دقيقة ومحكمة، عضلات الظهر، عضلات الورك والمعدة. التنفس والركل طبيعة أخرى. وعندما يتفق مع الإيقاع يحدث ما تبقى وحده. وكالعادة ترأس هايدا السباحة وتبعه تسوكورو، كان يراقبه وهو يسبح، كانت تبهره تلك الرغوة البيضاء الرقيقة التي تظهر بشكل متوازي مع حركات هايدا اللطيفة، ويجعله ذلك المشهد دائماً منوماً مغناطيسياً بعض الشيء.

عندما استحما وبدلا ثيابهما في غرفة الملابس لم تعد عينا هايدا بذلك الوضوح وذلك الضوء، لكنهما استعادتا النظرة الطبيعية اللطيفة، قلل التمرين من تشوشه ذاك، غادرا القاعة الرياضية وسارا باتجاه المكتبة، لم يتحدثا كثيراً، ولم يكن ذلك شيئاً غير طبيعي. "أريد أن أبحث عن شيء ما في المكتبة". قال هايدا. وهذا لم يكن غير طبيعي أيضاً، فهايدا يحب أن يبحث عن الأشياء في المكتبة. ما أعنيه عموماً هو أنني أريد أن أبقى وحدي لبعض الوقت. "سأرجع وأغسل الثياب". قال تسوكورو.

سارا إلى مدخل المكتبة، لوّحا بأيديهما بسرعة وذهبا في طريقيهما المختلفين.

لم يسمع شيئاً من هايدا لمدة طويلة، تغيب هايدا عن المسبح والصف. عاد تسوكورو إلى العزلة، يأكل وحده، يسبح وحده، يدون الملاحظات في الصف، يتذكر مفردات وجمل غريبة. مضى الوقت بحيادية، وبالكاد يترك أثراً، يضع من حين لآخر موسيقى "Le mal du pays" في مشغل الأقراص ويستمع إليها.

بعد أسبوع كامل دون أية كلمة من هايدا، صدمت تسوكورو فكرة أن صديقه ربما قرر ألا يراه مرة أخرى. دون أية كلمة، دون إعطائه تبريراً، ربما رحل إلى مكان ما، كما فعل أصدقاؤه الأربعة في مدينته.

بدأ تسوكورو يفكر أن صديقه الصغير قد تركه بسبب الحلم الجنسيّ التصويري الذي خاضه. ربما هناك شيء قد منح هايدا إمكانية رصد كل ما يجول في وعي تسوكورو، وجعله يشمئز، أو ربما أغضبه.

لا لا يعقل ذلك، لا يمكن أن ينزلق ذلك خارج وعيه، مستحيل أن يكون هايدا قد عرف ذلك. ما زال تسوكورو لا يستطيع أن يتخلص من الإحساس الذي تركته عينا هايدا الواضحتان في الأجزاء الملتوية التي دُفنت في عقل تسوكورو، وجعلته الفكرة هذه يشعر بالخزي.

أياً يكن، بعد أن اختفى صديقه، أدرك ما أكثر ما كان هايدا مهماً له، كيف حوّل حياته الروتينية إلى شيء أكثر بهاء ولوناً، افتقد حواراتهما، وضحكة هايدا الخفيفة المميزة، الموسيقى التي كان يحبها، الكتب التي يقرأ منها أحياناً بصوت مرتفع، مآخذه من الأحداث الآنية، حسه الفكاهي المميز، اقتباساته السريعة، الطعام الذي كان يعده، القهوة التي يجهزها. ترك هايدا وراءه مساحات فارغة في حياته.

قدّم هايدا لحياة تسوكورو الكثير، لكنه يتساءل ماذا قدّم هو لهايدا؟ ما الذكريات التي تركها تسوكورو له؟

ربما قُدّر لي أن أبقى وحيداً دائماً، وجد تسوكورو نفسه يفكر بهذا. الناس يأتون إليه، لكنهم دائماً يتركونه في النهاية ، يأتون باحثين عن شيء ما لكنهم لا يجدونه، أو يحزنون لهذا الشيء الذي وجدوه (أو يخيب أملهم أو يغضبون) ، ثم يغادرون. يختفون في يوم ما دون سابق إنذار ، دون تبرير، بلا كلمة وداع واحدة، كفأس صامت يقطع الأربطة بينهم، الأربطة التي ما زال يتدفق الدم الدافئ من خلالها إلى البعيد وينبض بهدوء.

لا بد أن يكون لديه شيء ما، شيء متأصل فيه يخيف الناس. "تسوكورو تازاكي عديم اللون"، قال بصوت مرتفع. أنا بالأساس ليس لدي ما أقدّمه للآخرين، إذا فكرت في هذا، حتى إنني ليس لدي ما أقدمه لنفسي.

في الصباح بعد أن تودعا من أمام المكتبة بثلاثة أيام ظهر هايدا في مسبح الكلية، قبل أن يتشقلب تسوكورو مرة أخرى ويركل بقدمه الحافة الأخيرة من المسبح نقر أحدهم ظهر يده اليمنى عندما لمست جدار المسبح، نظر، كان هايدا هناك، مقرفصاً، ببنطال السباحة ونظارات السباحة السوداء التي علت جبهته، ابتسامته المبهجة الاعتيادية ارتسمت على وجهه. ومع أنهما لم يريا بعضهما منذ مدة طويلة إلا أنهما بقيا صامتين، بالكاد يومئان، وكالعادة بدآ يسبحان في ذات المسار، الحوار الذي جرى بينهما وهما في الماء كان عن حركات العضلات الطيّعة، وعن ركلاتهم اللطيفة والمتناسقة فحسب. لم يكن هناك داعٍ للكلمات.

"عدتُ إلى أكيتا لبعض الوقت". فسّر هايدا ما حصل أخيراً. انتهيا من السباحة، واستحمّا، وجفّف شعره، "حصلت بعض الأمور العائلية".

أومأ تسوكورو وردّ ردّاً غير ملزم، لم يكن هايدا يتغيب لعشر أيام في منتصف الفصل ، كان كتسوكورو يحاول ألا يغيب إلا إذا كانت هناك حاجة ضرورية، لذلك لا بد أن يكون هناك شيء هام جداً، لكن لم يقل

هـايـدا شيئاً غير السبب الـذي دعـاه لـيرجـع إلـى مـوطـنـه، ولـم يـضغط تـسوكـورو عليه أكثر مـن ذلـك. عـودة صـديـق تـسوكـوورالـصغير الـتي حصلت بـالـصدفـة جـعلته يشعر وكـأنـه بطريقة أو بـأخـرى قـادر عـلى أن يخرج كمية كبيرة من الـهواء العالقة في صدره، كأنّ الضغط الثقيل في صدره قد انزاح. لم يصبح منبوذاً بعد هذا كله.

عاد هايدا إلى الطريقة التي كان يتعامل بها مع تسوكورو، تكلّما، وتناولا الطعام معاً، جلسا على الكنبة يستمعان إلى الموسيقى الكلاسيكية التي جلبها هـايـدا مـن المكتبة، يتناقشان حـول الـموسيقى والـكتب الـتي قرآها، وإذا لم يفعلان ذلك فإنـهما ببساطة يجلسان معاً يتقاسمان الصمت اللطيف. أتى هايدا في العطلة إلى شقته ، كانا يتحدثان حتى وقت متأخر، وكـان سيبقى هـايـدا على الكنبة. لم يزر هـايـدا (أو شخصيته البديـلة) غرفـة نـوم تسوكورو، ولـم يحدق إليه في العتمة على أنَّ ذلك قد حصل فعلاً للمرة الأولـى. حلم تسوكـورو بـأحـلام جنسية كثيرة تـحوي شيرو وكورو، لكن لم يظهر هايدا فيها.

لكن مـا يزال تسوكـورو يحس أن عينيّ هايدا الواضحتين قد رأتـا فـي تـلك الـليلة مـا يـوجـد داخـل لا وعـيه. مـا تـزال نـظرات هـايـدا مـعلّقة كـاحتراق خفيف. كـان هـايـدا فـي ذات الـوقت يـراقب خيالات تـسوكـورو ورغباته السرية، يختبرها ويحللها واحدة تلو الأخرى، وفي النهاية أبقى على صداقة تسوكورو، كـان بـحاجـة إلـى أن يبقى بـعيداً عن تـسوكـورو لبعض الوقت ليتقبل ما قد رآه، ليرتب مشاعره ولينظم نفسه. وهذا ما يفسر لماذا تجنّب تسوكورو متعمداً لعشر أيام.

كـان ذلك مجرد تخمين بـالـطبع، تكهن غير مبرر، وغير عقلانـي، يمكن أن تسميه وهماً. لكنه لم يتخلص من تلك الفكرة، بل إنـها أقلقته، فكرة أنّ كل طيّة في أعماق دماغه قد تعرّت وتركته يشعر بأنـه أصغر من دودة بائسة تحت صخرة رطبة.

ما يزال تسوكورو تازاكي يشعر بأنه بحاجة إلى صديقه الصغير أكثر من أي شيء آخر.

الفصل الثامن.

ترك هايدا تسوكورو في نهاية شباط الذي تلا ذلك، أي بعد ثمانية شهور من لقائهما الأول، وهذه المرة لم يعد.

كانت قد انتهت الاختبارات النهائية، وعندما رجع هايدا إلى أكيتا كانت العلامات قد نُشرت. "عليّ أن أعود قريباً"، قال لتسوكورو. "الشتاء في أكيتا شديد البرودة، وأسبوعان أقضيهما في البيت هو أكثر ما أستطيع تحمله"، قال. "البقاء في طوكيو أسهل من ذلك، لكني أحتاج أن أزيل الثلج عن السطح، لذا يجب أن أقضي هناك بعض الوقت". إلا أنه قد مرّ أسبوعان وثلاثة أسابيع ولم يرجع هايدا إلى طوكيو، ولم يحصل أن اتصل به ولا مرة وحدة.

لم يهتم تسوكورو في بداية الأمر، وحسب أن هايدا يقضي وقتاً أفضل في البيت أكثر مما كان يتوقع، أو ربما نزل ثلج أكثر من المعتاد. ذهب تسوكورو إلى ناغويا لثلاثة أيام في منتصف آذار، لم يكن يريد أن يذهب إلى هناك، لكنه لم يستطع أن يبقى بعيداً إلى الأبد، ليس في ناغويا ثلج ليجرفه أحد عن سطح بيت العائلة بالطبع، لكن كانت تأتيه اتصالات لحوحة من أمه تتساءل عن سبب عدم مجيئه إليهم وقد انتهى دوام الجامعة. "لديّ مشروع مهم عليّ إنجازه خلال العطلة". كذب تسوكورو. "لكن يجب أن تكون قادراً على المجيء ولو لبضعة أيام في الأقل". أصرّت أمه. كانت إحدى أخواته الكبيرات قد اتصلت أيضاً تنقل له مدى شوق أمه إليه. "يجب أن تأتي". قالت. "حتى لو لمدة قصيرة". "حسناً فهمت". قال. "سآتي".

بالعودة إلى ناغويا، لم يكن يخرج إلى مكان غير الحديقة ليسير مع الكلب في المساء. كان يخاف أن يواجه أحد أصدقائه الأربعة السابقين، خاصة بعد الأحلام الجنسية بشيرو وكورو، وخاصة حين اغتصبهما في

خياله، لم تكن لديه الشجاعة الكافية ليقابلهما هما ذاتهما، حتى لو كانت تلك الأحلام خارجة عن سيطرته، وحتى لو استحال معرفة ماذا كان يحلم بهما، ورغم ذلك كان خائفاً أن تنظرا إلى وجهه وتعرفا بالضبط ما قد تمّ في أحلامه، ثم تدينانه بسبب أوهامه القذرة والأنانية.

كان يمتنع عن ممارس العادة السرية بقدر ما يستطيع ليس بسبب شعوره بالذنب من فعل ذلك بحد ذاته ولكن لأنه إذا لمس نفسه فلا يساعده ذلك، بل يجعله يتخيل شيرو وكورو، كان يحاول أن يفكر بشيء آخر إلا أنهما تطغيان على خياله. المشكلة هي أنها إذا تكررت الأحلام الجنسية أكثر، في الغالب يزداد تمييزهما، وتكون النتيجة نفسها، ولكن في الأقل لم تكن خيالات يستحضرها من مدى عالميّ. كان يعرف أنه يقدم أعذاراً، ولكن بالنسبة إليه كان هذا التعليل بالأساس إعادة صياغة للأحداث التي لا تحمل أية أهمية.

كانت الأحلام في الغالب تحمل المكونات نفسها، يمكن أن يتغيّر المكان وبعض التفاصيل، ولكن دائماً تكون الفتاتان عاريتين، تتشابكان معه، تمرر أصابعها وشفتيها على جسده بالكامل، تداعب عضوه ثم تمارسان الجنس معه. وفي النهاية تكون شيرو من يقذف داخلها دائماً، قد يمارس الجنس مع كورو ويكون ذلك مثيراً ولكن في اللحظات الأخيرة يدرك أنه قد غيّر الشريك فيأتي داخل جسد شيرو. بدأت تأتيه هذه الأحلام في صيف عامه الثاني في الجامعة، بعد أن طُرد من المجموعة وخسر فرصة رؤية الفتاتين مرة أخرى، بعد أن قرر أن لا يفكر بأصدقائه الأربعة من جديد. لم يذكر أنه قد حلم مثل هذه الأحلام من قبل. لماذا كان البدء في رؤية هذه الأحلام لغزاً، سؤالاً آخر بلا جواب، ليقحَم عميقاً في لا وعيه، في الدُّرج الذي يحمل عنوان "قيد الانتظار".

عاد تسوكورو إلى طوكيو مملوءاً بأحاسيس مفككة من خيبة الأمل. ليس ثمة كلمة واحدة من هايدا. لم يظهر في المسبح ولا في المكتبة، اتصل تسوكورو بسكن هايدا وفي كل مرة يأتيه رد بأنه ليس

هناك. أدرك أنه لا يعرف عنوان أو رقم منزل هايدا في أكيتا. لقد مضى كل ذلك، انتهت عطلة الربيع وبدأ عام جديد في الجامعة. تسوكورو الآن في السنة الأخيرة، وقد تفتحت زهور الكرز على الأشجار وانتثرت، ولم تأته أية كلمة من صديقه الصغير.

زار السكن الجامعي الذي كان يقيم فيه هايدا، أخبره مدير السكن أن هايدا قد قدّم طلباً للانتقال، في نهاية السنة السابقة في الجامعة، وأخذ جميع أغراضه. عندما سمع تسوكورو ذلك فقد القدرة على الكلام. لم يعرف مدير السكن سبب ترك هايدا السكن أو أين يمكن أن يذهب، أو ربما كان يعلم وتظاهر بكل بساطة أنه لا يعرف.

ذهب تسوكورو إلى مكتب قسم التسجيل واكتشف أنه أخذ إجازة، وسبب أخذها سريّ، ولم يتم إخباره بشيء آخر. كل ما عرفه أنه بعد الاختبارات النهائية مباشرة قد تم ختم طلب إجازته، وطلب إخلاء سكنه. في ذلك الوقت كان يرى تسوكورو كثيراً، كانا يسبحان معاً في المسبح وكان هايدا يزور شقة تسوكورو في العطل حيث كانا يتحدثان حتى وقت متأخر ثم يبيت عنده. أما الآن فقد جعل خطته بمغادرة الجامعة سرية كلياً. "سأرجع إلى أتيكا لعدة أسابيع". أبلغ تسوكورو كأنه أمر غير مهم، ثم اختفى عن الأنظار.

قد لا أراه ثانية، فكر تسوكورو، لقد صمم هايدا لسبب ما أن يرحل دون أن يفسر ذلك بأية كلمة، لم يحدث ذلك صدفة، لا بد أن يكون هناك سبب واضح يجعله يتصرف بهذه الطريقة. لا يهم ما كان السبب فقد شعر تسوكورو أن هايدا لن يعود، وأصبح حدسه صائباً. فعلى الأقل في الوقت الذي كان تسوكورو في الجامعة لم يُعد هايدا التسجيل في الجامعة، ولم يتصل به.

هذا غريب، كان تسوكورو يفكر طوال الوقت، إنّ هايدا يعيد قدَر والده، غادر الجامعة وهو في العشرين من عمره ثم اختفى، كما لو أنه

يسير على خطى والده أم أنّ قصة والده كلها تلفيق؟ هل كان يحاول أن يربط شيئاً به ويجعله يبدو كأنه حدث مع والده؟

لم يربك اختفاء هايدا هذه المرة - بطريقة ما- تسوكورو كثيراً كما ارتبك في السابق، لم يحس بمرارة من تخلي هايدا عنه، ففي الواقع شعر بعد فقدان صديقه بانحدارٍ هادئ ومحايد في حياته بطريقة غريبة. أحياناً تنتابه فكرة غريبة أن هايدا قد استوعب جزئياً خطيئة تسوكورو، دنسه، ونتيجةً لذلك كان يجب أن يبتعد.

لقد شعر تسوكورو بالوحدة دون صديقه بالطبع، ندم على الأشياء التي قام بها بتلك الطريقة، كان هايدا صديقاً جيداً، من الأصدقاء القلائل الذين تعرّف عليهم، لكن ربما لا مفر من هذا، كل الذي تركه وراءه مطحنة قهوة صغيرة، وكيس ملئ نصفه بالبن، ثلاثة أقراص لمجموعة (ليست) (Le mal du pays) الموسيقية بعزف لازار بيرمان، ومشهد عينيه الشفافتين الغريبتين، وتلك النظرة.

في أيّار، بعد أن علم تسوكورو بمغادرة هايدا سكنه بشهر، أقام علاقة جنسية حقيقية مع امرأة. كان يبلغ من العمر في ذلك الوقت واحداً وعشرين عاماً، واحداً وعشرين عاماً وستة أشهر. بدأ مع بداية العام الدراسي مرحلة التدريب، كان يرسم في شركة معمارية، والتي نام معها امرأة غير متزوجة، أكبر منه بأربع سنين، قابلها في المكتب. كانت في الجانب الصغير. شعرها طويل، وأذناها كبيرتان، وساقاها مذهلتان، وجسدها مشدود، وجذابة أكثر منها جميلة، وعندما تضحك تظهر أسنانها البيضاء الجميلة، كانت أكثر لطافة من اليوم الأول في عمله، إذأحس بأنها تكنّ له إعجاباً. لشاب تربى مع أختين تكبراه سناً كان تسوكورو يشعر دائماً بالراحة بصحبة نساء يكبرنه سناً. كانت المرأة في سن أخته الثانية.

وجد تسوكورو فرصة لدعوتها على العشاء ثم أخذها إلى شقته، وهناك أخذ دور القيادة وجذبها إلى السرير، قبلت ما عرضه مع لحظة تردد يسيرة، على الرغم أنها المرة الأولى التي يكون فيها تسوكورو مع امرأة، فإن الأشياء قد مرت بسلاسة، بلا ارتباك، بلا اضطراب، من البداية حتى النهاية، ولهذا السبب بدا على المرأة أنها على يقين بأنه خاض تجارب جنسية أكثر ممن هم في سنه رغم أنّ المرة الأولى التي مارس فيها الجنس كانت محصورة في حيّز الأحلام.

لقد أحبها تسوكورو فعلاً، فهي ذكية وجذابة، وفي حين أنها لا تقدم له ما يحفز فكره كهايدا إلا أن لديها شخصية منفتحة ومرحة، ولديها الكثير من الفضول، بالإضافة إلى أنها تستمتع بالحديث، تستمتع بالحب أيضاً، ومرافقتها عرّفته أكثر بأجساد النساء.

لم تكن تتقن الطبخ، لكنها تجد المتعة في التنظيف، فخلال مدة قصيرة كانت شقتها تشع نظافة، غيّرت الستائر، والملاءات، وأغطية الوسائد، والمناشف، والسجادات في الحمام بأخرى جديدة، لقد أضفت على حياة تسوكورو بعد هايدا لوناً وحياة، لكنه لم يستطع أن ينام معها دون عاطفة، قد يكون لأنه مولع بها، أو ليقلل من وحدته. على الرغم أنه لم يكن ليعترف بذلك، كان يأمل أن يثبت لنفسه أنه لا يميل إلى الرجال، أنه قادر على ممارسة الجنس مع امرأة حقيقية، ليس فقط في أحلامه. كان هذا غرضه الأساسي.

وقد حقق هدفه.

بقيت طوال الليل في شقته في أيام العطل كما كان هايدا يفعل منذ مدة ليست طويلة، مارسا الحب برويّة، حتى إنهما في بعض الأحيان كانا يمارسان الجنس حتى الفجر تقريباً. كلما مارس معها الحب كان يحاول أن لا يفكر بشيء آخر غيرها وغير جسدها. ركّز، وأطفأ خياله، وأزال كل ما لم يكن هناك؛ جسدي شيرو وكورو العاريين وشفتي هايدا، بقدر ما يستطيع. كانت مستمرة على أخذ حبوب منع الحمل، لذلك كان يأتي

داخلها بحريّة، كانت تستمتع بممارسة الجنس معه، وكانت تبدو راضية. عندما تنتشي تصرخ بصوت غريب. إنّ الأمر على ما يرام، يحدّث نفسه. أنا طبيعيّ، بعد هذا كله. شكراً لهذه العلاقة، لقد اختفت أحلامه الجنسية.

كان يريان بعضهما لثمانية أشهر، ثم قررا باتفاق متبادل أن ينفصلا، كان هذا قبل تخرجه من الجامعة. عرضت عليه شركة لسكك الحديد عملاً، وانتهى عمله الجزئي في الشركة المعمارية. وحينما كانت ترى تسوكورو كان لديها حبيب آخر، شخص ما قد رجع إلى موطنها في نيغاتا، تعرفه منذ الطفولة (معلومة قد أفصحت عنها في اليوم الذي ناما فيه معاً). ستتزوجه في شهر نيسان، خططت أن تترك عملها في الشركة المعمارية وتنتقل إلى مدينة سانجو، حيث يعمل خطيبها. "إذاً، لن أستطيع رؤيتكَ بعد الآن". أخبرت تسوكورو ذلك في أحد الأيام وهي ممدة بجانبه على السرير.

"إنه شخص جيد جداً". قالت وقد أرخت يديها على يديّ تسوكورو. "نحن مناسبان لبعضنا".

"أكره شعور أني لن أراكِ مرة أخرى". قال تسوكورو. "لكن أعتقد أنّ عليّ تهنئتك".

"شكراً لك". قالت، ثم وكأنها تكتب هامشاً صغير جداً في زاوية الصفحة "ربما أحظى بفرصة رؤيتك مرة أخرى، يوماً ما".

"سيكون هذا عظيماً". قال تسوكورو على الرغم من أنه وجد صعوبة في فك لغز ذلك الهامش. كان يتساءل فجأة: عندما تكون مع خطيبها هل تصرخ بنفس الطريقة؟ مارس الاثنان الحب مرة أخرى.

انتابه شعور سيئ فعلاً لعدم قدرته على رؤيتها مرة في الأسبوع، لقد أدرك أنه إذا كان يريد أن يتجنب الأحلام الجنسية وإذا كان يريد أن يعيش أكثر في الحاضر فإنه يحتاج إلى شريك دائم يمارس معه الجنس،

ورغم ذلك فقد كان زواجها -بغض النظر عن أي شيء- تطوراً جيداً بالنسبة إليه، إذ لم يكنّ لها إحساساً أبعد من عاطفة هادئة وانجذاب جسديّ صحيّ، وفي تلك الأثناء كان تسوكورو في طريقه ليشرع في مرحلة جديدة في حياته.

الفصل التاسع.

كان تسوكورو -عندما جاءه اتصال من سارة كيموتو- يضيع الوقت، وذلك بفرز المستندات المكدّسة على المكتب، يستبعد ما لا يحتاج، ويقرأ الفوضى المتراكمة في درج المكتب. كان يوم خميس، أي بعد خمسة أيام من رؤيتها الأخيرة.

"هل تستطيع التكلم؟".

"بالتأكيد"، قال تسوكورو. "أنا فقط آخذ الأمور بسهولة بهدف التغيير".

"جيد"، قالت "هل لديك متسع من الوقت لاحقاً؟ حتى وقت متأخر قليلاً؟ لديّ عشاءٌ في الساعة السابعة، لكني أستطيع رؤيتك قبل ذلك. إذا استطعت أن تأتي إلى جينزا فسأقدّر لك ذلك".

حملق تسوكورو إلى ساعة يده. "سأكون هناك الساعة الخامسة ونصف، فقط أخبريني أين سأقابلك".

أخبرته عن اسم مقهى بجانب تقاطع جينزا يونشوم. عرف تسوكورو المكان.

أنهت عملها قبل الخامسة، غادرت المكتب، وأخذت خط مارونوتشي من شينجوكو إلى جينزا. ولحسن الحظ كان يرتدي ربطة العنق التي قدمتها له سارة المرة الماضية.

كانت سارة في المقهى عندما وصل، وكانت قد طلبت قهوة وتنظره، أشرق وجهها عندما رأت ربطة العنق. وعندما ابتسمت، ارتسم خطان صغيران ساحران بجانب شفتيها. أتى النادل، طلب تسوكورو قهوة. كان المقهى مكتظاً بالناس الذي يتقابلون بعد العمل.

"أعتذر لأني جئت بك من كل تلك المسافة". قالت سارت.

"لا، من الجيد أن أذهب إلى جينزا كل مدة". قال تسوكورو. "فقط أتمنى أن نذهب إلى مكان ما ونتناول العشاء معاً".

زمّت سارة شفتيها ثم تنهدت. "أتمنى أني أستطيع، لكن يجب أن أذهب في عشاء عمل هذه الليلة. هناك شخص مهم جاء من فرنسا ويجب أن آخذه إلى مطعم كايسيكي فاخر. أكره هذا النوع من الأطعمة، أتوتر فلا أستطيع حتى تذوق ما آكله".

إنها تهتم بمظهرها بشكل كبير حتى أكثر من المعتاد، لاحظ تسوكورو ذلك. كانت ترتدي سترة مخططة بلون بني كلون القهوة، وبروش في قلادتها فيه ألماسة صغيرة جداً تلمع من المنتصف، تنورتها قصيرة، وتحتها جوارب، وما رُسم عليها له نفس لون السترة.

شدت كبّاس حقيبتها ذات اللون الكستنائي، التي كانت قد وضعتها في حضنها، وأخرجت ظرفاً أبيض كبير فيه كثير من الأوراق المطوية. أغلقت الحقيبة بأناقة. صوتٌ ساحر، من النوع الذي تتوقع أن تستدير رؤوس الناس إليه.

"لقد بحثت في أمر أصدقائك الأربعة، أين هم، وماذا يفعلون الآن، كما وعدتك".

ذُهلَ تسوكورو. "لكن ذلك استغرق أقل من أسبوع".

"أنا سريعة فيما يتعلق بالعمل، إذا التقطت خلاصة الشيء فلا أستقرغ وقتاً طويلاً حتى أنهيه".

"يستحيل أن أفعل ذلك".

"كل شخص له ميزة خاصة به. لا يمكنني بناء محطة قطار".

"ولا عمل مسودة حتى".

ابتسمت. "إلا إذا عشت مئات السنين".

"إذاً، أنت تعرفين أين أربعتهم الآن؟". سأل تسوكورو.

"إلى حد ما". قالت.

"إلى حد ما"، أعاد تسوكورو. للتعبير رنين غريب. "ماذا تعنين؟".

ارتشفت من فنجان القهوة ثم أعادته إلى الصحن، توقفت قليلاً، تفحصت أظفارها المطلية، كانت تبدو جميلة، لونها كلون حقيبتها كستنائي (ربما أفتح قليلاً). كان يراهن بكل راتبه الشهري أن ذلك لم يحدث صدفة.

"دعني أخبرك بالأشياء بالترتيب". قالت سارة. "وإلا فلن تظهر بشيء صحيح".

أومأ تسوكورو. "بالتأكيد، بأي طريقة تفضلين".

بدأت سارة تشرح بسرعة كيف أجرت التحقيق. بدأت بطرق بحث عبر الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي بما في ذلك الفيس بوك، غوغل، تويتر، كما قد تقصت المعلومات عن حياة الأربعة. لم يكن جمع معلومات عن أو وأكا صعباً. إنهم في الحقيقة قد شاركوا معلوماتهم بصورة صريحة على الإنترنت، ومعظمها متعلقة بأعمالهم.

"فيه نوع من الغرابة لو فكرت به". قالت سارة. "إننا نعيش في عصر لا مبالٍ، نحن الآن محاطون بكمية معلومات هائلة عن الآخرين، إذا كنت تشعر بهذا فستجمع بسهولة تلك المعلومات عنهم".

"الملاحظات الفلسفية تتلاءم تماماً مع طريقة ارتداء ملابسك اليوم". قال تسوكورو.

"شكراً". قالت سارة وابتسمت.

عندما يأتي الأمر لكورو فلن تكون التحقيقات سهلة. فليس لديها أسباب عملية لتفصح عن معلوماتها الشخصية للعالم، ومع ذلك بقيت

تبحث في المواقع الإلكترونية عن قسم الفنون الصناعية في كلية أيشي لفنون المحافظات، وأخيراً أصبحت سارة قادرة على تقصي المواقع.

كلية أيشي لفنون المحافظات؟ لكن كان من المفترض أن تذهب كورو لقسم الأدب الانجليزي في كلية خاصة للإناث في ناغويا، ولكن لم يذكر تسوكورو ذلك، لقد أبقى السؤال لنفسه.

"لم أستطع معرفة الكثير عنها"، قالت سارة. "لذلك فقد اتصلت بمنزل عائلتها، اختلقت قصة أني زميلة سابقة لها في الكلية، قلت إني أعدّل الرسالة الإخبارية للخريجين وأحتاج عنوان سكنها، كانت أمها لطيفة وأخبرتني بكل شيء".

"أنا واثق أنك جيدة جداً في استدراجها". قال تسوكورو.

"ربما أكون كذلك". قالت سارة بتواضع.

جاء النادل وكان على وشك أن يرفع فنجان قهوتها لكنها أشارت بيدها أن لا يفعل ذلك، وبعد أن غادر النادل تابعت كلامها.

"جمع المعلومات عن شيرو كان صعباً وبنفس الوقت سهلاً، حيث لم أجد أية معلومات شخصية عنها، لكن المقال الصحفيّ أخبرني بكل ما أحتاج معرفته".

"المقال الصحفي؟". سأل تسوكورو.

عضت سارة شفتها. "هذا جزء حساس، لذلك -وكما أخبرتك من قبل- دعني أخبرك بهذا بالترتيب الصحيح".

"أعتذر". قال تسوكورو.

"أول شيء أريد معرفته هو إذا كنت تعرف أين هم أصدقاؤك الأربعة الآن، هل تريد أن تراهم مجدداً؟ حتى لو وجدت أن بعض ما سأخبرك به مزعج؟ حقائق قد تتمنى أنك لم تكتشفها؟".

أومأ تسوكورو. "لا أستطيع توقع ماذا يمكن أن تكون، لكني نعم أريد أن أرى أربعتهم، لقد قررت ذلك".

حدقت سارة في وجهه لبعض الوقت قبل أن تتكلم.

"كورو-إري كورونو تسكن بفنلندا الآن، نادراً ما ترجع إلى اليابان".

"فنلندا؟".

"تعيش في هلسنكي مع زوجها الفنلندي وابنتينهما الاثنتين. فإذا كنت تود رؤيتها ستضطر للسفر إلى هناك".

رسم تسوكورو صورة قاسية لخارطة أوروبا في عقله. "إنني حقاً لم أسافر من قبل، ولقد وفّرت بعض الوقت لأخذ استراحة، وسيكون من الجيد أن أتفحص السكك التي في شمال أوروبا".

ابتسمت سارة. "لقد دونت عنوان شقتها ورقم هاتفها في هلسنكي. لماذا تزوجت رجلاً فنلندياً وكيف آل بها الأمر إلى العيش بهلسنكي، ستتقصى ذلك بنفسك، أو ربما ستسألها بنفسك".

"أشكرك. عنوانها ورقم هاتفها يفي بالغرض".

"إذا كنت تنحو إلى السفر إلى فنلندا، أستطيع أن أساعدك في ترتيبات السفر".

"لأنك محترفة".

"لا تشر إلى القدرة والمهارة".

"بالتأكيد".

أظهرت سارة الورقة المطبوعة الأخرى: "أو-يوشيو أومي موظف مبيعات في وكالة لكزس في مدينة ناغويا، يعمل بطريقة ممتازة كما يبدو، لقد حاز على أفضل مكافآتهم الأخيرة القليلة المتعلقة بالمبيعات، ما يزال صغيراً ومع ذلك فإنه رئيس قسم المبيعات".

"لكزس" قال تسوكورو مدمدماً بالاسم بينه وبين نفسه.

حاول تسوكورو أن يتخيل أو بزي العمل في صالة عرض مضاءة بطريقة زاهية، يوضح للزبون ملمس الجلد، ونوعية طلاء السيارة الراقية، لكنه لم يستطع تصور ذلك. الذي رآه بدلاً من ذلك كان أو في الركبي مرتدياً الجاكيت الصوفي متعرقاً، ويتجرع شاياً بارداً بنكهة الشعير مباشرة من الإبريق، ويضع طعاماً يكفي لاثنين.

"هل تفاجأت؟".

"هو شعور بالاستغراب قليلاً". قال تسوكورو. "لكن ما أفكر به الآن هو أنّ أو ربما يكون موظف مبيعات جيداً حقاً، إنه شاب مستقيم، ورغم أنه ليس المتحدث الأفضل لكن الناس تثق به. ليس من النوع الذي يلجأ إلى الحيل الرخيصة، وإذا عمل هناك مدةً فأتخيله سينجز الأمر بشيء جيد".

"أفهم أن لكزس نوع ممتاز من السيارات وموثوق".

"إذا كان بائعاً عظيماً فعلاً ربما يقنعني أن أشتري لكزس أيضاً إذا قابلته".

ضحكت سارة. "ممكن".

تذكر تسوكورو والده وكيف أنه لم يركب في أي سيارة إلا المرسيدس بنز ذات الحجم المتوسط، وكان كل ثلاث سنوات كساعة العمل يبدّلها بمرسيدس أحدث من الطراز نفسه. أو بالأحرى حتى لو لم يفعل ذلك فإن التاجر سيعرض عليه كل ثلاث سنوات أن يبدل سيارته بأخرى حديثة ومجهزة بالكامل. سيارة دائماً لامعة وبراقة بلا خدش أو عيب. لم يقد والده السيارات بنفسه، دائماً ما يكون لديه سائقاً، النوافذ ملونة بالرمادي الغامق، فالداخل غير مرئي، أغطية العجلات لامعة كالعملات الفضية التي قد سُكت حديثاً، تصنع الأبواب طرقة جامدة مثل الخزنة عندما تغلق، ومن الداخل تشبه غرفة مقفلة، تغرق في المقعد

الخلفي وتشعر بأنك بعيد عن إزعاج وفوضى العالم الخارجي. لم يحب تسوكورو أن يركب سيارة أبيه. إنها هادئة كثيراً، وهو يفضل المحطة المزدحمة والقطارات المليئة بالمسافرين.

"بدأ أو العمل لصالح وكالة تويوتا منذ أن تخرّج من الكلية، وبفضل النتائج المذهلة في المبيعات عام 2005 عندما تحركت الشركة لإطلاق وكالة لكزس في اليابان أُختيرَ للانتقال إلى ذلك القسم. وداعاً كورولا، مرحباً لكزس". تفحصت سارة مرة أخرى طلاء أظافر يدها اليسرى. "إذن ليس من الصعب أن ترى أو مجدداً، فقط قم بزيارة معرض لكزس وسوف يكون هناك".

"فهمت". قال تسوكورو.

قلبت سارة الصفحة التي تليها.

"بالمقارنة مع أو، حياة أكا-كي أكاماتسو عاصفة جداً، فقد تخرج الأول على صفه من الاقتصاد في جامعة ناغويا وعمل في بنك مهم، واحد مما يسمى البنوك العملاقة، ولكن لسبب ما استقال بعد ثلاث سنوات وذلك للعمل في شركة تمويل معروفة إلى حد ما، شركة ممولة خارج ناغويا. إحدى شركات تمويل المستهلكين تلك التي لها سمعة غير طيبة كثيراً، تغيير في الاتجاه بالنسبة إليه غير متوقع أبداً، لكنه لم يبقَ هناك لوقت طويل، فقط سنتين ونصف قبل أن يستقيل. حصل في ذلك الوقت على تمويل من مكان ما وبدأ شركته الخاصة، واحدة مما تزود بمزيج من مؤتمرات التنمية الشخصية ومراكز تدريب للشركة، يسميه (مؤتمر العمل المبدع). أصبح العمل ناجحاً بطريقة مذهلة... كثيراً، حتى إن لديه الآن طاقم كبير، ومكتب في مبنى شاهق وسط ناغويا. إذا كنت تريد أن تعرف المزيد عنه فمن السهل أن تجده عبر الإنترنت، اسم الشركة هو BEYOND. تبدو أنها من العصر الجديد ألا تعتقد ذلك؟".

"مؤتمر العمل المبدع".

"الاسم جديد لكنه لا يختلف عن مؤتمر التنمية الشخصية". قالت سارة. هي في الأساس دورة سريعة مرتجلة لغسيل الدماغ بهدف تعليم محاربي شركتك النموذجيين، يستخدمون كتيّب تدريب بدلاً من الكتب المقدسة، بالإضافة إلى ترقية وراتب مرتفع يكافئ ثقافتهم ونعيمهم، دين جديد لعصر براغماتي. ليس هناك عناصر فائقة كما هي في الدين، كل شيء رقمي وضمن النظرية، شفاف للغاية ويلتقط بسهولة، والقليل القليل ممن يحصلون على الدافع الإيجابي منه، لكن الحقيقة هي أن الأمر لا يتعدى صب منوّم في نظام الفكر الذي يتناسب مع أهدافهم، خليط من آرائهم وإحصاءاتهم تلك التي تنتظم مع أهدافهم النهائية. الشركة ذات سمعة ممتازة، ولقد وقعوا عقود على الكثير من المشاريع التجارية المحلية، تظهر المواقع أنهم شغّلوا مجموعة من البرامج الجديدة المكفولة لاسترعاء انتباه الناس، مجموعة تشبه مخيم التدريب، تتدرب لتشغل موقع الموظفين الجدد، ودورة إعادة تأهيل صيفية للموظفين ذوي المستوى المتوسط، والتي تقام في فندق ومنتجع راق، وهناك وجبة غداء غنية بالطاقة للمدراء في المراكز الأولى. الطريقة التي تجمع فيها الندوات تجعلهم في الأقل يظهرون بمظهر جذاب، يركزون على تعليم آداب العمل، وتصحيح مهارات التواصل للموظفين الصغار. شخصياً إنه آخر شيء أود أن أفعله، ولكني أستطيع أن أفهم كيف تجد الشركات ذلك جذاباً. هل يعطيك هذا الآن فكرة عامة عن نوع العمل الذي نتحدث عنه؟".

"أعتقد ذلك". قال تسوكورو. "ولكن لبدء عمل مثل هذا فأنت تحتاجين إلى كمية مقبولة من رأس المال. من أين يمكن أن يحصل أكا عليه؟ والده دكتور جامعي، ومن نوع الرجل المستقيم. وكما عهدته فإنه ليس بذلك الثراء، ولا أستطيع تخيل أنه مستعد أن يستثمر في شيء ما بتلك الخطورة".

"لا أعرف. إنه أمر غامض". قالت سارة. " لقد قيل إنه عندما عرفته في المدرسة الثانوية كان أكاماتسو من ذلك النوع من الأشخاص الذي تتخيل أنه سيصبح معلماً روحياً؟".

هز تسوكورو رأسه. "لا، إنه أكثر ما يكون من النوع الأكاديمي الهادئ والموضوعي، كان سريعاً وعبقرياً، وله أسلوبه في الكلام، ومع هذا كان معظم الوقت يحاول ألا يظهر شيئاً من هذا القبيل، ربما لم يكن عليّ أن أقول ذلك، لكنه كان مطمئناً إلى الخلفية التي خطط لها بنفسه، لا أستطيع تخيله وهو واقف أمام الناس، ويحاول أن يلهمهم ويشجعهم".

"الناس يتغيرون". قالت سارة.

"صحيح، بشكل كافٍ". قال تسوكورو. "الناس يتغيرون نعم، ولا يهم كم كنا قريبين من بعضنا في وقت ما، وكم كنا منفتحين، ربما لم يكن أحد منا يعرف أي شيء حقيقي عن الآخر".

حدّقت سارة إلى تسوكورو لبعض الوقت قبل أن تتكلم. "على أية حال، كلاهما يعملان في مدينة ناغويا. لم يخطوان في الأساس خطوة خارج المدينة منذ ولادتهما، مدارسهما كانت في ناغويا، عملهما في ناغويا. يذكرني هذا ب(العالم المفقود) لـ(كونان دويل). هل ناغويا مكان جميل حقاً؟".

لم يستطع تسوكورو أن يجيب، لكن انتابه شعور غريب، إذا كانت الظروف صعبة ربما سيقضي حياته بالكامل ضمن حدود ناغويا أيضاً، ولن يشكك في هذا.

صمتت سارة، طوت الأوراق وأعادتها إلى الظرف، وضعته على طرف الطاولة وارتشفت القليل من الماء. عندما تكلمت مرة أخرى، كانت نغمة صوتها رسمية أكثر.

"والآن عن آخر شخص، شيرو-يوزوكي شيراني، لسوء الحظ لا يوجد لها عنوان حالي".

"لا يوجد لها عنوان حالي". همس تسوكورو.

أسلوب غريب هذا الذي استخدمته، فكّر تسوكورو. إذا قالت إنها لم تعرف عنوانها الحالي ويمكن أن يحصل عليه هو. لكن قولها إنها لا تملك عنواناً حالياً بدا أمراً غريباً. نظر في العواقب. هل فُقدت شيرو؟ لم تكن بلا مأوى أليس كذلك؟.

"للأسف، لم تعُد في هذا العالم". قالت سارة.

"لم تعُد في هذا العالم؟".

لمعت صورة لشيرو -لسبب ما- قبل أن يفتح عينيه وهي في مكوك فضائي، تتجول في الفضاء الخارجي.

"لقد ماتت قبل ست سنوات"، قالت سارة. "لهذا السبب ليس لها عنوان حاليّ، لديها ضريح في إحدى ضواحي ناغويا. من الصعب عليّ إخبارك بهذا".

لم يعرف تسوكورو ماذا يقول، استنزفت طاقته، كالماء الذي يرشح من ثقب صغير في الكيس، الهمهمة حوله قد اختفت، وصوت سارة هو الشيء الوحيد الذي بالكاد يصله. كان صدىً بعيداً وبلا معنى، كأنه يسمعه من قعر المسبح. أيقظ نفسه، جلس باستقامة، ورفع رأسه فوق الماء. لقد أصبح أخيراً قادراً على السماع مجدداً، وبدأت الكلمات تستعيد معناها. كانت سارة تتحدث إليه.

"... لم أسجل تفاصيل موتها، أعتقد أنه من الأفضل لك أن تكتشفها بنفسك، حتى لو أخذ ذلك وقتاً".

أومأ تسوكورو تلقائياً.

قبل ست سنوات؟ قبل ست سنوات كان سنُّها ثلاثين. ثلاثين فقط. حاول تسوكورو تخيلها وهي في ذلك السن لكنه لم يستطع. ما يتخيله هو شيرو في السادسة عشرة أو في السابعة عشرة. حزن فظيع قد جرفه. ما هذا بحق الجحيم؟ لم يستطع حتى أن يكبر معها!

انحنت سارة على الطاولة وبلطف وضعت يديها الصغيرتين والدافئتين على يديه، فرح تسوكورو بهذه اللمسة الحميمة، وشعر بشعور عظيم بدا الآن كأنه يحدث بنفس الوقت وبعيدٌ، لشخص آخر.

"أعتذر كثيراً لأن الأمر انتهى بهذه الطريقة". قالت سارة. "ولكنك ستسمع ذلك يوماً ما".

"أعلم". قال تسوكورو. بالطبع يعرف ذلك، ولكن عقله سيأخذ وقتاً طويلاً ليجاري الواقع. لم يكن خطأ أحد.

"يجب عليّ أن أذهب". قالت سارة وهي تنظر إلى ساعة يدها. وضعت في يده الظرف. "لقد طبعت كل المعلومات بشأن أصدقائك الأربعة. الحد الأدنى فقط الذي قد كتب هنا، والأهم هو مقابلتهم شخصياً، ستتعرف على أشياء أكثر بهذه الطريقة".

"أقدر لك ذلك حقاً". قال تسوكورو. لقد استغرق وقتاً وهو يجمع الكلمات المناسبة، ويلفظها. "يتوجب عليّ أن أخبرك بالقريب العاجل كيف سارت الأمور".

"أنتظر أن أسمع منك. وعلى أية حال أي شيء أستطيع مساعدتك فيه، تأكد أن تخبرني به".

شكرها تسوكورو مرة أخرى.

غادرا المقهى وتودعا، وقف تسوكورو في الشارع يراقب سارة، بكنزتها الصيفية التي بلون القهوة بالحليب، لوّح لها واختفت في الزحام. تمنى أن يكون معها لوقت أطول، ويقضي مزيداً من الوقت بصحبتها، ويدور بينهما حديث جيد وعذب. لكنّ لها حياتها الخاصة، معظمها يحدث في الكواليس، في مكان إلى الآن لا يعرفه، وتفعل أشياء لا علاقة له بها.

طُوي الظرف الذي من سارة داخل جيب سترته، كان يحتوي على وثيقة مثنية بعناية، مسجّل فيها موجز مختصر عن حياة أصدقائه الأربعة. أحدهم لم يعد موجوداً هنا، لم تكن أكثر من حفنة من رماد أبيض. أفكارها، آراؤها، مشاعرها، آمالها أحلامها، كل ذلك قد اختفى بلا أثر. وبقي كل ذلك ذكريات. شعرها الأسود الطويل، أصابعها الدقيقة على المفاتيح، جلدها الأبيض الناعم الجميل (الذي قد أفصح الآن بطريقة غريبة)، عزفها لفرانز ليست **"Le mal du pays"**، الشعر في الأسفل الرطب، حلماتها القاسية. لا. لم يكن ذلك مجرد ذكريات. كان هذا: قرّر تسوكورو ألا يذهب إلى هناك.

إلى أين الآن؟ تساءل تسوكورو وهو يسند ظهره إلى عمود الإنارة. أظهرت ساعة يده أنها قريبة من السابعة. تبقى بعض الضوء في السماء، ولكنّ بريق نوافذ المتجر على طول الشارع كان يزداد أكثر مع مرور الدقيقة، ويلفت انتباه أولئك الهائمين على وجوههم. لا يزال الوقت مبكراً، ولا يوجد شيء محدد عليه أن يفعله، لم يكن يريد أن يعود إلى البيت الآن. لا يريد أن يكون وحيداً في مكان هادئ. باستطاعة تسوكورو أن يذهب إلى أي مكان يرغب. أي مكان في الأغلب. لكنه لا يستطيع التفكير بأي مكان.

سيكون جميلاً في وقت مثل هذا لو أستطيع أن أشرب أكثر، فكّر. معظم الرجال في هذا الوقت سيجدون حانةً ويسكرون، لكنّ جسده لا يستطيع تحمل أكثر من كمية محدودة من الكحول. لا تعطيه الخمرة المعطرة شعوراً بالتخدير، أو بالنسيان الممتع، ولكن صداع حاد في صباح اليوم التالي.

إذن إلى أين يجب أن أذهب؟

هناك خيار واحد فقط.

سار على طول الشارع الرئيس إلى محطة طوكيو، سار عبر مدخل ياسو، وجلس على مقعد رصيف خط يامانوتي. قضى ما يتجاوز الساعة

يراقب، كل دقيقة كانت تتوقف خطوط من عربات القطار الخضراء على الرصيف، ينزل حشد من الناس، وبسرعة تزداد حشود لا معدودة. كان عقله فارغاً وهو يراقب، مأخوذاً بالمشهد. لم يسكّن المشهد الألم في قلبه، ولكن التكرار اللا نهائي أسره كالعادة، في الأقل خدّر إحساسه بالوقت.

الحشد المتواصل من الناس قدم من مكان ما وشكّل خطوطاً تلقائياً، ركب في القطارات بنظام، وأُخذ إلى مكان ما. كان تسوكورو مأخوذاً بعدد الناس الموجودين في العالم، وبالعدد الهائل من عربات القطار الخضراء كذلك. إنها معجزة بالتأكيد، فكّر، كيف يُنقَل كثير من الناس بكثير من عربات القطار باتساق، كأنها لا شيء. كيف لهؤلاء الناس جميعاً أماكن يذهبون إليها، ويرجعون إليها.

عندما زال الاندفاع في ساعة الازدحام أخيراً، ترجّل تسوكورو تازاكي ببطء، ركب إحدى العربات ورجع إلى البيت. ما زال الألم هناك، لكنه أدرك أن هناك شيئاً ما عليه القيام به.

الفصل العاشر.

أخذ تسوكورو عطلة طويلة في نهاية أيّار وعاد إلى بيته في ناغويا لثلاثة أيام. كانت تقيم عائلته خدمة بوذية تذكارية لوالده، لذا فقد كان الوقت مناسباً جداً أن يعود.

منذ وفاة والده وأخته الكبرى تسكن مع زوجها في منزل والدة تسوكورو الواسع، لكن غرفة تسكورو القديمة ظلت شاغرة منذ غادرها، فبقي فيها. لم يتغير سريره، مكتبه، ورف كتبه من أيام دراسته الثانوية، رف الكتب قد صُفّت عليه خطوط من الكتب القديمة، الأدراج مليئة بأقلام الحبر ودفاتر المذكرات التي لم تستخدم منذ كان صبياً.

حدثت الخدمة التذكارية في اليوم الأول من عودته، أقيمت في معبد، متبوعة بوجبة طعام مع الأقارب، لقد أعطته وقتاً كافياً ليقف مع عائلته، وفي اليوم التالي كان متفرغاً، فقرر تسوكورو أن يرى أو أولاً، كان يوم أحد حيث معظم مواقع العمل مغلقة في الغالب إلا أعمال السيارات الحديثة، قرر تسوكورو أن أياً من أصدقائه يراه فإن الأمر سيكون سيظهر صدفة، دون موعد. لقد أراد أن يحصل على استجابة صادقة عندما يرونه مجدداً، دون إعطائهم فرصة أن يجهزوا أنفسهم عقلياً لهذه الزيارة. إذا لم يكن قادراً على لقائهم عندما يظهر، أو إذا رفضوا رؤيته فسيتعايش مع ذلك، إذا حصل ذلك فسيكتشف طريقاً آخر.

كانت صالة عرض لكزس في منطقة هادئة قرب قلعة ناغويا، صُفّت مجموعة سيارات لكزس بألوانها العديدة بطريقة رائعة، خلف نوافذ عرض زجاجية عريضة، كل أنواع السيارات، من السيارات الرياضية إلى سيارات الدفع الرباعي. السيارة الموجودة داخل المعرض، السيارة الجديدة المميزة قد انبعثت منها رائحة طيبة باتجاهه. مزيج من روائح الإطارات الجديدة والبلاستيك والجلد.

سار تسوكورو ليتحدث مع امرأة صغيرة جالسة على كرسي الاستقبال، لفت شعرها على شكل كعكة متقنة، كاشفة عن عنق بيضاء نحيلة، زينت عنقها بفازة من زهور الأضاليا البيضاء والزهرية.

"أود رؤية السيد أومي لو سمحتِ". أخبرها.

أومضت له بابتسامة هادئة متزنة متناسبة تماماً مع المعرض النظيف اللامع، أحمر شفاهها كان ظلاً طبيعياً، حتى أسنانها كانت جميلة. "السيد أومي؟ بالطبع سيدي. وأنت تكون؟".

"تازاكي". قال.

"السيد تاساكي، وهل لديك موعد اليوم؟".

لم يصحح خطأها في لفظ اسمه، إنه خطأ شائع. سيفي ذلك بالغرض.

"أخشى أنني لم آخذ موعداً".

"فهمت. إذا سمحت لي للحظة". ضغطت المرأة على زر إضافي على هاتفها وانتظرت حوالي خمس ثوانٍ، ثم تحدثت. "السيد أومي؟ هنا زبون يدعى السيد تاساكي يريد رؤيتك. نعم هذا صحيح. السيد تاساكي".

لم يستطع سماع ما كان يقوله الطرف الآخر، لم يسمع إلا ردودها المقصوصة القصيرة. قالت أخيراً: "حسناً سيدي، سأخبره بذلك".

أغلقت السماعة ثم نظرت إلى تسوكورو. "سيد تاساكي، أخشى أنّ السيد أومي مشغول هذه اللحظة، ولا يستطيع الانصراف عن عمله. أعتذر بشدة، لكن هل لي أن أطلب منك الانتظار؟ لقد قال أن الأمر لا يأخذ عشر دقائق".

كانت طريقتها في التحدث لطيفة وقد تدربت عليها كثيراً، عبارات التعظيم اليابانية لا تجد فيها عيباً، لقد بدت صادقة في اعتذارها عن

جعله ينتظر، من الواضح أنها قد تلقت تعليماً جيداً جداً، أو ربما كانت طبيعتها من ذلك النوع من الناس؟

"لا بأس. أنا لست مستعجلاً". قال تسوكورو.

قادته إلى أريكة سوداء جلدية بلشية. وبجانبه كان هناك أصيص ضخم مزخرف، ويُعزَف لحن لأنطونيو كارلوس جوبيم في الخلفية. وقوائم (جلوسي لكزس) موضوعة على طاولة القهوة الزجاجية الضيقة.

" تفضل القهوة أم الشاي؟ أو ربما الشاي الأخضر؟".

" سيكون جيداً لو كانت قهوة". قال تسوكورو.

وهو يتصفح قائمة أحدث سيارات اللكزس أحضرت له القهوة بكوب ملون باللون الكريمي مطبوع عليه شعار لكزس. شكرها. كانت القهوة لذيذة، ذات عبق منعش، وذات الحرارة الأفضل.

كان تسوكورو سعيداً بأنه قرر ارتداء بذلة وحذاء جلدي. لم يكن يعلم ما يرتديه الناس في العادة الذين يأتون لشراء سيارة لكزس، ولكنهم قد لا يأخذونه على محمل الجد إذا ظهر بقميص بولو وجينز وحذاء رياضي. فقبل أن يغادر المنزل بقليل غيّر رأيه فجأة ووضع على جسده بذلة وربطة عنق.

بقي ينتظر خمس عشرة دقيقة، وخلال ذلك كان يتصفح التشكيلة الداخلية لموديلات لكزس. وقد اكتشف أن لكزس لم تعطِ لموديلاتها المختلفة أسماء، ككورولا أو كراون لكن بدلاً من ذلك فقد استخدمت أرقاماً للتمييز بين الموديلات. بالضبط كمرسيدس بنز و بي ام دبليو. وسيمفونيات برامس.

ظهر أخيراً رجل طويل، قطع صالة العرض باتجاه تسوكورو. كانت كتفاه عريضتين، سار بطريقة حاسمة يجعل ممن حوله يعرف أنه لن يضيع وقتاً في الانتقال من النقطة أ إلى النقطة ب. هو أو حتماً، حتى

وإن تمت رؤيته من مسافة بعيدة، لقد بدا أنه –تقريباً- لم يتغير منذ أن كان في المدرسة الثانوية، لقد كبر جسده قليلاً، هذا كل ما في الأمر، كبيتٍ مع توسعة تستخدم عندما تكبر العائلة. أرجع تسوكورو القوائم إلى أعلى الطاولة وقام من على الكنبة.

"أعتذر لأني جعلتك تنتظر. أدعى أومي".

وقف أو أمام تسوكورو، انحنى قليلاً، البذلة التي غطت جسده كانت قد شُدت جيداً دون تجعيد واحد. بذلة ناعمة، مزيج من الرمادي والأزرق في قماش خفيف. إذا أخذنا بعين الاعتبار مقاسه فحتماً قد تمت صناعتها بناءً على الطلب. قميص رمادي فاتح وربطة عنق باللون الرمادي الغامق قد أكملت الطقم. تذكر تسوكورو كيف كان شكل أو في المدرسة الثانوية ووجد الآن مظهره بهذا اللباس المتكامل أمراً مفاجئاً. إلا أنّ شعر أو لم يتغير، قصة لاعب الركبي القصيرة، كما أنه أسمر جداً كما في السابق.

تغيرت ملامح أو قليلاً عندما رأى تسوكورو. لمع شك قليل في عينيه، كأنه قد رأى شيئاً في وجه تسوكورو قد تذكره، لكنه لم يستطع أن يتذكره تماماً. ابتسم، تراجع عما كان سيقول، منتظراً تسوكورو أن يتكلم.

"لقد مضى زمن". قال تسوكورو.

وحال سمع صوت تسوكورو غادرت فجأة طبقة الشك التي كانت تغطي وجه أو. لم يتغير صوت تسوكورو أبداً.

"تسوكورو؟". قال مضيّقاً عينيه.

أومأ تسوكورو. "أعتذر عن تطفلي في وقت العمل بهذا الشكل ، لكني رأيت أنها أفضل طريقة".

أخذ أو نفساً عميقاً، ارتفعت كتفاه ثم أخرج نفسه ببطء. نظر إلى جسد تسوكورو بالكامل كأنه يفحصه، تحركت نظراته من الأعلى إلى الأسفل ثم عادت إلى الأعلى مرة أخرى.

"لا أصدق كم تغيرت!". قال أو بانفعال. "إن اعترضتُ طريقك في الشارع فلن أميزك".

"لم تتغير أبداً".

"التوى فم أو الكبير إلى اتجاه واحد. "لقد زاد وزني، أصبح لدي كرش الآن، ولم أعد أستطيع الجري بسرعة، الجولف مرة في الشهر مع أحد الزبائن هذا كل ما أستطيع تحقيقه".

بقيا صامتين برهةً.

"لم تأتِ إلى هنا بهدف شراء سيارة هل أنا محق؟". سأل أو كأنه يوافق على ذلك.

"أنت محق، لم آتِ إلى هنا لشراء سيارة. إذا كنت متفرغاً أريد أن أتكلم معك، نحن الاثنان فقط. حتى لو كان وقتاً قصيراً".

أظهر أو عبوساً جزئياً وغير واثق. دائماً ما يفصح وجهه عن المشاعر، منذ المرة الأولى التي عرفه فيها تسوكورو.

"لدي جدول مكتظ جداً اليوم، عليّ أن أتفقد بعض الزبائن، وبعدها عندي اجتماع في المساء".

"أخبرني عن الوقت المناسب لك، أنا مستعد لما يتناسب معك. فهذا ما أعادني إلى ناغويا".

راجع أو جدوله في عقله، ثم حدق إلى ساعة الحائط. كانت الحادية عشرة والنصف. فرك أنفه بقوة ثم تكلم، كأنه عزم على شيء. "حسناً، سأتناول الغداء عند الساعة الثانية عشرة، أستطيع أن أقابلك لنصف

ساعة. إذا خرجت من هنا واتجهت يساراً سترى ستاربوكس أسفل الشارع. سأقابلك هناك".

وصل أو ستاربوكس الساعة الثانية عشرة إلا خمس دقائق.

"يوجد إزعاج هنا، لنأخذ بعض المشروبات ونذهب إلى مكان آخر". قال أو. طلب كاباتشينو وكعكة مدورة . اشترى تسوكورو زجاجة مياه معدنية. سارا باتجاه متنزه قريب وجلسا على مقعد فارغ.

غطت السماء طبقة رقيقة من الغيوم، لا يُرى أية بقعة زرقاء في أي مكان، لذا فلا يبدو شتاءً. ليس هناك رياح حتى. أغصان شجرة الصفصاف القريبة كانت مثقلة بأوراق خصبة ومتدلية بشكل كبير، تصل إلى الأرض تقريباً، لكنهما لا يزالان مستغرقان في تفكير عميق. أحياناً يحط عصفور صغير غير مستقر على غصن لكنه يستسلم بعد قليل ويحلق بعيداً. يرتعش الغصن قليلاً، كذهنٍ شديد الاضطراب، ثم يعود إلى ثباته.

"ربما قد تأتيني مكالمة ونحن نتحدث" قال أو "آمل أن تسامحني. فلدي مجموعة من الأمور المتعلقة بالعمل أحاول إنجازها".

"ليست هناك مشكلة، أستطيع أن أتخيل ما أكثر ما يجب أن تكون مشغولاً".

"الهواتف النقالة مريحة جداً على الرغم من أنها مصدر إزعاج"، قال أو. "إذن أخبرني، هل أنت متزوج؟".

"لا، ما زلت أعزبَ".

"لقد تزوجت قبل ست سنوات، ولدي طفل، ذكر يبلغ من العمر ثلاث سنوات. وآخر على الطريق، وزوجتي تكبر شيئاً فشيئاً. الموعد المقرر في أيلول. أنثى هذه المرة".

أومأ تسوكورو. "الحياة تمضي بلطف إذن".

"لا أعلم شيئاً عن اللطف، لكنها تمضي في الأقل. ليست هناك عودة ممكنة الآن لوضعها في طريقة أخرى. ماذا عنك؟".

"ليست سيئة جداً"، قال تسوكورو مخرجاً بطاقة عمل من محفظته، ومقدماً إياها لأو، الذي التقطها وأخذها يقرأها بصوت مرتفع.

"شركة [ــــ] لسكك القطار. قسم المعدات، فرع البناء".

"بشكل عام، نبني ونقوم بصيانة محطات القطار"، قال تسوكورو.

"دائماً ما كنت تحب المحطات، أليس كذلك؟"، قال أو بانفعال. أخذ رشفة من الكاباتشينو. "إذن لقد حصلت على وظيفة في المجال الذي تحب".

"لكني أعمل في شركة، لذا فإنني لا أستطيع فعل ما أحب، هناك كل الأنواع من الأشياء المملة التي يجب عليّ فعلها".

"إنه الشيء ذاته في كل مكان" قال أو "ما دمت تعمل لصالح أحد فيجب أن تطيق ذلك مع كثير من الحماقة". هز رأسه عدة مرات، كأنه يتذكر أمثلة.

"إذن هل مبيعات لكزس جيدة؟". سأل تسوكورو.

"ليست سيئة. تبقى هذه ناغويا. بلد التويوتا. سيارات التويوتا -عملياً- تبيع نفسها. لكن منافستنا الآن ليست نيسان وهوندا، إننا نستقطب الزبائن الذين يشترون السيارات المستوردة الأغلى. تحاول سياراتك المرسيدس والبي إم دبليو أن تحولهم إلى مشتري لكزس. هذا الذي دعا التويوتا إلى أن تصنع ماركة موثوقة. ربما تأخذ وقتاً لكنني واثق أنها ستنجح".

"الخسارة ليست خياراً".

ارتسمت نظرة غريبة على وجه أو لثانية ثم ابتسم بطلاقة. "آه حديثي الحيوي القليل في الركبي ــــ، لقد اخترتَ شيئاً غريباً لتتذكره".

"لقد كنتَ جيداً في تعزيز المعنويات".

"نعم، لكني ضعت معظم الوقت. العمل في الحقيقة يسير بسلاسة. ما يزال الاقتصاد يأخذ شكلاً سيئاً بالتأكيد، لكن الأغنياء ينجحون في الإمساك بأموالهم. بشكل مدهش جداً".

أومأ تسوكورو، وأكمل أو.

"لقد قدت سيارة لكزس بنفسي منذ مدة. إنها سيارت رائعة، وهادئة ولا تحتاج إلى إصلاح. لقد خرجت بواحدة في مادة الاختبار وزدت سرعتها لتصل إلى 125 ميلاً في الساعة. المقود كان ثابتاً، وليس هناك اهتزاز على الإطلاق، المكابح ثابتة أيضاً. إنها سيارة مذهلة. من الجميل أن تكون لديك القدرة على أن تبيع الناس شيئاً تؤمن به أنت نفسك. ناهيك ما أكثر ما توجّبَ أن أكون متحدثاً لبقًا وإلا لم أكن لأبيعَ شيئاً لا أحبه حقاً".

وافق تسوكورو.

نظر أو في عينيه تماماً. "أراهن أنني أبدو كبائع سيارات".

"لا أظن ذلك"، قال تسوكورو. لقد عرف أنّ أو كان صادقاً في شعوره، ومع ذلك، فقد بقيت الحقيقة، أنه لم يتحدث هكذا من قبل في أيام المدرسة الثانوية.

"هل تقود سيارة؟"، سأل أو.

"نعم، لكني لا أملك سيارة. تستطيع في طوكيو أن تستقل القطارات، والحافلات، وسيارات الأجرة. أتجول في الدراجة كثيراً. وعدما أضطر إلى سيارة أستأجر واحدة. إن الأمر يختلف عن ناغويا".

"نعم، سيكون هذا سهلاً وأقل تكلفة" قال أو. أصدر تنهيدة صغيرة. "الناس يخرجون دون سيارة. إذن كيف تعيش في طوكيو؟".

"حسناً، عملي هناك، ولقد عشت هناك مدة كافية لأعتاد عليها. ليس لدي مكان آخر لأذهب إليه. هذا كل ما في الأمر. لا يعني الأمر أنني مهووس بالمكان".

بقيا صامتين برهةً. مرت امرأة متوسطة في العمر ومعها كلبان مرقعان يسيران قبلها، ثم بعض العدائين المتوجهين إلى القلعة.

"لقد قلت أن لديك شيئاً تريد أن تتحدث بشأنه". قال كأنه يخاطب شخصاً في مكان بعيد.

"خلال العطلة الصيفية في سنتي الثانية في الكلية عدت إلى ناغويا واتصلت بك"، بدأ تسوكورو. "لقد أخبرتني حينها أنك لا تريد رؤيتي بعد الآن، أن لا أتصل بك مطلقاً، وأربعتكم كان لديه ذات الشيء. هل تتذكر ذلك؟".

"بالتأكيد أتذكر ذلك".

"أريد أن أعرف السبب". قال تسوكورو.

"هكذا بسهولة بعد كل هذا الوقت؟"، قال أو، وقد بدا مستغرباً بعض الشيء.

"نعم بعد كل هذا الوقت، لم تكن لدي القدرة أن أعود وأسألك، لقد كان ذلك غير متوقع أبداً، وصادم جداً، وكنت أخشى أن أسمع السبب الذي دعاكم إلى رفضي بتلك القوة. لقد شعرت بأنه إذا أخبرتني فلن أتعافى، لذلك حاولت نسيان الأمر كله دون أن أبحث فيما حدث، اعتقدت أن الزمن سيشفي الألم".

قضم أو قطعة صغيرة من الكعك ورماها في فمه، مضغها ببطء، وابتلعها بالكاباتشينو. أكمل تسوكورو.

"مضت ست عشرة سنة، لكني أشعر بأن الجرح لا يزال هناك داخلي، كأنه لا يزال ينزف. لقد حدث شيء في الواقع، شيء مهم جدا

لي جعلني أعي ذلك، هذا ما دفعني إلى المجيء إلى ناغويا لأراك، أعتذر عن الظهور في مثل هذه الحالة السيئة".

حدّق أو لبعض الوقت إلى أغصان الصفصافة الثقيلة المتدلية. "ليس لديك أية فكرة عن السبب الذي دفعك إلى فعل ذلك؟"، قال أخيراً.

"لقد فكرت فيه لست عشرة سنة لكني لم أحصل على نتيجة".

ضيّق أو عينيه، محتاراً على ما يبدو، ثم فرك أرنبة أنفه (عادته التي تظهر عندما يفكر كثيراً). "عندما أخبرتك بذلك قلتَ: أفهم ذلك ثم أنهيت الاتصال، لم تعترض ولم تفعل شيئاً آخر، لم تحاول أن تتقصى الأمر حتى، لذلك من الطبيعي أن أعتقد أنك قد عرفت السبب".

"الكلمات لا تخرج عندما تتألم بذلك العمق"، قال تسوكورو.

لم يرد أو، قسم قطعة أخرى من الكعك ورماها لبعض الحمام، تجمع الحمام بسرعة حول الطعام، بدا أنه معتاد على فعل ذلك، ربما يأتي في العادة إلى هنا في وقت استراحته ويتشارك مع الطيور غداءه.

"حسناً، أخبرني، ما السبب؟"، سأل تسوكرو.

"أليست لديك أية فكرة حقاً؟".

"نعم، حقاً".

بعدها فوراً صدرت موسيقى مبتهجة من جهاز أو المحمول، سحب الجهاز من جيب القميص، تفحص الاسم على الشاشة، ضغط على مفتاح بهدوء ثم أرجعه إلى الجيب. لقد سمع تسوكورو الموسيقى تلك في مكان ما قبل ذلك. أغنية شعبية قديمة لأحد ما، ربما هو مشهور قبل أن يُولد، لكنه لم يتذكر اسمه.

"إذا كان لديك شيء تريد أن تفعله"، قال تسوكورو، "أرجوك افعله بحرية".

هز أو رأسه. "لا بأس. إنه ليس بتلك الأهمية، سأقوم به في وقت لاحق".

شرب تسوكورو القليل من عبوة المياه المعدنية البلاستيكية. "لماذا طُردتُ من المجموعة؟".

فكر أو في ذلك لبعض الوقت قبل أن يتحدث. "إذا كنت تحاول أن تقول إنه ليست لديك أية معرفة عن السبب، ماذا يعني ذلك؟ أنك لم تقم بأية علاقة جنسية مع شيرو؟".

انكمشت شفتي تسوكورو متفاجئاً. "علاقة جنسية؟! مستحيل!".

"قالت شيرو إنك اغتصبتها"، قال أو كما لو أنه معارض لما قد قال. "لقد قالت إنك أجبرتها على الجنس".

بدأ تسوكورو يستجيب لكن الكلمات لم تأتِ. وحتى مع وجود الماء، جفّ جدار حلقه حتى الألم.

"لم أستطع تصديق أنك ستفعل شيئاً مثل هذا" أكمل أو.

"أعتقد أن كورو وأكا قد شعرا بذات الشيء. لست من النوع الذي يرغم أحداً على فعل شيء لا يريد فعله. أنت لست عنيفاً، نحن نعلم ذلك. لكن شيرو كانت جادة جداً في ذلك، لقد كانت تهجس بذلك حتى. كان لديك وجه عام، ووجه خاص مخفيّ، قالت. لديك جانب مظلم ومخفي، شيء مشوش ومفصول عن جانبك الذي يعرفه الجميع. عندما قالت ذلك لم يكن لدينا ما نستطيع قوله".

عض تسوكورو شفته لبعض الوقت. "هل وضحت شيرو ربما كيف اغتصبتها ؟".

"نعم بواقعية كبيرة وبتفصيل عظيم. لم أكن أريد أن أسمع شيئاً من ذلك. في الواقع، كان مؤلماً سماع ذلك، مؤلماً وحزيناً. لقد آلمتني، عليّ قول ذلك. على أي حال لقد كانت عاطفية جداً، كان جسدها يرتجف، كانت محتدة جداً، حتى إنها بدت كشخص مختلف. فحسب شيرو، لقد

سافرت إلى طوكيو لتشاهد حفلاً موسيقياً لعازف بيانو أجنبي مشهور، وأبقيتها في شقتك في جيوجاوكا. أخبرت والديها أنها ستبقى في فندق، لكن بالبقاء معك فإنها توفر النقود. بشكل طبيعي، قد تتردد في البقاء مفردها في شقة رجل، لكنه أنت، لذا أحست بالأمان. لكنها قالت إنك في منتصف الليل اغتصبتها. حاولتْ أن تقاوم، لكن جسدها كان متجمداً ولم يتحرك. لقد احتسيتما شراباً قبل النوم، وربما أضفت شيئاً إلى كأسها. هذا ما أخبرتنا به".

هز تسوكورو رأسه. "لم تزر شيرو شقتي في طوكيو ولا مرة، بقيت وحدي دائماً".

هز أو كتفيه بشكل خفيف، تغير وجهه كأنه قد قضم شيئاً مراً، ونظر في جانب واحد. "الشيء الوحيد الذي كنت سأفعله أن أصدق ما قالت. لقد أخبرتنا أنها كانت عذراء، أنك أفقدتها عذريتها بالقوة، وكان ذلك مؤلماً، وقد نزفت. كانت شيرو دائماً خجولة وعفيفة ولم أستطع أن أتخيل السبب الذي دعاها إلى اختلاق قصة حيّة كهذه".

عاد تسوكورو ينظر في ملامح أو. "افترض ذلك، ولكن لمَ لم ْتسألني؟ ألم يجدر بك أن تمنحني فرصة لأوضح ذلك؟ بدلاً من تجربتي هكذا في الغيب؟".

تنهد أو. "أنت محق تماماً. بالنظر إلى الماضي، بلى، هذا ما كان يجب علينا فعله، وجب أن نسمع رأيك في القصة، لكننا لم نكن نستطيع في ذلك الوقت ، كان ذلك مستحيلاً، كانت شيرو محتدة وقلقة بشكل لا يمكنك تصوره، لم نكن ندري ما حصل، لذا فكان أول شيء علينا فعله هو تهدئتها، لم نكن نصدق كل شيء، بعض الأجزاء لم تكتمل، لكننا في ذات الوقت لم نعتقد أنه كله خيال، كان ما أخبرتنا به مليئاً بالتفاصيل حتى أننا تخيلنا أنه ينحو إلى الحقيقة".

"مضيتم قدما إذن وطردتموني".

"تسوكورو عليك أن تفهم أننا صدمنا وتشوشنا تماماً، تألمنا أيضاً. لم نكن ندري من نصدق. وخلال ذلك وقفت كورو إلى جانب شيرو. لقد أرادت أن نقاطعك مثلما طلبت منا شيرو. أنا لا أبرر فعلتنا لكنني وأكا جاريناهم وفعلنا ما طلبت كورو".

تنهد تسوكورو. "إن صدقتني أو لم تصدقني، أنا لم أغتصب شيرو ولم أقم بعلاقة جنسية معها، حتى إنني لا أتذكر أنني فعلت ما يشبه ذلك".

أومأ أو لكنه لم يقل شيئاً. أي شيء سواء صدقه أو لم يصدقه قد مضى عليه وقت طويل جداً، هذا ما توصل إليه تسوكورو. على الثلاثة الباقين أيضاً، وعلى تسوكورو نفسه.

دق هاتف أو مرة أخرى، تفحص الاسم ثم عاد إلى تسوكورو.

"أعتذر، لكن هل تمانع إذا أجبت على هذه المكالمة؟".

"أجب". قال تسوكورو.

قام أو عن المقعد، سار خطوات قليلة بعيداً، وبدأ يتحدث عبر الهاتف. أوضحت لغة جسده وملامحه أنه زبون. تذكر تسوكورو فجأة لحن نغمة الرنين، هو لحن لإلفيس بريسلي (فيفا لاس فيجاس) !. لا يهم ما نوع الدوران الموضوع فيها، لكن هذه ليست النغمة المناسبة لبائع لكزس بارع. أحس تسوكورو أنه ببطء شديد يرشح من الأشياء حوله.

عاد أو وجلس على المقعد.

"أعتذر عن ذلك" قال. "لقد انتهيت".

نظر تسوكورو إلى ساعته، إنها تقرب من نهاية الثلاثين دقيقة التي قال أو أنه سيغادر بعدها.

"لكن ما الذي دفع شيرو إلى أن تدعي أشياء سخيفة مثل هذه؟"، سأل تسوكورو. "ولماذا أنا الذي تسبب بذلك؟".

"لا أعلم"، قال أو. هز رأسه بضعف عدة مرات. "أعتذر، لكني لا أستطيع مساعدتك، فأنا مغيب تماماً عن الأمر بكامله فيما مضى وحتى الآن".

شكوك حول ما هو صحيح وما يجب أن يصدقه قد سيطرت على أو، وهو ليس من النوع الذي يستطيع تحمل أن يكون قلقاً، لقد كان دائماً يقدم أقصى ما لديه في ملعب منظم، بقوانين منظمة، وفريق منظم.

"يجب أن تكون كورو تعرف أشياء أكثر"، قال أو. "لقد جاءني ذلك الانطباع، كأن تكون هناك تفاصيل لم تخبرنا بها، تفهم ما أعنيه؟ النساء يفصحن عن أشياء أكثر فيما بينهن".

"تعيش كورو في فنلندا الآن"، قال تسوكورو.

"أعلم، إنها ترسل إلي رسالة من حين لآخر"، قال أو.

صمتا مرة أخرى. مجموعة من ثلاث فتيات في المرحلة الثانوية بزي المدرسة يعبرن المتنزه، تحركت أطراف تنانيرهن بقوة مصدرةً حفيفاً، ثم ضحكن بصوت مرتفع عندما مررن من أمام المقعد. لم تزل الفتيات تشبه الأطفال، جوارب بيضاء وأحذية سوداء، وذات ملامح بريئة. أعطت تسوكورو إحساساً غريباً في أن يفكر أنه منذ زمن ليس بعيداً جداً كان وأو وأصدقاؤه بتلك السن.

"شكلك الآن مختلف تماماً ، أتعلم ذلك؟"، قال أو.

"بالتأكيد لقد تغيرت، أنت لم ترني منذ ست عشرة سنة".

"لا، ليس بسبب مضي زمن طويل. في البداية لم أميزك. وعندما نظرت جيداً، بالطبع عرفت من تكون. تبدو –لا أعلم- نحيلاً ومخيفاً نوعاً ما، لديك تلك الوجنات الغائرة، والعينان الحادتان. في السابق كان لديك وجه دائري، من النوع الناعم جداً".

لم يستطع تسوكورو أن يخبره كيف غيرته -خلال نصف عام- تلك الهواجس التي كانت تنتابه والتي أوصلته إلى التفكير بالموت، إلى تدمير نفسه، كيف حولت تلك الأيام، على الدوام، الشخص الذي كان. لقد أحس بإحساس لا يمكن تجاوزه، ولا يمكن تجاوز نصف اليأس الذي عاشه في ذلك الوقت حتى، ربما كان من الأفضل عدم زيادته أبداً. كان تسوكورو صامتاً، منتظراً أو أن يكمل.

"في مجموعتنا كنت دائماً الأكثر وسامة، الشاب الذي يعطي دائماً انطباعاً جيداً للآخرين، نظيفاً، ومرتباً، وأنيقاً، ومهذباً. كنت تثق دائماً أن تحيي الناس بلباقة، ولا تقول شيئاً غبياً. لا تدخن، وبالكاد تلمس الكحول، دائماً تأتي على الموعد. هل تدري أن أمهاتنا جميعاً كنّ أكثر المعجبات بك؟".

"أمهاتكم؟!"، قال تسوكورو متفاجئاً، إنه بالكاد يتذكر شيئاً عنهن. "ولم أكن وسيماً، ليس في ذلك الحين ولا الآن. لدي ذلك المظهر الأحمق".

هز أو كتفيه بشكل خفيف. "في الأقل كنت الأفضل شكلاً في مجموعتنا. كان لوجهي هوية، أظن أنها هوية الغوريلا، وأكا له صفة الطالب المثابر بنظارات. الذي أحاول أن أقوله هو أننا نظهر جميعاً بأدوارنا المختلفة بشكل جيد إلى حد ما. أعني حتى أنّ المجموعة استمرت.

"لعبنا تلك الأدوار بوعي؟".

"لا، لا أظن أننا كنا بذلك الوعي بها"، رد أو. "لكنا أحسسنا بكل دور لعبه كل واحد منا. أنا كنت الرياضي الذي لا هم لديه، أكا العاقل الذكي، شيرو الشابة الجميلة، كورو الممثلة الكوميدية سريعة البديهة، وأنت الشاب المهذب الوسيم".

فكر تسوكورو بذلك. "إنني دائماً ما أنظر لنفسي على أنني شخص فارغ، أفتقد اللون والهوية، ربما هذا دوري في المجموعة؛ أن أكون فارغاً".

انطلقت من عيني أو نظرة مرتبكة. "لم أفهم، ما الدور الذي يمكن أن يلعبه من هو فارغ؟".

"إناء فارغ، خلفية عديمة اللون، بلا خلل محدد، لا شيء مميز، ربما كان ذلك النوع من الأشخاص ضرورياً في المجموعة".

هز أو رأسه. "لم تكن فارغاً، لا أحد قد فكر بهذا أبداً، أنت... كيف أوضح ذلك؟ ساعدت الباقين ليرتاحوا".

"ساعدتهم ليرتاحوا؟"، أعاد تسوكورو مندهشاً. "تقصد كالموسيقى في المصعد؟".

"لا، ليس كذلك، من الصعب توضيح ذلك، لكنْ وأنتَ لدينا هناك كنا نستطيع أن نكون أنفسنا. لم تكن تتحدث كثيراً، لكن أقدامك كانت راسخة في الأرض وهذا ما أعطى المجموعة إحساساً بالأمان، كالمرساة. لقد رأينا ذلك بوضوح عندما لم تعد معنا. ما أحوجنا إليك فعلاً! لا أعلم إن كان ذلك السبب، لكن عندما غادرت ذهبنا إلى طرق متفرقة نوعاً ما".

بقي تسوكورو صامتاً، غير قادر على إيجاد الرد الصحيح.

"تعلم أننا -بطريقة ما- كنا خليطاً مذهلاً، خمستنا كالأصابع الخمسة". رفع أو يده اليمنى وفرّق بين أصابعه السميكة. "ما زلت أدرك ذلك، نجح خمستنا جميعاً بشكل طبيعي في ما افتقر إليه الآخرون، وتشاركنا صفاتنا الجيدة. أشك أن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث مرة أخرى في حياتنا. إنه شيء يحدث مرة واحدة فقط. لدي عائلتي الآن، وبالطبع أحبها، لكن في الحقيقة ليس لدي ذات الشعور العفوي النقي تجاههم الذي كنت أكنه لكم جميعاً في ذلك الوقت".

كان تسوكورو صامتاً. ثنى أو الكيس الورقي على شكل كرة ولفه حول يده الكبيرة.

"أنا أصدقك تسوكورو" قال أو "بأنك لم تفعل شيئاً بشيرو. إذا فكرتَ في ذلك، فسيتولد وعي مطلق. لم تكن لتفعل مثل ذلك أبداً".

وحين كان تسوكورو يتساءل كيف سيجيب، صدر صوت (فيفا لاس فيجاس) من هاتف أو مجدداً. تفحص اسم المتصل وأرجعه إلى جيب قميصه.

"أعتذر، لكني مضطر إلى العودة إلى مكتبي، العودة إلى ضجة السيارت، هل تمانع إذا سرت معي إلى القسم؟".

سارا باتجاه الشارع جنباً إلى جنب، لم يتحدثا لوقت.

تسوكورو كان أول من كسر الصمت. "قل لي، لمَ فيزا لاس فيجاس نغمة للرنين؟".

ضحك أو بينه وبين نفسه. "هل رأيت ذلك الفيلم؟".

"منذ وقت طويل، على التلفاز في وقت متأخر جداً في الليل. لم أتابع كل شيء".

"فيلم سخيف نوعاً ما، صحيح؟".

ابتسم تسوكورو ابتسامة طبيعية.

"دعيت قبل ثلاث سنوات بصفة أفضل موظف مبيعات في اليابان، لأنضم إلى مؤتمر في لاس فيجاس يضم تجار لكزس الأمريكيين. كان مكافأة لأدائي أكثر منه مؤتمراً حقيقياً. وبعد الاجتماع في الصباح، كان بقية اليوم عبارة عن لعب قمار وشرب. كانت فيفا لاس فيجاس لحناً رئيسا للمدينة، تسمعه في كل مكان تذهب إليه. تعزف أغنيةً خلفية عندما يكون العدد كبيراً في الروليت أيضاً. وأصبحت تلك الأغنية بعدها تعويذتي الجالبة للحظ".

"هذا منطق".

"وقد أصبحت الأغنية بصورة مفاجئة تساعدني في العمل. يفرح الزبائن المتقدمين في السن عندما نكون نتحدث ويسمعون تلك النغمة. ما زلت صغيراً، لماذا تحب تلك الأغنية القديمة؟ يسألونني. أعتقد لأني كاسر للجمود نوعاً ما. فيفا لاس فيجاس ليست واحدة من أغاني إلفيس الأسطورية بالتأكيد. هناك أغانٍ أكثر شهرة بكثير، لكن هناك شيء خاص بها، شيء لا يتوقع أن يجعل الناس أكثر وضوحاً، لا يفعلون شيئاً بل يبتسمون، لا أعلم لماذا، لكن هذا حقيقي. هل زرت لاس فيجاس من قبل؟".

"لا، أبداً"، قال تسوكورو. "لم أسافر إلى الخارج ولا مرة، لكني أفكر أن أذهب إلى فنلندا يوماً ما في أقرب وقت".

أُخذَ أو بكلامه. وهو يسير كان يبقي عينيه مركزتين في تسوكورو.

"نعم قد يكون ذلك جميلاً، إذا استطعت سأذهب أيضاً. لم أتحدث مع كورو منذ يوم زفافها، ربما لا يصح أن أقول ذلك ولكني كنت أحبها". أدار أو وجهه ثم سار إلى الأمام بضع خطوات. "لكني حضيتُ بامرأة وأطفال الآن، ووظيفة تأخذ الوقت، رهن عقاري وكلب علي أن أسير معه كل يوم. لا أرى نفسي أبعد حتى أصل فنلندا. لكن إن رأيت كورو أبلغها سلامي".

"سأفعل"، قال تسوكورو. "قبل أن أفعل ذلك أفكر أن أرى أكا".

"آه"، قال أو. "ارتسمت على وجهه نظرة غامضة. شدت عضلات وجهه بطريقة غريبة. "لم أره مؤخراً".

"كيف ذلك؟".

"هل تعلم ما نوع الوظيفة الذي يعمل بها الآن؟".

"نوعاً ما" رد تسوكورو.

"أعتقد أنـه لا يـجب أن أدخـل فـي هـذا الـموضـوع الآن. لا أريـد أن أجعلك تنحاز إلى رأي معين قبل أن تراه. كل ما أستطيع قوله هو أنني غير مولع بما يفعل. لهذا السبب، إلى حد ما، لا أراه كثيراً. للأسف".

كان تسوكورو صامتاً مبقياً على مسافة سير بينه وبين خطوات أو الواسعة.

"ليس الأمر أن لدي شكوك به على مستوى شخصي، لدي شكوك تتعلق بعمله. هناك فرق" بدا أو كأنه يقنع نفسه. "ربما شكوك هي كلمة خاطئة، أنا فقط لا أشعر بارتياح لطريقة تفكير على كل حال، لقد أصبح مشهوراً جداً في هذه المدينة. لقد ظهر على التلفاز وفي الجرائد والمجلات بصفة متعهد حقيقي وعامل بارع. لقد وُصِفَ في مجلة نسائية على أنه واحد من أفضل الدارسين للبكالوريوس في جيله".

"أفضل الدارسين للبكالوريوس؟"، قال تسوكورو.

"لم أرَ أن ذلك سيجعله ينجح أبداً"، "لم أتخيل من قبل أنه سيظهر في مجلة نسائية".

"أخبرني، كيف ماتت شيرو؟"، قال تسوكورو، مغيراً الموضوع.

أتى أو إلى استراحة سريعة في منتصف الشارع، وقف ثابتة تماماً كتمثال. اصطدم الناس الذين يسيرون خلفه به تقريباً. وحدق مباشرة إلى تسوكورو.

"لحظة. بصدق أنت لا تعرف كيف ماتت؟!".

"كيف أعرف ذلك؟ إلى الأسبوع الماضي لم أعرف حتى أنها ماتت، لم يخبرني أحد".

"ألم تقرأ الجريدة؟".

"بالتأكيد، لكني لم أرَ شيئاً عن ذلك. لا أعلم ماذا حدث، لكني أعتقد أن صحف طوكيو لا تغطي الموضوع كثيراً".

"عائلتك لم تعرف شيئاً؟".

هز تسوكورو رأسه.

فقد أو ثقته بنفسه على ما يبدو، اتجه للأمام مرة أخرى وأبقى على خطواته السريعة. جاراه تسوكورو. بعد لحظة نطق أو. "بعد أن تخرجت شيرو من كلية الموسيقى درّست الموسيقى في منزلها بعض الوقت. ثم انتقلت إلى هاماماتسو أخيراً، وكانت تسكن وحدها. بعد سنتين وُجدت مخنوقة في شقتها. قلقت أمها لأنها لم تستطع أن تصل إلى شيرو، أمها هي من وجدها، ما زالت غير متعافية من الصدمة، ولم يعتقلوا أحداً إلى الآن".

شهق تسوكورو: مخنوقة؟

أكمل أو. "اكتشف جسد شيرو قبل ست سنوات، في 12 من أيّار، حتى ذلك الوقت نادراً ما كنا نتواصل مع بعضٍ، لذلك لم أكن أعلم ما نوع الحياة التي بدأتها في هاماماتسو، لا أعلم حتى لمَ انتقلت إلى هناك، عندما وجدتها أمها كانت شيرو قد توفيت منذ ثلاثة أيام، كانت ممددة على أرض المطبخ لثلاثة أيام.

"ذهبت إلى الجنازة في ناغويا"، تابع أو، "ولم أكن أستطيع التوقف عن البكاء، شعرت أن جزءاً مني قد مات، كأنني تحولت إلى حجر. لكن كما قلت، في ذلك الوقت كانت مجموعتنا قد انشقت بشكل كبير. كنا بالغين، لدينا حيوات مختلفة، لذلك لم يكن هناك الكثير لفعله تجاه ذلك. لم نعد طلاباً حمقى في مراحلنا الثانوية. ومع هذا، كان محزناً أن نرى ما كنا نسعى أن يكون شيئاً جوهرياً جداً في حياتنا قد تلاشى واختفى. لقد ضيعنا مثل تلك الأوقات التي قضينا فيها معاً وكبرنا فيها معاً".

عندما استعاد نفَسه، شعر تسوكورو كأن رئتيه تحترقان، لسانه منتفخ حتى كأنه يغلق فمه.

صدرت فيفا لاس فيجاس من الهاتف مرة أخرى، لكن أو تجاهلها وبقي يسير. بقيت ترن الأغنية المبتهجة و(خارج المكان) من جيب قميصه ثم توقفت.

عندما وصلا مدخل صالة عرض لكزس، أخرج أو يده الضخمة ليسلم على تسوكورو. لدى أو قبضة قوية. "أنا سعيد لأنني رأيتك"، قال وهو ينظر في عيني تسوكورو. نظرته إلى الناس في أعينهم مباشرة عندما يتحدث، ومصافحتهم بصلابة وبشكل جيد، هذا لم يتغير.

"أعتذر لأنني أزعجتك عندما كنت مشغول جداً"، نجح تسوكورو أخيراً في قول ذلك.

"لا مشكلة، أرغب في رؤيتك مجدداً عندما يكون لدي وقت أكثر، أشعر بأن لدينا أشياء أكثر لنتحدث بشأنها، تأكد أن تتواصل معي في الوقت القادم عندما تكون في ناغويا".

"سأفعل ذلك، أنا متأكد أننا سنتقابل في وقت قريب جداً"، قال تسوكورو. "أوه، شيء آخر، هل تتذكر القطعة الموسيقية للبيانو التي كانت شيرو تعزفها كثيراً؟ قطعة هادئة من خمس إلى ست دقائق لفرانز ليست تدعى **Le mal du pays** ؟".

فكر أو لدقيقة ثم هز رأسه. "إذا سمعت اللحن ربما أتذكر. لا أستطيع أن أعرف من العنوان، لا أعرف الكثير عن الموسيقى الكلاسيكية. لماذا تسأل؟".

"يحدث أن أتذكرها"، قال تسوكورو. "سؤال أخير: ما الذي تعنيه كلمة لكزس في العالم؟".

ضحك أو. "يسأل الناس ذلك كثيراً. في الحقيقة، إنها لا تعني شيئاً، إنها كلمة مخترعة. وكالة إعلانات في نيويورك جاءت بناء على طلب تويوتا. تبدو راقية ومؤثرة ولها رنين جميل. ما هذا العالم الغريب

الذي نعيش به؟ بعض الناس يواظب على بناء محطات القطار في حين يجني الآخرون أطناناً من المال في نحت كلمات ذات أصوات معقدة".

"تنقية صناعية" المصطلح الخاص بذلك. موضة العصر"، قال تسوكورو.

ابتسم أو ابتسامة واسعة. "دعنا نؤكد أن لا يترك أحد منا الآخر".

تواعدا. ذهب أو إلى صالة العرض، سحب هاتفه وأخرجه حين يخطو خطوات واسعة إلى الداخل.

قد تكون هذه المرة الأخيرة التي أراه فيها، فكر تسوكورو وهو ينتظر أن تتغير الإشارة في ممر المشاة. كان اللقاء في ثلاثين دقيقة بعد ست عشرة سنة محتملاً، قصيراً جداً لصديقين قديمين ليدركا بعضهما بشكل تام. بالطبع هناك الكثير الذي لم يجدا الوقت للتحدث به، ورغم ذلك أحس تسوكورو وكأنهما غطّا كل شيء مهم كان بحاجة ليفصح عنه.

أخذ تسوكورو تاكسي، ذهب إلى مكتبة محلية، وطلب النسخ المتبقية من الصحف التي صدرت قبل ست سنوات.

الفصل الحادي عشر.

زار تسوكورو صباح يوم الاثنين في الساعة العاشرة والنصف مكتب أكا. تبعد الشركة قرابة خمسة كيلومترات عن صالة عرض لكزس، في مبنى تجاري زجاجي حديث يحتل نصف الطابق الثامن، أما النصف الآخر فهو لمكاتب شركة دوائية ألمانية معروفة. ارتدى تسوكورو ذات البذلة التي ارتداها في اليوم السابق، وربطة العنق الزرقاء التي أعطتها له سارة.

في المدخل هناك علامة دعائية ضخمة، قد صممت بطريقة ذكية تدل إلى الخلف. المكتب نظيف، شرح ومشرق، وقد علقت على الجدار خلف كرسي الاستقبال لوحة تجريدية كبيرة، قد رشت بألوان أولية. كان من المفترض أن تكون غير واضحة، لكنها ليست بذلك الغموض. ودون تلك اللوحة كان المكتب يخلو من الزينة، ليس هناك زهور ولا أصص. من الصعب عليك أن تعرف من المدخل ما العمل الذي تقوم به هذه الشركة.

استقبلته من كرسي الاستقبال امرأة صغيرة في أوائل العشرينات، وقد ثنت شعرها من نهايته بإتقان، ترتدي فستاناً أزرق فاتح ذا أكمام قصيرة، وبروش من اللؤلؤ، من ذلك النوع من الفتيات ذوات الصحة الجيدة واللواتي تربين بحب ورخاء، في عائلة تتسم بالتفاؤل. أخذت بطاقة عمل تسوكورو، أشرق وجهها كله بابتسام، ثم ضغطت رقماً فرعياً على هاتفها كأنها تضغط على أنف ناعم لكلب عملاق.

بعد وقت قصير، فُتح الباب الداخلي، ثم ظهرت امرأة في منتصف الأربعينات بملامح قوية، مرتدية بذلة غامقة بأكتاف عريضة، وحذاء ذو كعب عريض، مظهرها قاتم بطريقة غريبة، شعرها قصير، فكها متين، تبدو قديرة بشكل كبير. هناك نساء في منتصف العمر يبدو عليهن أنهن متفوقات في أي شيء يقمن به، وهذه امرأة واحدة منهن. إذا كانت

ممثلة ستلعب دور مديرة متمرسة في التمريض، أو سيدة تعمل في خدمات الحماية الخاصة.

نظرت إلى بطاقة العمل التي قدمها تسوكورو، انتاب وجهها قليل من الحيرة، ما هو عمل ممثل بناء في قسم المعدات في مؤسسة طوكيو لسكك الحديد مع الرئيس التنفيذي للشركة المتخصصة في مؤتمرات العمل الإبداعي في ناغويا؟! علاوة على القدوم دون موعد! لكنها لم تسأله عن أسباب الزيارة.

" أعتذر ولكني أتساءل إن كنت تسمح لي أن أبقيك تنتظر هنا لبعض الوقت؟" قالت محاولة إظهار أدنى حد من الابتسامة.

أشارت إلى تسوكورو أن يجلس ثم اختفت خلال ذلك الباب، كان المقعد مصمماً تصميماً إسكندنافياً بسيطاً من الكروم والجلد الأبيض، جميلاً ونظيفاً، صامتاً بلا أي مقدار ولو قليل من الدفء، كمطر رقيق يسقط تحت شمس منتصف الليل. جلس تسوكورو وانتظر. المرأة الصغيرة على كرسي الاستقبال مشغولة ولديها بعض المهمات على الحاسوب المحمول، كانت تلقي نظرة من حين لآخر في اتجاهه، تظهر له ابتسامة مشجعة.

كانت كالمرأة في وكالة لكزس، من النوع الذي يراه تسوكورو كثيراً في ناغويا. ملامح جميلة، ترتدي دائماً الملابس المناسبة، ذلك النوع من النساء اللواتي تعطين انطباعاً جيداً، شعرهن مثني دائماً بطريقة جميلة، متخصصات بالأدب الفرنسي في كليات نسائية خاصة، وبعد أن يتخرجن يجدن عملاً مستقبلات أو سكرتيرات، يعملن لبضع سنين، يزرن باريس للتبضع مرة كل سنة مع صديقاتهن، ثم يلفتن أخيراً نظر أحد الشباب الواعدين في الشركة، أو ربما يتقدمن رسمياً لأحد وينهين العمل ليتزوجن، ثم يكرسن وقتهن ليلحقن أطفالهن بمدارس خاصة. أصبح تسوكورو وهو جالس يتأمل نوع الحياة التي انقادت إليها.

عادت السكرتيرة التي في منتصف من عمرها خلال خمس دقائق، وقادته إلى مكتب أكا. أظهرت ابتسامتها ثغراً بين أسنانها. أن تُظهر لتسوكورو احتراماً خاصاً، لشخص مثله أتى دون موعد ويريد أن يرى مديرها، إنه لحدث نادر.

قادته إلى الرواق بخطوات واسعة وطقطقة كعب مرتفعة ودقيقة كالصوت الذي يصدره حدّاد مخلص في الصباح الباكر. وعلى طول الممر كانت هناك أبواب مختلفة ذات زجاج سميك وغير شفاف، لكن تسوكورو لم يكن يستطيع سماع أي نوع من الأصوات من الغرف المجاورة. بالمقارنة مع مكان عمله، وبالهواتف التي تظل ترن، والأبواب التي تضرب في الفتح والإغلاق، الناس يصرخون، إنه لعالم آخر مختلف تماماً.

مكتب أكا صغير بطريقة صادمة، ودافئ، وإذا نظرنا إلى قياس الشركة في الداخل فهناك مكتب ذو تصميم إسكندنافي أيضاً، كنبة صغيرة، وخزانة خشبية. على المكتب تحفة فنية من فولاذ لا يصدأ، وحاسوب محمول من نوع ماك، وجهاز صوتي من نوع B&O موضوع على الخزانة، ولوحة تجريدية أخرى كبيرة عُلّقت على الحائط من ألوان أولية زاخرة، تبدو أنها للرسام نفسه، نافذة المكتب كبيرة طويلة تطل على الشارع الرئيس، لكن لا تتخلل أي من الأصوات الخارجية إلى الداخل. يسقط ضوء شمس بداية الصيف على السجادة ذات اللون الموحد على الأرض. ضوء لطيف خافت.

الغرفة بسيطة بتصميم موحد، بلا أي شيء غريب، كل قطع الأثاث والمعدات ذات جودة عالية بصورة واضحة. بعكس صالة عرض لكزس -التي أوضحت عن طريقة لعرض الرفاهية- فإن هذا المكان قد صمم ليكون قاتماً وغير لافت.

وقف أكا من خلف مكتبه، لقد تغير كثيراً عما كان وهو في العشرينات، لم يزل قصيراً، قرابة خمس أقدام وثلاثة إنشات، لكن شعره

قد تساقط كثيراً، لقد كان يملك دائماً الشعر قليل الكثافة، أما الآن فقد أصبح ضئيلاً، جبهته بارزة تظهر شكل رأسه، وتعويضا عن خسارة شعره فقد كانت لحيته سوداء غامقة، هذا التناقض لافت للنظر إلى حد ما، إطار نظارته المعدني كان ضيقاً وعريضاً، تبدو جميلة على وجهه الطويل والبيضوي، جسده نحيل كما في السابق بلا أي أونصة زائدة، كان يرتدي قميصاً أبيض مقلماً تقليمات ضيقة، بربطة عنق بُنية، الأكمام قد طويت إلى المرفق، يرتدي بنطالاً من التشينوز باللون الكريمي، وحذاء دون كعب بني اللون من الجلد الناعم، أوضح كامل الزي عن حياة حرة وغير رسمية.

"أعتذر عن إقحام نفسي بهذا الشكل في الصباح"، قال تسوكورو.

"لا أبداً" قال أكا. أخرج يده وصافح تسوكورو. وعكس يد أو فقد كانت صغيرة وناعمة وقبضته لطيفة. لم تكن مصافحته لا مبالية بل مليئة بالدفء.

"كيف يمكن لي أن أقول لا؟! إنني سعيد برؤيتك في أي وقت".

"لكنك مشغول كثيراً، على ما أظن".

"العمل يبقيني مشغولاً بالتأكيد، لكن هذه شركتي وأطلع بقرارات نهائية، جدولي يمكن أن يكون مرناً إذا أردت له ذلك. أستطيع أن آخذ وقتاً إضافياً لبعض الأشياء أو أختصره مع أمور أخرى. في النهاية، وبوضوح، يجب أن تتوازن الحسابات ولا يمكن تغيير مجموع الوقت غير النهائي الذي تحصل عليه، بالطبع الله فقط من يستطيع فعل ذلك، لكني أستطيع القيام ببعض التعديلات الجزئية".

"إذا لم تمانع، أود أن أتحدث معك عن بعض الأمور الشخصية". قال تسوكورو."لكن إن كنت مشغولاً الآن أستطيع القدوم في أي وقت آخر يكون ملائماً لك".

"لا تهتم بالوقت، لقد قطعتَ كل تلك المسافة، نستطيع أن نأخذ وقتنا ونتحدث هنا الآن. جلس تسوكورو على الكنبة الجلدية السوداء التي تتسع لشخصين، وجلس أكا على الكرسي المقابل، وكانت بينهما طاولة بيضوية صغيرة وعليها منفضة زجاجية ثقيلة، التقط أكا بطاقة عمل تسوكورو مرة أخرى وأخذ يتفحصها، وضاقت عيناه.

"فهمت، إذن حلم تسوكورو تازاكي في بناء محطات القطار قد تحقق".

"أود أن أقول أن هذا صحيح، لكن لسوء الحظ لم أحصل على العديد من الفرص لأبني بشكل حقيقي محطة جديدة" قال تسوكورو. "إنهم نادراً ما يبنون خطوط قطار جديدة في طوكيو، لذا أغلب الوقت نعيد بناء وترميم المحطات الموجودة، نجعلها محررة. بناء استراحات متعددة الاستعمالات، بناء أسوار آمنة، بناء متاجر أكثر في المحطات، تنسيق الأمور لتستطيع خطوط سكك الحديد مشاركة المسارات... الوظيفة الاجتماعية من المحطات هي التغيير، لذا فإنهم يجعلوننا دائماً مشغولين".

"ومع ذلك فإن عملك يتعلق بمحطات سكك الحديد".

"صحيح".

"هل أنت متزوج؟".

"لا، ما زلت أعزبَ".

وضع أكا رجلاً على رجل، ثم أزال خيطاً كان عالقاً على ثنية بنطاله. "لقد حصل وتزوجت عندما كنت بسن السبعة والعشرين عاماً، لكني طلقت زوجتي بعد سنة ونصف، وبقيت وحيداً منذ ذلك الحين. من السهل أن تكون أعزباً، لأنك لا تضيع الكثير من الوقت. هل تتفق معي؟".

"لا، ليس تماماً. أرغب أن أتزوج. في الحقيقة لدي الكثير من الوقت الإضافي بين يديّ. لكني لم ألتقِ بالشخص المناسب بعد".

فكّر تسوكورو بسارة. إذا كانت هنا فقد يرغب الزواج بها، لكنهما بحاجة إلى أن يتعرفا على بعضهما البعض أولاً. كلاهما بحاجة إلى وقت أكثر قليلاً.

بالعودة إلى الماضي، عندما كان أو وأكا وتسوكورو في سن المراهقة، كانوا يستخدمون ضمائر التذكير القاسية. "omae وore": "أنا" و"أنت"، عندما يتحدث بعضهم مع بعض. لكن أدرك تسوكورو الآن بعد رؤيتهم وبمرور ست عشرة سنة أن هذه الطريقة في الخطاب لم تعد تبدو صحيحة. لم يزل أكا و أو يناديانه بomae ويخبران عن أنفسهما بore. لكن هذه الطريقة غير الرسمية في الحديث لم يعد وقعها سهل على سمع تسوكورو.

"نعم، العمل يسير بشكل جيد حتى هذه اللحظة" قال أكا. تنحنح. "أتعرف ماذا نعمل هنا؟".

"كثيراً، إذا ما كانت المعلومات في الإنترنت دقيقة".

ضحك أكا. "إنها ليست أكاذيب، هذا ما نفعله. الجزء الأهم هو بالتأكيد كله هنا" نقر أكا على صدغه. "كما هو الأمر مع الشيف، المكون الأكثر حساسية ليس مكتوباً في الوصفة".

"حسبما فهمت، ما تفعله بشكل رئيس هو تعليم وتدريب الموارد البشرية للشركات".

"بالضبط، نعلم الموظفين الجدد ونعيد تعليم الموظفين في مراحلهم المتوسطة، نقدم هذه الخدمة للشركات الأخرى، نعد برامج مصممة على مقياس أمنيات الزبائن وننفذها حالاً وباحتراف. إنها تحافظ على وقت وجهد الشركات".

"تعليم التعهدات الخارجية للموظفين".

"هذا صحيح، بدأ العمل كله بفكرتي. تعرف كما في الكتاب المصور عندما يضيء المصباح فوق رأس الشخصية. البدء بالتمويل جاء من رئيس شركة القروض الصغيرة الذي آمن بي وقدم لي المال. حدث هذا من التمويل الأصلي".

"وكيف جاءتك الفكرة؟".

ضحك أكا. "ليست بقصة ممتعة إلى هذه الدرجة. بعد أن تخرجت من الكلية عملت في بنك كبير، لكن العمل كان مملاً. فمن هم فوقي كانوا غير مؤهلين، لقد كانوا يفكرون فقط بالشيء الصحيح قُبالتهم، لم يكونوا يفكرون على مدى طويل، والشيء الوحيد الذي كانوا يهتمون به هو تغطية مؤخراتهم. أفكر إذا كان المصرف الأفضل هكذا إذن فمستقبل اليابان سيكون قاتماً جداً. ازداد تفكيري بذلك ثلاثَ سنوات، لكن لم يتطور شيء، بل كان الحال يسوء. لذا فقد تنقلت بين أعمال كثيرة ثم ذهبت للعمل في شركة قروض صغيرة. أحبني رئيس الشركة كثيراً وطلب مني العمل معه. في عمل مثل هذا أنت تملك حرية أكبر لتفكر بدهاء، والعمل كان بحد ذاته ممتعاً، لكن أيضاً لم تكن آرائي تتوافق مع ارتفاع الأسعار، وأنهيت العمل بعد تجاوز أكثر من سنتين، اعتذرت من الرئيس، وهذا ما حصل".

أخرج أكا علبة ماربولو أحمر. "هل تمانع إذا دخنت؟".

"لا أبداً". قال تسوكورو. وضع أكا سيجارة في فمه، وأشعلها بولاعة ذهبية صغيرة، ضاقت عيناه، أخذ نفساً ببطء ثم أخرجه. "حاولت أن أقطع التدخين لكني لم أقدر، إن لم أستطع التدخين لا أستطيع العمل، هل حاولت أن تقلع عن التدخين؟".

لم يدخن تسوكورو سيجارة في حياته.

أكمل أكا "أنا أقرب إلى أن أكون ذئباً وحيداً. ربما لا أكون أشبهه، ولم أفهم ذلك الجزء من شخصيتي إلى أن تخرجت من الكلية وبدأت

أعمل. لكن ذلك صحيح. عندما يطلب مني مغفل ما شيئاً غبياً تصل بي حالة الغضب إلى الدرجة القصوى، إن الأمر يشبه في الحقيقة أن تسمع عقلك وهو يتفجر. مستحيل أن يعمل شخص مثل هذا في شركة، لذا قررت أن أغادر بنفسي".

توقف أكا عن الكلام، وحدق إلى الدخان المائل إلى اللون الأرجواني الصاعد من يده، كأنه تقصٍ لأثر ذاكرة بعيدة.

"ما تعلمته من الشركة أيضاً أن أغلبية الناس في العالم ليست لديهم مشكلة في اتباع الأوامر. إنهم يشعرون بالسعادة في الحقيقة لأنهم يُخبرون بما يفعلون. قد يشتكون، لكن ذلك ليس شعورهم الحقيقي، إنهم يتذمرون كما العادة. إذا طلبت منهم أن يفكروا بأنفسهم ويطلعون بقرارات خاصة ويكونون مسؤولين عن هذه القرارات فستجدهم غير واعين. لذا فقد قررت أن أحول ذلك إلى عمل. إنه بسيط. آمل أن يكون لذلك معنى؟".

لم يقل تسوكورو شيئاً. كان ذلك سؤالاً بلاغياً.

"لقد جمعت قائمة بالأشياء التي لا أحبها، بالأشياء التي لا أحب أن أفعلها، وبما لا أحب أن يفعلها الآخرون. وبناء على هذه القائمة، صنعت برنامج لتدريب الناس الذين يتبعون الأوامر ممن هم فوقهم، فمن خلاله يستطيعون العمل بشكل نظامي أكبر. أظن أنك ستسميها فكرة عادية، لكني اقتلعت بعض العناصر جزئياً من أخرى. الخبرة التي اكتسبتها بنفسي، التدريب الذي تلقيته وأنا موظف حديث في البنك، لهما قيمة عالية. أضفت منهجاً مأخوذاً من أديان، ومؤتمرات تطوير الذات لجعل الأشياء ممتعة. بحثتُ عن شركات ناجحة في نفس المجال في الولايات المتحدة، قرأت الكثير من كتب علم النفس أيضاً.

أخذت العناصر من كتيبات خاصة تتضمن المنتسبين الجدد في قوات الشرطة الخاصة النازية والجنود في سلاح البحرية. خلال نصف

عام بعد أن خرجت من العمل، استغرقت بشكل حرفي في تطوير هذا البرنامج، إنني دائماً جيد في التركيز على مهمة واحدة معينة".

"والذي ساعدك أنك ذكي جداً؟".

ابتسم أكا. "شكراً. لا أستطيع أن أطلع وأقول ذلك عني".

أخذ نفساً من سيجارته، وكت الرماد في المنفضة، رفع رأسه ونظر إلى تسوكورو. "تحاول الطوائف الدينية ومؤتمرات تطوير الذات أن تجني المال من الناس، ولتفعل ذلك فإنها تمارس في الواقع صورة صريحة من غسيل الدماغ. نحن مختلفون، إذا فعلنا شيئاً مشكوكاً به فإن أقوى الشركات لن تعمل معنا. استخدام مقاييس قاسية وإجبار الناس على فعل أشياء، نحن لسنا بصدد ذلك. ربما تحصل على نتائج مذهلة لمدة لكنها لن تنتهي. تفعيل فكرة الانضباط في رؤوس الناس مهم، لكن البرنامج الذي تستخدمه يجب أن يكون علمياً بدرجة تامة، عملياً ورفيع المستوى. يجب أن يكون هناك ما يستطيع المجتمع تقبله، ويجب أن تكون النتائج ثابتة مدة طويلة. نحن لا نهدف إلى إنتاج زومبي، إنما نريد أن نخلق طاقة بشرية تفعل ما تريد منها الشركات، إنني إلى الآن أومن أنهم مفكرون مستقلون".

"إنها رؤية عالمية ساخرة جداً". قال تسوكورو.

"اعتقدت أن تراها بتلك الطريقة".

"لا أستطيع تخيل أن كل من التحقوا بمؤتمراتهم سيسمحون لأنفسهم أن يكونوا منضبطين هكذا".

"لا، أبداً. إن هناك عدد بسيط من الناس ممن رفضوا البرنامج، تستطيع أن تقسمهم إلى مجموعتين. الأولى غير اجتماعية، في اللغة الإنجليزية نسميهم "المنبوذون **Outcasts**". إنهم لا يقبلون أي صورة من النقد البناء، أياً كان هو. يرفضون أي نوع من الانضباط ضمن المجموعة. إنه تضييع للوقت أن تتعامل مع من هم كذلك، لذلك

فإننا نطلب منهم أن ينسحبوا. المجموعة الأخرى تشمل ممن يفكرون بأنفسهم حقاً. وهؤلاء من الأفضل أن تتركهم وحدهم. لا تمزح معهم. كل نظام يحتاج إلى أناس نخبة مثلهم، إذا سارت الأمور بشكل جيد سيكونون أخيراً في مناصب قيادية. في المنتصف، بين المجموعتين من هم من أولئك الذين يأخذون الأوامر ممن هم فوقهم ويفعلون ما يطلبونه منهم. وتلك هي الأغلبية الكبيرة من الناس. بتقديري القاسي 85% من المجموع. لقد طورت هذا العمل ليصل إلى 85%".

"وعملك يسير مثلما أردت؟".

أومأ أكا. "الأشياء تسير الآن أفضل مما حسبت. بداية إنها شركة صغيرة، مع مجموعة من الموظفين، لكنها نمت الآن كما ترى. اسمنا قد أصبح معروفاً جداً".

"لقد فرضت على نفسك المهمات التي لا تحب فعلها، أو الأشياء التي لا تحب أن تحدث معك، قمت بتحليلها، واستخدمتها لتبدأ عملك. هل هذه هي نقطة البداية؟".

أومأ أكا. "بالضبط. إنه ليس من الصعب أن تفكر فيما لا تريد أن تفعله أو ما يحدث لك، وليس صعباً أن تفكر بما تحب أن تفعله. هناك فرق بين الإيجابي والسلبي. سؤال توكيد".

"أنا لست مولعاً بما أفعله". تذكر تسوكورو كلمات أو.

"ألا تفعل ذلك بشكل جزئي لتنتقم شخصياً من المجتمع؟ كواحد من النخبة، هناك من يفكر كمنبوذ".

"ربما تكون على حق". قال أكا. ضحك من قلبه وطقطع أصابعه. "تقديم عظيم. تسوكورو تازاكي الفائدة".

"هل أنت المنظم لتلك البرامج؟ هل تقوم بالتقديم بنفسك؟".

"كنت أفعل ذلك في البداية. كنت الشخص الوحيد الذي يُتكل عليه في تلك المرحلة. هل تتخيلني وأنا أفعل ذلك؟".

"في الحقيقة لا". رد تسوكورو بصراحة.

ضحك أكا. "لأسباب ما، تبين لي أنني جيد في ذلك. لا يجب أن أتفاخر. لكني كنت مناسباً لتلك المهمة بالطبع. إن كل ذلك كان عمل، لكني كنت جيداً في أن أبدو حقيقياً ومقتعاً. مع ذلك لم أستمر في القيام بذلك. أنا لست معلماً روحياً بل أقرب إلى مدير. وأبقى مشغولاً جداً. ما أقوم به الآن هو تدريب المرشدين وترك الجانب العملي لهم. أُعطيت هذه الأيام كثيراً من المحاضرات، ودعتني الشركات لاجتماعاتها، وقدمت كلمة في مؤتمرات التوظيف الجامعية. هناك ناشر قد طلب مني أن أولف كتاباً أيضاً، أعمل عليه الآن".

أطفأ أكا سيجارته في المنفضة.

"عندما تملك الموهبة فإن هذا النوع من العمل لا يكون صعباً، فقط اطبع كتيباً لامعاً، صُفّ فيه لغة عالية المستوى، تكون دعاية ذاتية، احصل على مساحة مكتب كافية في جزء راقٍ من المدينة، اشترِ أثاثاً جذاباً، وظف أعضاء قادرين ورفيعي المستوى وادفع لهم رواتب جيدة جداً. الصورة هي كل شيء. إنك لا توفر أية تكاليف لخلق الصورة الحقيقية، والكلمة الخارجة من اللسان هي حساسة. عندما تحصل على سمعة جيدة ستحملك القوة الدافعة، لكني لست بصدد توسيع ما نفعله الآن. سنستمر في التركيز فحسب على الشركات في أعظم منطقة في ناغويا، إذا لم أستطع إبقاء عيني على الأشياء وحدي لا أستطيع أن أحافظ على مستوى الجودة".

نظر أكا بجدية في عينيّ تسوكورو.

"بربك. لست مستمتعاً إلى ذلك الحد بما تفعل. صحيح؟".

"إنه غريب، لم يخطر ببالي أبداً عندما كنا في مرحلة المراهقة أنك ستنتج مثل هذا النوع من العمل يوماً".

"ولا أنا" قال أكا وضحك. "كنت واثقاً أنني سأبقى في الجامعة وأصبح مدرساً جامعياً، ولكن عندما التحقت بالكلية أدركت أنني لست على صلة بالحياة الأكاديمية. إنه عالم راكد، ممل بطريقة ساحقة، ولا أريد أن أمضي بقية حياتي هناك. عندما تخرجت اكتشفت أن العمل في الشركة ليس مناسباً لي أيضاً. كان ذلك كله محاولة وخطأ، وفي نهاية المطاف وجدت مشكاتي. لكن ماذا عنك؟ هل أنت راضٍ عن عملك؟".

"ليس تماماً. لكنني لست غير راضٍ عنه بشكل كبير". قال تسوكورو.

"لأنك تستطيع أن تعمل في عمل يتعلق بمحطات القطار؟".

"هذا صحيح. كما قلت، أنا قادر على البقاء في الجانب الإيجابي".

"هل انتابتك يوماً ما بعض الشكوك حول عملك؟".

"كل يوم أبني أشياء تستطيع أن تراها. ليس لدي الوقت للشكوك".

ابتسم أكا. "هذا رائع، ويشبهك كثيراً".

ساد الصمت بينهما. صار أكا يعبث بالولاعة الذهبية بيده، ولم يشعل سيجارة أخرى. ربما وضع لنفسه عدداً محدداً من السجائر لكل يوم".

"أتيت إلى هنا لأن هناك ما تريد التحدث بشأنه، أليس كذلك؟". قال أكا.

"أود أن أسأل عن الماضي". قال تسوكورو.

"بالتأكيد. دعنا نتحدث عن الماضي".

"إنه بشأن شيرو".

ضاقت عينا أكا خلف نظاراته، وحك لحيته. "تستطيع أن تقول أنني توقعت ذلك بعد أن قدمت لي السكرتيرة كرت عملك".

لم يرد تسوكورو.

"أشعر بالحزن على شيرو" قال أكا بهدوء. "لم تكن حياتها سعيدة جداً. كانت جميلة، موهوبة جداً في الموسيقى، وماتت بطريقة مخيفة".

شعر تسوكورو بعدم الارتياح من طريقة أكا في اختصار حياتها بأسطر قليلة. لكن الخلاف الآن بأمر الوقت كان في وقت العمل، فهم ذلك. علم تسوكورو حديثاً عن موت شيرو في حين عاش أكا على علم به لست سنوات".

"ربما ليس هناك فائدة من ذلك، لكنني أريد أن أفسر سوء الفهم"، قال تسوكورو.

"لا أعلم ما قالت لك شيرو، لكني لم أغتصبها. لم يسبق لي أن دخلت في علاقة مثل هذه ولا من أي نوع معها".

"تذكرني الحقيقة أحياناً بمدينة غطيت بالرمال" قال أكا. "ومع مضي الوقت تتكدس الرمال أكثر وتصبح سميكة، وتمر عاصفة من حين لآخر، ليتكشف ما هو في الأسفل. ومع هذه الحالة، لقد كان بالتأكيد ما حصل أخيراً. سواء اتضح سوء الفهم أو لم يتضح، فأنت لست من النوع الذي يفعل شيئاً كهذا. أعرف ذلك جيداً".

"تعرف ذلك؟". أعاد تسوكورو.

"الآن أعرف، هذا ما أعنيه".

"لأن الهواء عصف بالرمال؟".

أومأ أكا. "إنه بشأن كميته".

"كأننا نتناقش بشأن التاريخ".

"نعم، نوعاً ما".

حدق تسوكورو إلى وجه صديقه القديم الجالس أمامه، ولكنه لم يستطع قراءة شيء يشبه الانفعال الظاهر في ملامح أكا.

تستطيع أن تخفي الذكريات، لكنك لا تستطيع أن تمحو التاريخ. تذكر تسوكورو كلمات سارة، وقالها بصوت مرتفع.

أومأ أكا عدة مرات. "بالضبط، تستطيع أن تخفي الذكريات لكنك لا تستطيع أن تمحو التاريخ. ذلك بالتحديد ما أريد قوله".

"على أية حال، بالعودة إلى الماضي، قطع أربعتكم علاقتهم بي، بشكل تام وبلا رحمة". قال تسوكورو.

"هذا صحيح، لقد قطعنا علاقتنا بك. إنها حقيقة تاريخية. لست أبررها ولكن في ذلك الوقت لم يكن لدينا خيار آخر. قصة شيرو كانت حقيقية جداً. لم تكن تمثل. كانت تتألم فعلاً. جرح حقيقي وألم حقيقي ودم حقيقي. لم يكن لدينا مجال لنشكك بها في ذلك الوقت. ولكن بعد أن قطعنا علاقتنا بك، وبعد أن مضى الوقت أكثر، ازدادت حيرتنا بالأمر كله".

"ماذا تعني؟".

وضع أكا يديه على جهاز الكمبيوتر المحمول، ثم فكر خمسَ ثوانٍ.

"في البداية، كانت الأشياء صغيرة، وبضع تفاصيل غير متوافقة، أجزاء من قصتها غير منطقية لكنها لم تزعجنا كثيراً، لم تكن تهم في بداية الأمر، لكنها بدأت تصبح متتالية ولاحظناها أكثر وأكثر، ثم فكرنا، هناك شيء ما غير صحيح".

كان تسوكورو صامتاً، منتظراً أن ينتهي.

"ربما لدى شيرو مشاكل عقلية". أخذ أكا يعبث بالولاعة الذهبية، وبحذر يختار كلماته. "هل كان مؤقتاً أو ظرفاً طويل الأمد، لا أعرف، لكن هناك شيء خاطئ حتماً. كانت تمتلك موهبة كبيرة في الموسيقى، ذلك النوع من الموسيقى الذي عزفته قد عصف بنا، ولكن لسوء الحظ قد احتاجت المزيد من نفسها. لقد كانت تمتلك الموهبة الكافية لتصنع طريقاً عبر العالم المحدود حيث تعيش، لكنها لم تكن كافية لتخرج إلى العالم الواسع. ولا يهم كم تدربت فهي لم تكن لتصل إلى المستوى الذي

رغبت به. تذكر كم كانت جدية ومنطوية، فعندما تدخل المعهد الموسيقى يزداد الضغط. وشيئاً فشيئاً بدأت تتصرف بغرابة".

أومأ تسوكورو ولم يقل شيئاً.

"إنها قصة ليست غريبة جداً" قال أكا. "إنها قصة حزينة، ولكن في عالم الفن هذه القصة تحصل دائماً. الموهبة كالحوض. تستطيع أن تجتهد ما أردت ولكن الحجم لن يتغير، سيحمل الحوض ماء كثيراً لا أكثر".

"أنا متأكد أن هذا النوع من الأشياء يحصل كثيراً" قال تسوكورو. "لكن أن يقال أني خدرتها في طوكيو واغتصبتها، من أين جاء ذلك؟! وجب لها أن تعترف بأن لديها ربما مشاكل عقلية، لكن ألا يمكن أن تكون هذه القصة قد أتت من لا مكان؟".

أومأ أكا. "حتماً، لقد أتت من لا مكان. إذ جعلتنا نصدقها في البداية. لم نتصور أن شيرو يمكن أن تخترع شيئاً مثل ذلك".

تخيل تسوكورو مدينة غابرة مدفونة بالرمل، وهو جالس أعلى التل الرملي يتأمل الخراب الجاف.

"لكن لماذا الشخص الآخر في القصة أنا؟ منكم جميعاً؟ لماذا كنت أنا؟".

"لا أعرف" قال أكا. "ربما شيرو تحبك بالسر، لذلك خاب أملها وغضبت منك لأنك ذهبت إلى طوكيو وحدك. أو ربما تغار منك، ربما كانت تريد أن تفلت من هذه المدينة. على أية حال، يستحيل الآن أن نفهم ما دفعها لقول ذلك، بافتراض أن هناك دافع أصلاً".

تابع أكا وهو يعبث بالولاعة.

"هناك شيء واحد أريدك أن تعرفه"، قال. "لقد ذهبت إلى طوكيو وبقينا الأربعة في ناغويا. لا أحاول أن أنتقدك على ذلك، لكنك حصلت

على حياة جديدة في مدينة جديدة. أما في ناغويا فقد بقينا الأربعة قريبين من بعضنا نتيجة لذلك. هل تدرك ما أحاول قوله؟".

" والواقعي أكثر أن تقطعوا علاقتكم بي كغريب على أن تقطعوها مع شيرو؟".

لم يرد أكا، لكنه تنهد تنهيدة طويلة غير عميقة. "بالنسبة لنا نحن الخمسة ربما كنت الأقسى بيننا، عاطفياً في الأقل. وبشكل مفاجئ أيضاً على اعتقاد أنك كنت هادئاً جداً. لم نكن -نحن الأربعة الذين بقينا- على شجاعة بأن نغامر مثلما فعلت. كنا خائفين من ترك المدينة التي تربينا فيها، ونودع أصدقاءنا المقربين. لم نستطع أن نترك تلك المساحة الدافئة المريحة، إن الأمر يشبه أن تقفز خارج السرير الدافئ في صباح شتائي بارد. لقد أتينا بكل الأعذار المعقولة في ذلك الوقت ولكني أرى الآن ما أكثر ما كانت صحيحة".

"لكنك غير نادم على البقاء هنا، أليس كذلك؟".

"كلا، لا أعتقد ذلك. هناك الكثير من الأسباب الجيدة والعملية للبقاء في مكاني، وكنت قادراً على استخدامها لصالحي. ناغويا مكان تتوفر فيه الروابط المحلية. خذ رئيس شركة القروض الصغيرة الذي مولني، لقد قرأ في الصحيفة بعد سنة عن جهود متطوعينا في الجامعة، ولهذا السبب وثق بي. لم أرد أن أستفيد بشكل شخصي من البرنامج الذي صنعه متطوعونا، لكنه سار بذلك المسار، والكثير من موظفينا هم ممن درسهم أبي في الجامعة. هناك رابط اجتماعي وثيق يشبه ذلك في دائرة الأعمال في ناغويا، والمدرس في جامعة ناغويا مثل اسم ماركة محترمة، لكن لا شيء من ذلك سيصنع أي اختلاف إذا ذهبت إلى طوكيو. سيتجاهلونني تماماً. هل توافقني الرأي؟".

بقي تسوكورو صامتاً.

تلك الأسباب العملية قد لعبت دوراً أيضاً. أفكر في سبب عدم مغادرة أحد منا نحن الأربعة المدينة. لقد اخترنا أن نبقى تحت الحمام الدافئ. لكن الآن أو وأنا فقط من بقينا هنا. شيرو ماتت، وكورو تزوجت وانتقلت إلى فنلندا. وأنا وأو يفصل بيننا شارع واحد حرفياً لكننا لم نلتق أبداً. لماذا؟ لأننا حتى إذا التقينا فليس لدينا ما نتحدث بشأنه".

"تستطيع أن تشتري سيارة لكزس، وحينها يكون هناك ما تتحدثا بشأنه".

غمزت عين أكا لا إرادياً. "أنا أقود بورش كاريرا 4 تارجا توب 6 جير وناقل يدوي للحركة. شعورك عندما تنتقل بين جير وآخر شعور مذهل. وعندما تستخدم جير تخفيف السرعة ينتابك شعور عظيم. هل قدت من قبل هذه السيارة؟".

هز تسوكورو رأسه.

"أحبها، ولن أشتري واحدة أخرى غيرها"، قال أكا.

"لكنك تستطيع شراء سيارة لكزس لتكون سيارة للشركة. أتلفها".

"لدي زبائن تتبع شركاتهم سيارات نيسان وميتسوبيشي، لذلك فهي ليست خياراً".

تبع ذلك صمت قصير.

"هل ذهبت إلى جنازة شيرو؟". سأل تسوكورو.

"نعم ذهبت، أقول لك، لم أرَ من قبل ومن بعد جنازة حزينة مثلها. مؤلم أن تفكر بها إلى الآن. كان أو هناك أيضاً. لم تأتِ كورو، كانت في فنلندا تنتظر مولودها الجديد".

"لماذا لم تخبرني أن شيرو قد ماتت".

لم يقل أكا شيئاً لوقت قصير، محدقاً إليه بانشداه على نحو خال من التعبير، عيناه لا تركزان على شيء. "حقاً لا أعرف" قال أخيراً. "كنت واثقاً أن أحداً ما سيخبرك. "ربما أو سـ...."."

"لا، لم يخبرني أحد أبداً. حتى الأسبوع السابق لم يكن لدي خبر أنها قد ماتت".

هز أكا رأسه وأداره كأنه يتفادى النظر إليه، وأخذ يحدق إلى شيء خارج النافذة. "أعتقد أننا ارتكبنا خطأً ما، أنا لا أبرر أفعالنا، لكن عليك أن تتفهم كم كنا مرتبكين. لم نكن ندرِ ما نفعل. كنا متأكدين أنك سمعت عن جريمة قتل شيرو. وعندما لم تظهر في الجنازة حسبنا أنك ستجد القدوم إلى هناك صعباً جداً".

لم يقل تسوكورو شيئاً للحظة، ثم نطق. "لقد سمعت في ذلك الوقت أن شيرو قد قُتلت، كانت تسكن في هاماماتسو؟".

"بقيت هناك ما يقارب السنتين. كانت تسكن وحدها وكانت تعلم البيانو للأطفال. عملت في مدرسة ياماها لتعليم البيانو، لا أعرف التفاصيل لماذا انتقلت إلى هاماماتسو، كان عليها أن تجد عملاً في ناغويا".

"ما نوع الحياة التي بدأت بها؟".

أخرج أكا سيجارة من الباكيت، وضعها بين شفتيه وبعد صمت قصير أشعلها.

"قبل قرابة سنة من مقتلها، كان يجب أن أذهب إلى هاماماتسو في عمل، اتصلت بها ودعوتها للعشاء. كان أربعتنا في ذلك الوقت قد ذهب في طريقه وكان من الصعب رؤية بعضنا. كنا نلتقي كل مدة معينة مرة واحدة، هكذا كان الأمر. لقد انتهيت من عملي في هاماماتسو في وقت أبكر مما ظننت، فكان لدي وقت فراغ، لذا كنت أود أن أرى شيرو للمرة الأولى و أقضي معها بعض الوقت، كانت متمالكة نفسها وهادئة أكثر

مما تخيلت. لقد بدت أنها مستمتعة بتركها ناغويا خلفها وعيشها في مكان جديد. تناولنا العشاء معاً واستغرقنا في سرد ذكرياتنا. ذهبنا إلى مطعم مشهور في هاماماتسو يقدم الإنكليس النهري تناولنا القليل من البيرة واسترخينا. لقد تفاجأت بأنها تستطيع الشرب، ولكن كان ما زال هناك القليل من التوتر، أعني أنه كان يجب أن نتجنب الحديث في مواضيع محددة...".

"تلك المواضيع المحددة كانت أنا؟".

نظر أكا إليه نظرة قاسية وأومأ. "كان لا يزل الأمر صعباً لها، لم تنسه. ومع ذلك بدت بحالة جيدة تماماً. ضحكت كثيراً وبدت مستمتعة بالحديث، وكانت طريقة كلامها طبيعية. تفاجأت أن انتقالها إلى مكان جديد كان عظيماً بالنسبة إليها. لكن كان هناك شيء واحد. لا يعجبني أن أقول ذلك ولكن لم تعد جذابة مثلما كانت من قبل".

"لم تعد جذابة؟". أعاد تسوكورو الكلمات، كان صوته بعيداً.

"لا، لم يكن ذلك هو التعبير الصحيح"، قال أكا وصار يفكر في ذلك. "كيف أوضح ذلك؟ ملامحها بقيت كما في السابق بالطبع، وبكل المقاييس ما تزال امرأة جميلة. إن لم تكن تعرفها وهي في سن المراهقة كنت ستظن أنها جميلة. لكني أعرفها من قبل، أعرفها جيداً. لم أنسَ ما أشحبها! شيرو أمامي الآن، ولكنها ليس هي".

عبس أكا قليلاً، كأنه يتخيل المشهد.

"رؤية شيرو بتلك الصورة كان مؤلماً جداً. من المؤلم أن تراها لم تعد تمتلك ذلك الشيء المشتعل الذي كان لديها. ذلك الشيء الذي يميزها قد اختفى، ذلك الشيء لم يعد يحركني كما في السابق.

صعد الدخان من سيجارة أكا الموضوعة على المنفضة. أكمل.

"لقد أتمت شيرو الثلاثين وكانت لا تزال شابة صغيرة. عندما قابلتني كانت ترتدي ملابس عادية، وشعرها مربوط إلى الخلف بكعكة،

بلا مكياج، لكن لم تكن الفكرة في ذلك، كل ذلك هو تفاصيل فقط. الفكرة التي أريد قولها أنها قد فقدت ذلك التوهج الذي كان لديها، حيوتها. كانت انطوائية دائماً ولكن كان في قلبها شيء قاتل وحي، شيء كان يجعلها حتى حذرة منه تماماً. ذلك الضوء، ذلك الإشعاع الذي يتسرب تلقائياً، ينبثق من الشقوق. هل تفهم قصدي؟ لكن في المرة الأخيرة التي رأيتها فيها كان كل شيء قد ذهب، كأن أحد قد تسلل خلفها وسحب الفيشة من القابس. ذلك النوع من التوهج المنعش، المتلألئ، الذي كان يميزها بشكل واضح، اختفى، وجعلني أنظر إليها بحزن. لم تكن مسألة سنٍّ، لم تكن تبدو بتلك الصورة بسهولة لأن سنَّها تزداد. عندما سمعت أن أحداً خنق شيرو تحطمتُ وتأسفت عليها. أياً كانت الظروف، فلم تكن تستحق أن تموت بتلك الصورة. وبذات الوقت لم أكن أستطيع مساعدتها ولكني شعرت بأن الحياة قد سحبت منها حتى قبل أن تقتل جسدياً".

أكمل أكا السيجارة التي في المنفضة وأخذ نفساً عميقاً وأغلق عينيه.

"لقد تركت في قلبي ثقباً كبيراً" قال أكا. "ذلك الذي لا يمكن أن يُملأ".

انتشر الصمت بينهما، صمت قاسٍ وكثيف.

"هل تتذكر القطعة الموسيقية التي كانت تعزفها شيرو كثيراً؟" سأل تسوكورو. "قطعة موسيقية قصيرة لليست "Le mal du pays"؟".

فكر أكا فيها ثم هز رأسه. "لا، لا أذكر ذلك. الوحيدة التي أتذكرها هي واحدة مشهورة لشومان من المشاهد في الطفولة. "Träumerei ". كانت تعزف ذلك أحياناً، لكني لا أعرف مقطوعة ليست. لماذا تسأل؟".

"ليس لسبب مهم. لكن يحدث أن أتذكرها" قال تسوكورو.

نظر إلى ساعته."أخذت الكثير من وقتك، يجب أن أذهب، وأنا سعيد حقاً لأننا تحدثنا".

لم يتحرك أكا عن كرسيه وحدق مباشرة إلى تسوكورو. كان خاليا من التعابير كشخص ينظر إلى مطبوع حجري جديد ليس عليه أية رسومات. "هل أنت مستعجل؟" سأل.

"لا أبداً".

"هلا نتحدث أكثر؟".

"بالطبع. لدي الكثير من الوقت".

فكر أكا ملياً بما يريد أن يتحدث به قبل أن يبدأ. "لم تعد تحبني كثيراً، أليس كذلك؟".

لم ينطق تسوكورو بشيء، جزئياً لأن السؤال صعقه، ولأنه ليس من الجيد أن يقلل مشاعره تجاه شخص أخذ مكاناً قبله في معادلة مزدوجة من الحب وعدم الحب.

اختار تسوكورو كلماته بحذر. "لا أستطيع الكلام حقاً. مشاعري قد تغيرت تماماً عما في السابق عندما كنا مراهقين. لكن ذلك...".

رفع أكا يده ليستوقفه.

"لا داعي لاستحضار الكلمات، وليس عليك أن تجبر نفسك على أن تحبني. لا أحد يحبني الآن. هذا متوقع. حتى أنا لا أحبني كثيراً، لقد حصلت على أصدقاء قلائل عظماء فعلاً. كنت واحداً منهم. لكن في مرحلة معينة من الحياة خسرتهم كما خسرت شيرو في مرحلة معينة شرارتها المميزة... لكنك لا تستطيع أن تعود. لا تستطيع أن تعيد تلك المادة الذي قد فتحتها. عليك أن ترضى بها فحسب".

أنزل يده ووضعها على ركبته. بدأ ينقر على عظمة ركبته ليصدر إيقاعاً غريباً كأنه يرسل رسالة باستخدام الشيفرة.

"عمل أبي مدة طويلة مدرسا جامعيا حتى التقط عادات المدرسين. يحدثنا في المنزل كأنه يلقي خطاباً علينا، ينظر إلينا من الأعلى إلى الأسفل. كرهت ذلك منذ كنت طفلاً. لكن للحظة ما مفاجئة بدأت أتحدث مثله تماماً".

أكمل النقر على عظمة ركبته.

"دائماً ما كنت أشعر أنني فعلت شيئاً سيئاً لك. ذلك صحيح. أنا، نحن، ليس لدينا الحق في أن نعاملك بتلك الطريقة. لقد أحسست أنه في يوم ما سأحتاج ربما أن أعتذر لك. لكني بطريقة أو بأخرى لم أدع لذلك أن يحدث".

"لا يهم" قال تسوكورو. "إنه موقع آخر، حيث لم تكن تستطيع العودة".

بدا أكا أن تفكيره قد تشوش. "تسوكورو". قال أخيراً. "أطلب منك أن تصنع لي معروفاً".

"ما نوعه؟".

"لدي شيء أريد أن أخبرك به. اعتراف قد تسميه، لم أفصح عنه لأحد آخر. ربما لا تريد سماعه، لكني أريد أن أكشف عن ألمي. أرغب أن تعرف ما كنت أحمله معي. لن يصنع تعويضاً لكل الألم الذي تألمته. إنه استفسار فقط عن مشاعري وأحاسيسي الخاصة. هل ستسمعني؟ بحق الزمن القديم؟ ".

أومأ تسوكورو غير واثق إلى ما سيؤول إليه ذلك.

بدأ أكا. "لقد قلت لك أنني-إلى أن التحقت بالكلية- لم أعرف أنني لم أنقطع إلى الحياة الأكاديمية، وأنني بالمقابل لم أكن أعرف أنني لم أنقطع عن حياة الشركة إلى أن بدأت أعمل في البنك. هل تتذكر؟ إنه محرج بعض الشيء. ربما لم آخذ نظرة جيدة وجدية إلى نفسي. لكن ليس هذا كل ما حصل. لم أدرك أنني غير مناسب للزواج حتى تزوجت. ما أقوله

هو أن العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة لم تكن تخصني. هل تفهم ما توصلت إليه؟".

بقي تسوكورو صامتاً وتابع أكا.

ما أحاول قوله هو أنني في الحقيقة ليس لدي رغبة في النساء. لا يعني ذلك أنه ليس لدي رغبة مطلقاً، لكن لدي رغبة تجاه الذكور أكثر".

صمت عميق حل على الغرفة. لم يستطع تسوكورو سماع أي صوت. كانت غرفة صامتة للبدء.

"هذا ليس غريباً جداً"، قال تسوكورو ليملأ الصمت.

"أنت محق، ليس غريباً جداً. ولكن لتتحدى تلك الحقيقة في مرحلة محددة من حياتك فهذا أمر صعب. صعب جداً. لا تستطيع أن تضعه مع العموميات. كيف أوضح ذلك؟ كأنك واقف على متن السفينة في البحر ليلاً وفجأة تُرمى في البحر وحدك".

فكر تسوكورو بهايدا. وكيف بالحلم، إذ افترض أنه حلم، أتى في فم هايدا. تذكر تسوكورو الحيرة التامة التي أحس بها في ذلك الوقت. أن ترمى وحدك في البحر ليلاً، التعبير قد أصاب الإشارة تماماً.

"أعتقد أنك تحتاج أن تبقى صادقاً مع نفسك وحسب بقدر ما تستطيع". قال تسوكورو، وقد اختار كلماته. "كل ما تسطيع فعله هو أن تكون صادقاً وحراً بقدر استطاعتك، هذا كل ما أستطيع قوله".

"أعلم أنك حذر من ذلك" قال أكا. "ولكن على الرغم من أن ناغويا واحدة من أكبر المدن في اليابان إلا أنها ليست بذلك الحجم. التعداد السكاني كبير، الصناعات جيدة، الناس أغنياء، ولكن الخيارات لديك محدودة بصورة غير متوقعة. ليس من السهل على أناس مثلنا أن نعيش هنا ونبقى صادقين مع أنفسنا ومتحررين... مفارقة مهمة نوعاً ما، هل توافقني الرأي؟ كلما سرنا في الحياة اكتشفنا تدريجياً من نحن، ولكن، كلما اكتشفنا أكثر فقدنا أنفسنا أكثر".

"آمل أن كل شيء قد تطور لصالحك. آمل ذلك حقاً". قال تسوكورو. لقد كان ذلك نابعاً من إحساسه فعلاً.

"لست غاضباً مني الآن؟".

هز رأسه هزة قصيرة. "لا، لست غاضباً منك. لست غاضباً من أحد".

أدرك تسوكورو فجأة أنه كان يستخدم ضمير التذكير **omae** العائدة على أكا. لقد خرجت بصورة طبيعية في النهاية.

سار أكا وتسوكورو إلى المصعد.

"قد لا تحصل الفرصة أن أراك مرة أخرى"، قال أكا حينما كان ينسلان إلى الرواق. "هناك شيء آخر أريد أن أخبرك به. لا تمانع. أليس كذلك؟".

هز تسوكورو رأسه.

"إن أول شيء أقوله دائماً في حلقات تدريب الموظفين. أنظر في كامل الغرفة، أختار شخصاً واحداً، وأطلب منه الوقوف. وهذا ما أقوله: لدي أخبار جيدة وأخرى سيئة لك، الأخبار السيئة أولاً. سنقوم بخلع أظافر يديك أو أظافر قدميك بالكماشة. أعتذر ولكن لقد قُرِّرَ ذلك. لا يمكن أن يتغير القرار. أسحب كماشة كبيرة ومخيفة من محفظتي وأريها للجميع. أتأكد ببطء أن الجميع رآها جيداً. ثم أقول: الأخبار الجيدة الآن، أن لديك حق الاختيار بين أظافر يديك أو قدميك. إذن ستكون؟ لديك عشرة ثوانٍ لتقرر. إذا لم تكن قادراً على الاختيار سنقطع أظافر يديك وقدميك. أبدأ في العد. في الثانية الثامنة أغلبهم يقول:" الأقدام". حسناً أقول: قدميك إذاً. سأستخدم الكماشة لأقتلعها. ولكن قبل ذلك، أود أن تخبرني بشيء. لماذا اخترت القدمين وليس اليدين؟ يقول الشخص عادة: "لا أعرف. أعتقد أن كليهما يؤلم بذات الدرجة. ولكن لأن علي أن

أخـتـار واحـداً، أذهـب إلـى خـيار الـقدمـين". أتـقدم وأصـفق لـه بحـرارة. وأقول: أهلاً بك في العالم الحقيقي".

حدق تسوكورو إلى الرقيق لصديقه القديم دون أن تخرج منه أي كلمة.

"كل واحد منـا أعطي الحريـة في الاختيار"، قال أكا، يغمز ويبتسم. "هذا هو مغزى القصة".

فُتح باب المصعد الفضي بلا صوت، وودع كل منـهما الآخر.

الفصل الثاني عشر.

وصل تسوكورو إلى شقته في طوكيو الساعة السابعة مساء، من اليوم الذي قابل به أكا. أفرغ حقيبته ورمى ملابسه التي تحتاج إلى غسيل في الغسالة، أخذ دشاً ثم اتصل بسارة. وصل إلى البريد الصوتي فترك لها رسالة يخبرها أنه عاد للتو إلى ناغويا ويريد أن يراها عندما تستطيع.

انتظر إلى ما بعد الحادية عشرة ولم تتصل. وعندما اتصلت به في اليوم التالي، الثلاثاء، كان تسوكورو في كفيتيريا العمل يتناول غداءه.

"هل سار كل شيء على ما يرام بناغويا؟". سألت سارة.

وقف، وسار إلى الممر حيث كان أكثر هدوءاً. اختصر مقابلتيه مع أو وأكا في قاعة عرض لكزس ومكتب أكا يوم الأحد والاثنين على التوالي وعما تحدثوا.

"أنا سعيد لأنني تحدثت معهما. استطعت أن أفهم أكثر ما حصل". قال تسوكورو.

"هذا جيد". قالت سارة. "إذن لم يكن ذلك عبثاً".

"هلا نتقابل في مكان ما؟ أريد أن أخبرك بكل الحوار الذي تم".

"أمهلني دقيقة، دعني أتفحص برنامجي".

مرت خمس عشرة ثانية من الصمت. وحينما كان ينتظر أخذ تسوكورو ينظر خارج النافذة إلى طرقات شينجوكو. غطت سحب كثيفة السماء، وبدت أنها ستمطر.

"لدي فراغ بعد غد في المساء. هل هذا مناسب؟". سألت سارة.

"يبدو جيداً. لنتناول العشاء". قال تسوكورو. لم يكن بحاجة إلى أن يتفقّد جدوله. لديه فراغ في كل ليلة غالباً.

اتفقا على المكان وأنهيا الاتصال. بعد أن أغلق الهاتف أحس إحساساً جسدياً بعدم الراحة، كأن شيئاً أكله لم يهضم جيداً. لم يشعر به قبل أن يتحدث مع سارة. هذا مؤكد. ولكن ماذا كان يعني؟ أو أنه لم يكن يعني شيئاً أبداً؟ لا يعرف.

حاول أن يعيد الحوار معها بدقة بقدر ما يتذكر. ماذا تحدثا، نغمة صوتها، الطريقة التي توقفت فيها عن الكلام. لم يكن شيئًا مختلفًا عن الاعتيادي. وضع هاتفه النقال في جيبه ورجع إلى الكافيتيريا لينهي طعامه. لكن لم تعد لديه شهية للأكل.

* * *

كان يرافق تسوكورو ذلك المساء وكل اليوم موظفاً جديداً مساعدًا له، فحصا محطات متعددة تحتاج إلى مصاعد جديدة. تفحص تسوكورو المخططات واحدة واحدة، برفقة الموظف الجديد الذي ساعده في القياس، حيث بقيا في المكتب استعداداً للمخططات الحقيقية في المواقع. وجد عدداً من الأخطاء غير المتوقعة والتعارض بين المخططات والمواقع الفعلية. قد يكون هناك أسباب مختلفة لذلك، ولكن الأهم هنا أن ترسم مخططات صحيحة وموثوقاً بها قبل أن يبدأ البناء. إذا اكتشفت الأخطاء بعد بدء البناء سيكون ذلك متأخراً، كوحدة عسكرية اعتمدت للنزول في جزيرة غريبة على خريطة تحتوي على أخطاء.

بعد أن انتهيا من القياسات ذهبا للتحدث مع مدير الموقع عن المشاكل الخطيرة التي قد تسببها إعادة البناء. إعادة تحديدة موقع المصاعد قد يغير ترتيب المحطة الداخلية. التي بدورها ستؤثر على تدفق المسافرين. ويجب أن يتأكدا أنهما يستطيعان توحيد تلك التغييرات في البناء. سلامة المسافرين دائماً من أهم الأولويات، لكنهما يجب أن يتأكدا أيضاً من أن فريق عمل المحطة سيؤدون واجباتهم بناءً على

المخطط الجديد. عمل تسوكورو هو تركيب كل تلك الأجزاء، ابتكار خطة إعادة البناء ووضعها ضمن مخطط فعلي. إنها عملية شديدة الدقة لكنها حساسها، لأن سلامة الناس ركيزة. يدير تسوكورو كل ذلك بتأنٍ. ذلك هو نوع من العمليات التي هي موطنه بالضبط. توضيح أي مشكلة، صنع قائمة، والتأكد بحذر من أن كل نقطة قد عولجت بطريقة صحيحة. وبذات الوقت إنها تعطي فرصة رائعة للموظف الصغير الذي ليست لديه خبرة أن يتعلم التفاصيل في الموقع. تخرَّج الموظف الذي يدعى ساكاماتو حديثاً من قسم الهندسة والعلوم في جامعة واسيدا. كان شاباً قليل الكلام، ذو وجه طويل وغير ضاحك، لكنه كان يتعلم سريعاً ويتبع التعليمات. كان ماهراً في أخذ القياسات أيضاً. ربما ينجح هذا الشاب، فكر تسوكورو.

استغرقا ساعة في تدقيق أمور المحطة مع المدبر، واستعراض تفاصيل مشروع إعادة البناء. لقد كان وقت الطعام، فطلبوا بينتوس وتناولوا معاً في مكتب مدير المحطة. وبعدها تحدثوا وهم يشربون الشاي. كان المدير لطيفاً وممتلئ الجسم، في منتصف العمر، وقد أخبرهما قصصاً مثيرة عن أشياء حصلت معه في عمله. أحب تسوكورو أن يذهب إلى المواقع ويسمع ذلك النوع من القصص. تغيّر الموضوع. خاصة بما يتعلق بالعدد الكبير من المواد التي فقدت ووجدت وتركوها خلفهم في القطارات والمحطات، والمواد غير العادية والغريبة بينها، رماد الجثث المحروقة، البواريك، الأرجل الصناعية، مخطوطة رواية قرأ منها مدير المحطة القليل ووجدها مملة، قميص ملطخ بالدم قد صفط بعناية في العلبة، أفعى حفر سامة وحية، أربعون صورة ملونة لمهبل نساء، جرس خشبي طويل، من النوع الذي يضرب به الكهنة البوذيين عندما يرتلون تعاليمهم الدينية...

"أحياناً تكون غير واثق تماماً بما تفعله مع هذه الأشياء" قال المدير. "بلغ صديقي الذي شغّل محطة أخرى مرة عن حقيبة بوسطن في داخلها جنيناً ميتاً. لحسن الحظ، لم يحصل معي مثل ذلك. لكن مرة

عندما كنت مدير محطة أخرى، أعطاني أحدهم إصبعين محفوظين في الفورمالديهايد".

"هذا غريب بعض الشيء"، قال تسوكورو.

"نعم بالطبع كان غريباً. أصبعان صغيران يطفوان في سائل، محفوظين بشيء يشبه علبة المايونيز، كل شيء داخل حقيبة قماش جميلة. تبدو أنها أصابع طفل وقد قطعت من أساسها. ورد فعل طبيعية اتصلنا بالشرطة عندما اعتقدنا أن ذلك ربما متصل بجريمة. أتت الشرطة في الحال وأخذت العلبة".

ارتشف المدير شاياً.

"بعد أسبوع زارنا الشرطي نفسه الذي أخذ الإصبعين. سأل موظف المحطة الذي وجد العلبة في الاستراحة مرة أخرى. كنت حاضراً أثناء الأسئلة، حسب ما قال الضابط لم يكن الإصبعان لطفل. قرر المختبر الشرعي أنها لشخص بالغ. وسبب صغر حجمهما أنهما كانا أصبعين سادسين لا وظيفيين. قال الضابط أنه أحياناً يكون لدى البعض أصابع إضافية. وغالباً ما يتخلص الوالدان من التشويه، لذلك فإنهما يبترانها عندما يكون مولوداً صغيراً، لكن هناك من هم بالغين وما يزال لديهم ستة أصابع. ما وجدناه كان مثالاً، إصبعان لبالغ قد أزالهما جراحياً ثم حفظهما في الفورمالديهايد. قدّر المختبر أن يكون هذان الإصبعان لرجل في منتصف العشرينات إلى منتصف الثلاثينيات، ولم يستطع معرفة منذ متى قد بتر الإصبعان. لا أستطيع أن أتخيل كيف نُسيت، أو قد رميت في استراحة المحطة. لكن لا يبدو الأمر أنهما متعلقان بجريمة. احتفظت الشرطة بهما في النهاية ولم يأت أحد ليسأل عنهما. حسبما أعرف أنها ربما لا يزالان في مكان ما في مستودع الشرطة".

"إنها قصة غريبة"، قال تسوكورو. "لماذا يحتفظ بتلكما الأصبعين حتى يصبح بالغاً ثم يقرر فجأة أن يبترهما؟".

"إنها غامضة. لقد جعلتني مهتماً بالظواهر، لذلك بدأت أقرأ فيها. المصطلح الاختصاصي هو عَنَش، وعند الكثير من المشاهير ذلك. ليس واضحاً إن كان صحيحاً أم لا ولكن هناك بعض الأدلة أن هيده-يوشي تويوتومي القائد المشهور في فترة السينغوكو كان لديه إصبعا إبهام. هناك الكثير من الأمثلة الأخرى. هناك عازف بيانو مشهور وهناك روائي وفنان ولا عب بيسبول لديهم الحالة. وعلمياً هانيبال ليكتر صاحب **the Silence of the Lambs** لديه ستة أصابع. إنه ليس بتلك الغرابة، وجينياً هي صفة سائدة. هناك تغييرات عبر الأعراق المختلفة، ولكن بشكل عام، واحد من خمسة ملايين من الناس ممن يولد بستة أصابع. كما قلت، الأغلبية الساحقة من آبائهم يبترون أصابعهم الإضافية قبل عيد الميلاد الأول لأطفالهم، عندما يبدأ الأطفال بتطوير المهارات الحركية اللطيفة. لذلك من الصعب أن تصادف شخصاً ما معه هذه الحالة. إن الأمر ذاته قد حدث معي، لم أكن قد سمعت بهذا الشيء حتى وجدت العلبة في المحطة".

"إنه غريب مع ذلك". قال تسوكورو. "إذا كانت الأصابع الست صفة سائدة، إذن لماذا لا نرى أناس أكثر معهم؟".

أمال مدير المحطة رأسه. "لا أعلم، ذلك النوع من الأشياء المعقدة ليس من ضمن اهتماماتي".

ساكاموتو، الذي تناول الطعام معهما، فتح فمه لأول مرة، بتردد، كأنّ حجراً عملاقاً يغلق فم الكهف قد انزاح. "أتساءل إن لم تمانعا أن أقدم رأيي؟".

"بالطبع". قال تسوكورو، متفاجئاً. لم يكن ساكاموتو من نوع الشباب الذين يدلون بآراءهم أمام الآخرين. "قل".

"يميل الناس إلى عدم فهم معنى كلمة "سائدة"، قال ساكاموتو. "حتى لو هناك نزعة معينة سائدة هذا لا يعني أن تصبح منتشرة بشكل واسع عبر الناس. هناك اختلالات قليلة نادرة، جينياً هناك جين سائد،

لكن تلك الحالات لا تصبح معروفة نتيجةً. لحسن الحظ، في معظم الحالات تلاحق رقماً ثابتاً، وتبقى اختلالات نادرة. الجينات السائدة ليست إلا واحدة من بين عدة عوامل في توزيع النزعة. العوامل الأخرى قد تتضمن بقاء الخيار السليم والطبيعي وهكذا. هذا حدس شخصي ، لكني أعتقد أن الأصابع الستة كثيرة على الإنسان. بما تفعله اليد، الأصابع الخمسة كلها كافية، وخمسة هو العدد الأكثر فاعلية، لذلك حتى لو كان الحصول على ستة أصابع جيناً سائداً فإنه يظهر في العالم الحقيقي في أقلية قليلة فحسب. بمعنى آخر، قانون الاختيار يفوق الجين السائد".

بعد أن أبدى رأيه مطولاً، عاد ساكاموتو إلى الصمت.

"هذا منطقي"، قال تسوكورو. "لقد انتابني شعور أنه مرتبط بعملية كيف أن أنظمة الإحصاء في العالم قد اتحدت على السائد، تنتقل من نظام الاثني عشر إلى النظام العشري".

"نعم، قد تكون هذه إجابة الستة والخمسة أصابع، وما دون العشرة، لقد قلت ذلك الآن". قال ساكاموتو.

"كيف تعرف كثيراً عن ذلك". سأل تسوكورو ساكاموتو.

"لقد أخذت مادة في علم الوراثة في الكلية. بإمكانك أن تقول أن لدي اهتمام في ذلك". احمرت خدود ساكاموتو عندما قال ذلك.

ضحك المدير ضحكة مرحة. "إذن أتتك مادة علم الوراثة في متناول يديك حتى بعد أن بدأت العمل في شركة سكك الحديد. أعتقد أن التعليم ليس بذلك الأمر العظيم، أليس كذلك؟".

أدار تسوكورو وجهه إلى المدير. "لعازف البيانو يبدو أن امتلاك ستة أصابع يمكن أن يكون ملائماً إلى حد ما".

"ليس ملائماً، كما يبدو". رد المدير. "قال أحد عازفي البيانو الذي يملك ستة أصابع أن الأصابع الإضافية مزعجة. كما قال السيد ساكاموتو

الآن، تحريك ستة أصابع بالتساوي وبحرية قد يكون كثيراً على الإنسان. ربما خمسة هو الرقم الصحيح".

"هل هناك بعض الفوائد في امتلاك ستة أصابع؟". سأل تسوكورو.

"حسب ما تعلمت" رد المدير "خلال القرون الوسطى في أوروبا كانوا يعتقدون أن الناس الذي يولدون ولديهم ستة أصابع هم سحرة أو ساحرات، ويُحرقون على العمود. وفي إحدى الدول خلال العصر الصليبي، كان أي أحد يملك ستة أصابع يُقتل. هل كانت هذه القصص حقيقية أو لا. لا أعرف. في بورنيو يعامل الأطفال الذين يولدون في ستة أصابع تلقائياً كالشامان. ربما هذه ليست ميزة مع ذلك".

"شامان؟". سأل تسوكورو.

"فقط في بورنيو".

انتهى وقت الطعام، وكذلك حوارهم. شكر تسوكورو المدير على الطعام وعاد وساكاموتو إلى مكتبهما.

وحينما كان تسوكورو يكتب ملاحظات على المخطط، تذكر فجأة القصة التي قصها عليه هايدا، قبل سنة، عن والده. كيف وضع عازف الجاز الذي بقي في الحانة عميقاً في جبال أويتا، قبل أن يبدأ العزف كيسا من القماش على البيانو. هل يمكن أن يكون داخل الحقيبة إصبعان سادسان لليد اليمنى واليسرى محفوظين داخل علبة؟ ربما لسبب ما انتظر أن يصبح بالغاً ليبترهما وكان يحمل العلبة معه دائماً. وقبل أن يؤدي المعزوفة يضعهما على البيانو كتعويذة.

بالطبع، كان ذلك مجرد حدس. ليس هناك أساس لذلك. وتلك الحادثة قد وقعت -إن وقعت فعلاً- قبل أربعين سنة. ورغم ذلك، كلما فكر فيها تسوكورو أكثر بدت أن قطعة الأحجية تناسب الفجوة في قصة هايدا. جلس تسوكورو على طاولة الرسم، وظل حتى المساء، قلم الرصاص في اليد يتفكر بالفكرة.

قابل تسوكورو سارة في اليوم التالي في هيرو. ذهبا إلى حانة صغيرة في منطقة معزولة من الحي، كانت سارة خبيرة في الحانات المعزولة والصغيرة والمطاعم في طوكيو بأكملها. وقبل أن يأكلا، أخبرها تسوكورو كيف رأى صديقيه السابقين في ناغويا، وعما تحدثوا بشأنه. لم يكن سهلاً عليه أن يلخص ذلك، لذا كان إخبارها بكامل القصة يأخذ وقتاً. استمعت سارة بانتباه، وكانت بين الحين والآخر توقفه لتطرح عليه سؤالاً.

"إذن أخبرت شيرو الباقين أنها عندما نزلت في شقتك في طوكيو قمت بتخديرها واغتصابها".

"هذا ما قالته".

"لقد وصفت ذلك بتفاصيل كثيرة، وبواقعية، على الرغم أنها كانت انطوائية وتتجنب دائماً الحديث عن الجنس".

"هذا ما قاله أو".

"وقالت أن لديك وجهين؟". سألت سارة.

"قالت أنّ لدي جانب آخر مظلم ومخفي، شيء منزوع ومفصول عن جانبي الذي يعرفه الجميع".

عبست سارة وفكرت في ذلك لبعض الوقت.

"ألا يذكرك هذا بشيء؟ ألم تكن هناك لحظات خاصة وحميمية بينك وبين شيرو؟".

هز تسوكورو رأسه. "أبداً. ولا مرة. كنت دائماً واعٍ ألا أسمح بأن يحصل شيء مثل هذا".

"واعٍ دائماً؟".

"حاولت أن لا أراها على أنها من النوع الآخر. وكنت أتجنب أن نبقى وحدنا بقدر ما أستطيع".

ضيقت سارة عينيها وأمالت رأسها للحظة. "هل تعتقد أن الآخرين في المجموعة كانوا حريصين فقط؟ بمعنى آخر، لم ينظر الذكور إلى الفتاتين على أنهما من النوع الآخر في أعضاء المجموعة وهكذا؟".

"لا أعلم بماذا يفكر الآخرون في أعماقهم. ولكن كما قلت لقد كان نوعاً من الموافقة غير المنطوقة بيننا على أن لا نسمح أن تتشكل علاقة بين الذكور والإناث في المجموعة. كنا مصرين على ذلك إلى حد ما".
"ولكن أليس ذلك غير طبيعي؟ إذا اقترب الذكور والإناث بهذه من بعضهم وبقيا معاً طوال الوقت، فمن الطبيعي أن يبدؤوا بالاهتمام ببعضهم جنسياً".

"أردت أن يكون لدي حبيبة وأن نخرج معاً في مواعيد غرامية فقط أنا وإياها. وبالتأكيد كنت مهتماً بالجنس، مثل أي شخص آخر. ولا أحد أوقفني عن مصادقة فتاة من خارج المجموعة. ولكن في ذلك الوقت كانت المجموعة الجزء الأهم من حياتي. كانت تراودني الفكرة بصعوبة أن أخرج وأكون مع شخص آخر".

"لأنك وجدت تناغماً رائعاً هناك؟".

أومأ تسوكورو. "عندما كنت معهم شعرت كأني جزء ضروري للجميع. لقد كان إحساساً خاصاً بأني لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان آخر".

"لهذا السبب كنتم جميعاً تتجاهلون أي اهتمام جنسي". قالت سارة. "لتحافظوا على التناغم بينكم الخمسة. ولئلا تدمروا الدائرة المثالية".

"بالنظر إلى ذلك الآن، أستطيع أن أرى فيه شيئاً غير طبيعي. ولكن في ذلك الوقت لم يكن هناك ما يبدو طبيعياً أكثر من ذلك. كنا ما نزال في سن المراهقة، ونجرب الأشياء لأول مرة. مستحيل أن نكون موضوعيين في ذلك الموقف".

"بمعنى آخر، كنتم مغلقين على أنفسكم داخل مثالية الدائرة. هل ترى ذلك بتلك الطريقة؟".

فكر تسوكورو بذلك. "ربما ذلك صحيح، لكنا كنا سعداء لأننا مغلقون على أنفسنا داخلها. ولا أنكر ذلك، حتى الآن".

"مثير للاهتمام". قالت سارة.

كانت سارة أيضاً مهتمة جداً بسماع ما حصل في زيارة أكا لشيرو في هاماماتسو قبل ستة أشهر من جريمة قتلها.

"إنه حدث مختلف، بالطبع". قالت سارة "ولكنه يذكرني بزميلتي في المدرسة الثانوية. كانت جميلة، وقوامها جميل، من عائلة غنية، تربت بشكل جزئي في الخارج، وتتحدث الانجليزية والفرنسية بطلاقة، وكانت دائماً في المرتبة الأولى في الصف. لاحظها الناس، بغض النظر عما كانت تفعل، كانت موقرة من الجميع، محبوبة جميع الطلاب الشباب. ذهبنا إلى مدرسة خاصة للإناث، فكان ذلك النوع من الإعجاب بها من الطلاب في سنتهم الأولى قوي".

أومأ تسوكورو.

"التحقت بجامعة سيشين، الجامعة الخاصة الأشهر للإناث، ودرست في الخارج، في فرنسا سنتين. ولقد حظيت برؤيتها بعد أن رجعت بعدة أعوام، وعندما رأيتها تفاجأت. لا أعرف كيف أقول ذلك ولكن بدت شاحبة. كشخص تكشّف تحت شمس قوية مدة طويلة وبهت لونه. بقيت تشبه نفسها في السابق. ما زالت جميلة، وما زال قوامها جميلاً... ولكنها تبدو شاحبة، أقل إشراقاً عما في السابق. جعلني هذا أشعر بأنني يجب أن أمسك ريموت التلفاز لأزيد شدة اللون. كانت تجربة سيئة. من الصعب أن تتخيل أن شخصاً ما قد استطاع خلال بضع سنوات أن ينقص بشكل واضح هكذا".

أنهت سارة وجبتها وانتظرت قائمة التحلية.

"لم نكن أنا وإياها بذلك القرب، ولكن كان لدينا صديقات مشتركات، لذلك كنت أصادفها بشكل متكرر. وكل مرة أراها فيها أجدها تنطفئ أكثر. في مرحلة ما كان واضح لدى الجميع أنها لم تعد جميلة، وأنها لم تعد جذابة. ويبدو أنها قد أصبحت أقل ذكاء أيضاً. المواضيع التي تتحدث بها مملة، آراؤها قديمة ومبتذلة. تزوجت في سن السابعة والعشرين وكان زوجها موظفاً حكومياً ذا مرتبة عالية، رجل ضيق الأفق بشكل واضح، وممل. ولكن بالنسبة للمرأة فلا تستطيع أن تدرك حقيقة أنها لم تعد جميلة، ولم تعد جذابة، ولم تعد من ذلك النوع من الأشخاص الذي ينتبه إليه الناس. ما زالت تتصرف على أنها الملكة. إن مشاهدتها وهي كذلك كان مثيراً للشفقة".

وصلت قائمة التحلية، وبدأت سارة تتفحصها بدقة، وعندما قررت، أغلقت القائمة ووضعتها على الطاولة.

"توقفت صديقاتها عن رؤيتها تدريجياً. من المؤلم جداً مشاهدتها كذلك. ربما لم يكن الألم بالضبط ما شعرن به عندما رأينها، ولكن كان خوفاً أكثر، ذلك النوع من الخوف الذي يلازم معظم النساء. الخوف من أن ذروة جاذبيتك كونك امرأة قد قلَّتْ، ولا تدركي ذلك ولا ترفضي قبوله، وتبقين تتصرفين بالطريقة التي اعتدت عليها، ثم يعاملك الناس بازدراء ويضحكون عليك خلف ظهرك. جاءت إليها الذروة في وقت مبكر قبل الآخرين. وهذا ما كان. كل مواهبها الطبيعية قد اشتعلت وأزهرت وهي في سن المراهقة، كحديقة في الربيع، وعندما مرت تلك السنوات ذبلت سريعاً".

أتى النادل ذو الشعر الأبيض، وطلبت سارة كعكة الليمون. دائماً ما كان تسوكورو منبهراً كيف أنها لا تتجاوز طبق التحلية لتحافظ على قوامها الرشيق.

"أتصور أن كورو تستطيع أن تخبرك بتفاصيل أكثر عن شيرو" قالت سارة. "حتى لو كانت مجموعتكم المكونة من خمسة أفراد مجموعة منسجمة ومثالية، يبقى هناك دائماً ما تناقشه الفتاتان بين بعضهما. كما قال لك أو. وما يتحدثان به لا يخرج خارج عالم الإناث. أحياناً تكون فقط ثرثرة، ولكن هناك أسرار معينة نحافظ عليها بشدة، خاصة وأن الذكور لا يسمعون عنها".

نظرت إلى النادل، الذي كان واقفاً بعيداً، كأنها قد ندمت على طلب كعكة الليمون. ثم بدت أنها غيرت رأيها ثم رجعت تنظر إلى تسوكورو.

"هل كان لديكم أنتم الذكور الثلاثة أحاديث خاصة كهذه؟". سألت.

"ليست كذلك كما أتذكر". قال تسوكورو.

"إذن عن ماذا تتحدثون؟".

عن ماذا كنا نتحدث وقتها؟ فكر تسوكورو بذلك، لكنه لم يكن يتذكر. لقد كان واثقاً أنهم كانوا يتحدثون كثيراً بحماس، يفتحون قلوبهم لبعضهم أما الآن، في حياته، لم يستطع أن يتذكر شيئاً.

"أتعرفين، لا أستطيع أن أتذكر شيئاً". قال تسوكورو.

"هذا غريب". قالت سارة وابتسمت.

"يجب أن آخذ إجازة من العمل الشهر القادم"، قال تسوكورو. "بما أنني وصلت إلى تلك المرحلة، أفكر أن أذهب إلى فنلندا. وضحت ذلك لمديري، وليست لدي مشكلة أن آخذ إجازة".

"عندما تحدد المواعيد أستطيع أن أرتب برنامج الرحلة لك. تذاكر الطيران، الحجز في الفندق، وما تحب".

"أقدر لك ذلك". قال تسوكورو.

رفعت الكأس وارتشفت القليل من الماء. مررت أصبعها على حافة الكأس.

"كيف كانت حياتك في المدرسة الثانوية؟". سأل تسوكورو.

"لم أتحملها كثيراً. كنت في فريق كرة اليد. لم أكن جميلة، وعلاماتي كانت مقبولة".

"هل أنت متأكدة أنك لا تحاولين التواضع؟".

ضحكت وهزت رأسها. "التواضع خلق حسن، لكنه لا يناسبني. هذا صحيح لا أظهره أبداً. لا أعتقد أنني اندمجت مع نظام التعليم كله. لم أكن الحيوان المدلل لدى المعلمة، ولم أصادق أي من الطلاب ممن يعتقدون أنني ظريفة. لم تكن هناك إشارة لوجود صديق، وكان لدي بثور شباب. كان لدي كل ما هو خطأ! كل ما يمكن تخيله من الأقراص المضغوطة، وكنت أرتدي دائماً ملابس داخلية بيضاء مملة كانت أمي قد أعطتني إياها. وكان لدي القليل من الأصدقاء الجيدين. اثنتان. لم نكن بذلك القرب كما كنتم أنتم الخمسة في مجموعتكم، ولكننا كنا جيدات ونخبر بعضنا أي شيء. لقد ساعددني في تخطي تلك السنوات السيئة من المراهقة".

"هل ما زلت ترينهما؟".

أومأت. "نعم ما زلنا صديقات جيدات. لقد تزوجتا كلتاهما، ولديهما أطفالاً، لذلك لا نتقابل كثيراً، ولكننا نذهب للعشاء كل مدة، ونبقى نتحدث بلا توقف لثلاث ساعات. نخبر بعضنا كل شيء".

جاء النادل وبيديه كعكة الليمون وإسبريسو. بدأت سارة تلتهم الكعكة. كانت كعكة الليمون الخيار الصحيح. حرك تسوكورو نظره بينه وبين سارة وهي تأكل، وينظر إلى البخار الصاعد من الإسبريسو.

"هل لديك أصدقاء الآن؟". سألت سارة.

"لا أحد أستطيع أن أسميه صديقاً".

أصدقاؤه الأربعة في أيام ناغويا فقط من يسميهم أصدقاء. وبعد ذلك، بعض وقت قليل، كان هايدا مقرباً منه بعض الشيء. ولكن لا أحد غيره.

"هل تشعر بالوحدة دون أصدقاء؟".

"لا أعلم"، قال تسوكورو. "حتى لو كان لدي بعض الأصدقاء لا أعتقد أنه بإمكاني أن أفتح قلبي إليهم وأشاركم أسراري".

ضحكت سارة. "النساء يجدن ذلك ضرورياً. فمشاركة الأسرار هي الوظيفة الوحيدة للصديق".

"بالطبع".

"هل ترغب بقطعة من هذه الكعكة؟ إنها لذيذة".

"لا، أكمليها".

أكلت سارة بحذر آخر قطعة من الكعكة، ثم وضعت الشوكة جانباً، ربتت على شفتيها بمنديلها، وبدت ضائعة في التفكير. وأخيراً رفعت رأسها ونظرت باتجاه الطاولة، مباشرة إلى تسوكورو.

"بعد ذلك هل يمكننا الذهاب إلى شقتك؟".

"بالطبع" قال تسوكورو. أشار إلى النادل أن يحضر الحساب.

"فريق كرة اليد؟". سأل تسوكورو.

"لا تسأل". قالت سارة.

تعانقا في شقته. كان تسوكورو سعيداً لأنه سيمارس معها الحب مرة أخرى، ولأنها أعطته فرصة ليفعل ذلك. تعانقا على الكنبة ثم ذهبا إلى السرير. كانت ترتدي أسفل فستانها الأخضر الذي بلون النعناع ملابس داخلية ضيقة سوداء بمشد.

"هل أمك اشترت لك هذا أيضاً؟". سأل تسوكورو.

"غبي" ضحكت سارة. "لقد اشتريتها بنفسي. كما سألت".

"لا أرى أي بثور للشباب".

"ماذا تتوقع؟".

تقدمت إليه وأمسكت بشيئه. ولكن بعد وقت قليل عندما كانت تدخله بها صار ليناً. إنها المرة الأولى في حياته التي يحصل بها ذلك، وجعله هذا مرتبكاً ومحتاراً. أصبح كل شيء حوله صامتاً. صمت كامل في أذنيه، فقط دقات قلبه التي تُسمع.

"لا تدع ذلك يزعجك". قالت سارة وهي تداعب ظهره. "ابق ممسكاً بي فحسب. وهذا يكفي. لا تهتم بأي شيء".

"لا أفهم"، قال تسوكورو. "كل ما كنت أفكر به هذه الأيام هو ممارسة الحب معك".

"ربما انتظرتَ ذلك كثيراً. على الرغم من ذلك، أنا سعيدة لأنك كنت تفكر بي هكذا".

تمددا على السرير عاريين يداعبا بعضهما الآخر على مهل، ولكن لا يزال تسوكورو غير قادر على الانتصاب بشكل جيد. وأخيراً حان الوقت لتعود إلى بيتها. ارتديا ملابسهما بصمت ورافقها تسوكورو إلى المحطة. وهما يغادران بعضهما اعتذر لأن تلك الأشياء لم تحصل.

"لا يهم أبداً. حقاً. لا شيء تقلق بشأنه" قالت له سارة بلطف. وأمسكت بيده. كانت يدها صغيرة ودافئة.

أحس تسوكورو أنه يريد أن يقول شيئاً، لكن لا شيء قد خرج من فمه، أكمل الإحساس بيديها فحسب.

"أشعر أنه ما يزال هناك ما يضايقك". قالت سارة. "العودة إلى ناغويا، ورؤية أصدقائك القدامى لأول مرة منذ سنين، التحدث معهم،

معرفة كل شيء في آن واحد هذا كله من شأنه أن يهزك أكثر مما تتخيل".

لقد ارتبك بذلك القدر في الواقع. الباب الذي قد أغلق مدة طويلة قد فتح فجأة والحقيقة التي أعرض عنها حتى الآن، الحقيقة غير المتوقعة قد أتت مندفعة إلى الداخل. وتلك الحقائق ما زالت تختلط في عقله ولا تهدأ.

"ما زال هناك شيء ما عالق داخلك"، قالت سارة. "شيء لا تستطيع قبوله. والتدفق الطبيعي لعواطفك الذي يجب أن تمتلكه مسدود. لقد وصلني إحساسك".

فكر تسوكورو بما قالته. "لم توضح كل أسئلتي في هذه الرحلة إلى ناغويا. هل هذا ما تعنينه؟".

"نعم، يشبه ذلك. أنا فقط أقول". قالت سارة. انقلبت تعابير وجهها إلى الجدية، ثم أضافت، "لقد توضحت تلك الأشياء المحددة لك الآن، قد يكون لها تأثير معاكس- جعل القطع المفقودة جليّة أكثر ".

تنهد تسوكورو. "أتساءل إن كنت قد تطفلت وكشفت الغطاء الذي لا يجب أن ألمسه".

"ربما قد فعلت ذلك مؤقتاً" قالت. "ربما لديك بعض الهزائم برهةً. ولكن في الأقل لقد اقتربت من حلها. هذا هو المهم. تابع أكثر وأنا متأكدة من أنك ستكتشف القطع الصحيحة التي تملأ الفجوات".

"ولكن ربما يأخذ هذا وقتاً".

أمسكت سارة يده وشدت عليها، قبضتها صارت قوية فجأة.

"لا داعي لتسرع. خذ وقتك فحسب. ما أريد أن أعرفه أكثر من ذلك هو هل تأمل أن تبقي علاقتك معي على مدى طويل؟".

"بالطبع أريد، أريد أن أبقى معك لوقت طويل".

"حقاً؟".

"هذا صحيح". قال تسوكورو بصرامة.

"إذن ليست لدي مشكلة. مازال لدينا الوقت، وسأنتظر. في الوقت الحالي لدي أشياء كثيرة أريد أن أهتم بها".

"تهتمين بها؟".

لم تجب سارة، وبدلاً من ذلك ابتسمت له ابتسامة خفية.

"عندما تجد وقتاً أريدك أن تذهب إلى فنلندا لترى كورو" قالت. "وأخبرها تماماً عما في قلبك. أنا واثقة جداً أنها ستخبرك شيئاً مهماً. شيٌ مهمٌ جداً. لدي إحساس داخلي بذلك".

في طريق عودته وحيداً من المحطة إلى الشقة، أمسك على أفكار عشوائية. انتابه إحساس غريب، كأن الوقت في مرحلة معينة قد تفرع إلى فرعين. فكر في شيرو، في هايدا، وفي سارة. جرى الماضي والحاضر، الذاكرة والعواطف كلها متوازية، وجنباً إلى جنب.

فكر، ربما هناك شيء بي شخصياً حقاً، شيء عميق، ملتو ومشوه. ربما شيرو كانت على حق، إن في داخلي شيئاً منزوعاً ومفصولاً. كالجانب البعيد للقمر المغطى في الظلام للأبد. ربما دون أن يدرك ذلك، اغتصب شيرو حقاً ومزق قلبها إرباً، في مكان آخر وفي زمان آخر. بقسوة ووحشية. وربما سيتجاوز ذلك الظلام، الجانب المخفي، في يوم ما الجانب الخارجي ويتلفه تماماً. عبر تسوكورو الشارع باتجاه الضوء، ضغط سائق سيارة الأجرة على المكابح بسرعة، وصرخ بكلام قذر.

في شقته، ارتدى ملابس النوم وذهب إلى السرير قبل منتصف الليل. وحينها كأنه أخيراً تذكر، انتصب. كان انتصاباً بطولياً مثالياً وصلباً. قاسياً جداً حتى أنه لم يصدقه. تحسر عميقاً في الظلام على

سخرية ذلك. نهض من السرير، أشعل الضوء، أخذ زجاجة كوتي سارك من الرف وصب القليل في كأس صغيرة. فتح كتاباً، وبدأت بعد الواحدة بعد منتصف الليل تمطر فجأة، ثم هبت زوبعة رملية. كانت عاصفة تقريباً، وكانت قطرات المطر تضرب النافذة بخط مائل.

فكر تسوكوو فجأة، ربما اغتصبتُ شيرو في هذا السرير، خدرتها، وأوقفت حركتها، ومزقت ثيابها، وأجبرتها على ذلك. كانت عذراء. لقد أحست بألم شديد، ونزفت. وبهذا كل شيء قد تغير. قبل ست عشرة سنة.

حينما كان يستمع إلى المطر الذي يضرب النافذة، وإلى تلك الأفكار التي تدور في رأسه، بدأت الغرفة تظهر كأنها فضاء غريب. كأن الغرفة نفسها وضّحت وصيتها. البقاء هنا ثابتاً يستنزف أي قدرة على التمييز بين الحقيقي وغير الحقيقي. على مستوى واحد من الحقيقة لم يلمس حتى يد شيرو، وعلى المستوى الآخر اغتصبها بوحشية. إلى أي حقيقة قد سار الآن؟ كلما فكر بهذا أكثر قل تركيزه.

كانت الثانية والنصف عندما استغرق في النوم أخيراً.

الفصل الثالث عشر.

ذهب تسوكورو في العطلة إلى المسبح في الصالة الرياضية، التي تبعد مسافة عشرة دقائق على الدراجة عن شقته. يسبح دائماً سباحة سريعة ضمن سرعة محددة ليتم 1500 متراً في اثنتين وثلاثين دقيقة أو ثلاث وثلاثين دقيقة. يسمح للسباحين السريعين أن يتجاوزوه. محاولة منافسة الآخرين لم تكن من طبيعته. وكالعادة وجد في ذلك اليوم سباحاً سرعته تقاربه وانضم إلى نفس الخط. كان الرجل الآخر صغيراً وطويلاً وهزيلاً ويرتدي ملابس سباحة سوداء منافسة، قبعة سوداء ونظارات السباحة.

تخفف السباحة من تعب تسوكورو المتراكم، وترخي عضلاته المشدودة. وجوده في الماء يهدئه أكثر من أي مكان آخر. تجعله السباحة لنصف ساعة مرتين في الأسبوع يحقق توازناً هادئاً بين عقله وجسده. وإنه يجد الماء مكاناً عظيماً للتفكير أيضاً، واكتشف أنه نوع من التفكر بطريقة (زن). تأتيه الأفكار بلا انقطاع حالما دخل في إيقاع السباحة، ككلب طليق في الحقل.

"السباحة رائعة، كالطيران في الهواء، في الأغلب". وضح تسوكورو ذلك لسارة في وقت ما.

"هل سبق أن حلقت في الهواء؟". سألت.

"ليس بعد". قال تسوكورو.

حينما كان يسبح في ذلك الصباح أتته أفكار بسارة. تخيل وجهها، جسدها، وكيف فشل في السرير. وتذكر أشياء عديدة قالتها. شيء ما عالق داخلك، والتدفق الطبيعي لعواطفك الذي يجب أن تمتلكه مسدود، قالت له.

ربما هي على حق، فكّر.

تسير حياة تسوكورو تازاكي في الخارج بشكل جيد على الأقل، بلا مشاكل محددة يمكن الحديث عنها. فلقد تخرج في مدرسة هندسية معروفة، وجد وظيفة في شركة لسكك الحديد، محترف في العمل الكتابي. سمعته في الشركة مسموعة، ويثق مديره به، وليس لديه مخاوف مالية. عندما توفي والده ورث مقداراً كبيراً من المال بالإضافة إلى غرفة مشتركة في موقع مناسب قرب مركز طوكيو. ليس عليه ديون. يشرب قليلاً جداً ولا يدخن، وليست لديه هوايات مكلفة. ينفق القليل من المال. لا يحاول أن يقتصد أو يعيش حياة متشقشفة ولكنه فقط لا يفكر في طرق لصرف المال. ليست لديه حاجة إلى السيارة، يهتم بخزانة ثيابه المحدودة. يشتري الكتب والأسطوانات من حين لآخر لكن ذلك لا يساوي الكثير. يفضل أن يصنع طعامه على أن يتناوله في الخارج، حتى إنه يغسل ملاءاته ويكويها.

في العموم هو شخص هادئ وليس جيداً في النواحي الاجتماعية. ولا يعني هذا أنه يعيش حياة منعزلة. يتواصل مع الآخرين بشكل جيد. لا يخرج ليبحث عن النساء بنفسه، لكنه لم يكن بعوز إلى خليلات. أعزب، مظهره ليس سيئاً جداً، متحفظ، أنيق، تميل النساء إلى الاقتراب منه. وفي أحيان أخرى يقدمه المعارف إلى النساء (وبتلك الطريقة تعرّف على سارة).

كان يظهر وهو في سن السادسة والثلاثين على أنه يستمتع بحياة جامعية مريحة بكل الطرق. كانت صحته جيدة، يحافظ على وزنه، ولم يمرض أبداً. معظم الناس يرون حياته تمضي بلين، بلا إخفاقات كبيرة. كانت أمه وأختاه على وجه التحديد يرونه كذلك. "تستمتع جداً لأنك أعزب، لهذا السبب لا تشعر بأنك تريد أن تتزوج"، أخبرن تسوكورو. وتوقفن أخيراً عن محاولة وضع شريكات محتملات للزواج له. ويبدو أن زملاءه في العمل انتهوا إلى تلك الخاتمة أيضاً.

لم يفتقر تسوكورو إلى أي شيء في حياته، أو أراد شيئاً وعانى لأنه غير قادر على كسبه. ولذلك لم يختبر شعور الفرحة في الحاجة الملحة لشيء والمحاربة للحصول عليه. ربما كان أصدقاؤه الأربعة من المرحلة الثانوية أغلى شيء قد حصل عليه في حياته. تلك العلاقة لم تكن شيئاً اختاره بنفسه، بل شيئاً أتى إليه بشكل طبيعي، نعمةً الله. وفي الماضي ومرة أخرى دون اختياره خسرها كلها، أو إلى حد ما تجرد منها.

سارة الآن واحدة من الأشياء القليلة التي يرغب بها. لم يكن واثقاً مئة بالمئة من ذلك ولكنه منجذباً إليها بقوة. وكل مرة يراها تنمو تلك الرغبة. وهو جاهز ليضحي من أجل أن يحصل عليها. لم يكن أمراً عادياً أن يكون لديه إحساس قوي وصاف هكذا. ومع هذا لم يكن يعرف لماذا عندما حاول أن يمارس الحب معها لم يستطع. شيئاً ما أعاق تلك الرغبة. خذ وقتك. أستطيع الانتظار، قالت سارة. ولكن لم تكن الأمور بتلك السهولة. الناس في حركة مستمرة، وليسوا ثابتين. لا أحد يعلم ماذا سيحدث بعد ذلك.

تلك هي الأفكار التي شغلت تفكيره وهو يسبح في المسبح ذي الخمسة وثلاثين متراً. ليحافظ على سرعة ثابتة دون أن ينفذ الأكسجين، كان يدير رأسه قليلاً إلى جانب ويأخذ نفساً ثم يطلقه في الماء ببطء. كلما سبح مدة أطول أصبحت تلك العملية تلقائية أكثر. كانت الحركات التي يحتاجها لكل مرحلة هي نفسها كل مرة. استسلم للإيقاع وأخذ يعد فقط عدد الجولات.

لاحظ فجأة أنه ميّز باطن قدمي السباح الذي يشاركه نفس المسار. كان يشبه باطن قدمي هايدا تماماً. ابتلع ماء، تعطل إيقاعه، ودخل الماء عبر أنفه. دق قلبه بقوة داخل قفصه الصدري، وأخذ تنفسه وقتاً ليستقر.

فكر تسوكورو، لا بد أنهما لهايدا. الحجم والشكل هما نفسهما بالضبط. حركة القدمين الواثقة كانت متشابهة حتى الفقاعات التي تنبعث من السباح تحت الماء، صغيرة، لطيفة، ومطمئنة مثل حركة قدميه، مثله تماماً. بالعودة إلى الماضي عندما كان وهايدا يسبحان معاً في مسبح الكلية كان يبقي عينيه مثبتتين على باطن قدمي هايدا، مثلما يفعل سائق في الليل، لا يزيح نظره عن الضوء الخلفي للسيارة أمامه. تلك الأقدام قد طبعت في ذاكرته.

توقف تسوكورو عن السباحة، خرج من المسبح، وجلس على رصيف البداية منتظراً السباح أن يستدير ويعود.

لكنه لم يكن هايدا. القبعة والنظارات أخفت ملامح وجهه، والآن أدرك أن الرجل طويل جداً، وكتفيه مبنيتان بالعضلات، وعنقه مختلفة تماماً. كان شاباً صغيراً جداً، من المحتمل أنه ما يزال طالباً جامعياً. في حين هايدا الآن في منتصف الثلاثينيات.

مع أنه عرف أنه شخص آخر لم يهدأ قلبه. جلس على كرسي بلاستيكي بجانب المسبح يراقب الشاب وهو يسبح. مظهره العام يشبه هايدا أيضاً، نفسه تقريباً. بلا رش للمياه وبلا صوت. يرتفع مرفقاه في الهواء بصورة جميلة وبلطف، وتدخل يداه إلى الماء مجدداً بهدوء، إصبعا الإبهام أولاً. لطيف، دون تكلف. يبدو أن المحافظة على الهدوء الملزم العنصر الأبرز لأسلوبه في السباحة. رغم هذا التشابه الكبير في أسلوبه في السباحة مع هايدا إلا أنه ليس هايدا. توقف الشاب أخيراً، خرج من المسبح، خلع نظاراته وقبعته السوداء، وجفف شعره القصير بقوة بالمنشفة، وسار مبتعداً. كان وجهه بارز العظام، ليس كهايدا أبداً.

قرر تسوكورو أن ينهي اليوم، ذهب إلى غرفة الملابس، ثم أخذ دشاً. عاد بدراجته إلى شقته، وتناول فطوراً عاديا. وهو يأكل أتته فكرة مفاجئة. هايدا أيضاً واحد من الأشياء التي تحبسني في الداخل.

كان يستطيع أن يجهز نفسه في الوقت الذي يحتاجه، للسفر إلى فنلندا دون مشاكل. وقت إجازته غير الاعتيادي قد تكدس كالماء المتجمد تحت المزراب. كل ما قاله مديره: "فنلندا؟". ونظر إليه نظرة شك. وضح تسوكورو أن صديقته من أيام الثانوية تعيش هناك ويريد أن يذهب لزيارتها. لقد تخيل أنه لن يكون لديه فرص كثيرة للذهاب إلى فنلندا في المستقبل.

"ماذا يوجد في فنلندا؟". سأل المدير.

"سيبليس، أفلام أكي كوريسماكي، ماريميكو، نوكيا، مومن". عدّد تسوكورو كل ما يخطر بباله من الأسماء المشهورة في فنلندا.

هز مديره رأسه، غير مكترث بأي منها بصورة واضحة.

اتصل تسوكورو بسارة وحدد موعد السفر، حدد مسار الرحلة ليستطيع الذهاب مباشرة من ناريتا إلى هلسنكي بلا توقف ثم العودة إلى طوكيو.

"هل تريد أن تتواصل مع كورو قبل أن تذهب؟". سألت سارة.

"لا، سأفعل مثلما فعلت عندما ذهبت إلى ناغويا، لن أخبرها أنني قادم".

"فنلندا أبعد بكثير من ناغويا. تأخذ الرحلة ذهاباً وإياباً وقتاً طويلاً. قد تصل إلى هناك وتجد أنها غادرت قبل ثلاثة أيام لتقضي العطلة الصيفية في ماجوركا".

"إذا حصل أمر كهذا سأتعايش مع ذلك. سأقوم بجولة سياحية في فنلندا ثم أعود".

" حسناً، إن كان هذا ما تريده ". قالت سارت. "ولكن بما أنك ستقطع كل تلك المسافة، هل تود أن ترى وأنت هناك بعض الأماكن؟ تاللن وسينت بيترسبيرغ في الأنحاء".

"فنلندا تكفي"، قال تسوكورو. "سأسافر من طوكيو إلى هلسنكي أقضي أربع ليالٍ هناك ثم أعود".

"أفترض أن لديك جواز سفر؟".

"عندما بدأت عملي في الشركة أخبرونا أنه يجب أن نجدده لنستطيع الذهاب إلى رحلات عمل خارجية إذا أتت الفرصة. لكن لم تأت الفرصة لأستخدمه".

"تستطيع في هلسنكي أن تستخدم اللغة الإنجليزية، لكني لست واثقة أنك تستطيع ذلك إذا توقفت في الريف. لدى شركتنا مكتب صغير في هلسنكي. مثل فرع تابع. سأتواصل معهم وسأخبرهم أنك آت، فإذا حدثت معك مشكلة تزوره. تعمل هناك فتاة فنلندية اسمها أولجا وأنا واثقة أنها ستساعدك".

"أقدر لك ذلك".

"يجب أن أذهب إلى لندن بعد غد في عمل. حالما أنهي حجز الرحلة والفندق سأرسل لك ذلك عبر الإيميل، عنوان مكتبنا في هلسنكي ورقم الهاتف أيضاً".

"يبدو هذا جيداً".

"هل تريد حقاً أن تقطع كل تلك المسافة إلى هلسنكي لتراها دون أن تتصل بها أولاً؟ كل تلك المسافة بجانب القطب الشمالي؟".

"هل هذا غريب جدا؟".

ضحكت. "جريء هي الكلمة التي سأستخدمها في هذه الحالة".

"أشعر بأن الأشياء ستسير أفضل بهذه الطريقة. حدس فقط بالطبع".

"أتمنى لك التوفيق"، قالت سارة. "هل أستطيع أن أراك مرة قبل أن تذهب؟ سأعود من لندن في بداية الأسبوع القادم".

"بالطبع أرغب في رؤيتك"، قال تسوكورو. "ولكن أحس أنه سيكون من الأفضل أن أذهب إلى فنلندا أولاً".

"هل هو الحدس أيضاً الذي أخبرك بهذا؟".

"أعتقد ذلك. شيء يشبه الحدس".

""هل تعتمد على الحدس كثيراً؟".

"لا. فأنا بالكاد أفعل شيئاً بناء عليه حتى الآن. كما أنك لا تبنين محطة سكك حديد على الحدبة. أعني أنني لا أعلم إن كانت حدس هي الكلمة الصحيحة. إنه شيء أشعر به فجأة".

"على أية حال، أنت تشعر أن الوقت الذي عليك أن تسافر فيه هو الآن صحيح؟ سواء كان حدساً أم لا؟".

"حين كنت أسبح في المسبح في ذلك اليوم، كنت أفكر بكل الأشياء. بك، بهلسنكي. لا أعرف كيف أوضح ذلك، قد يكون مثل السباحة عكس التيار، لقد عدت إلى إحساسي الباطني".

"حين كنت تسبح؟".

"أستطيع أن أفكر جيداً وأنا أسبح".

توقفت سارة عن الكلام لبعض الوقت، كأنها تأثرت بما قال. "مثل السالمون".

"لا أعرف الكثير عن السلمون".

"تسبح أسماك السلمون لمسافة بعيدة، مدفوعة بشيء" قالت سارة. "هل شاهدت من قبل حرب النجوم؟".

"عندما كنت صغيراً".

"فلتكن القوة معك". قالت سارة. "لئلا تخسر مع السلمون".

"شكراً. سأتصل بك حالما أعود من هلسنكي".

"سأنتظر".

أنهت الاتصال.

* * *

لكن تغير الأمر، فقبل أن يستقل الطائرة للذهاب إلى هلسنكي بأيام قليلة رأى تسوكورو سارة مرة أخرى بالصدفة. لم تعلم سارة ما حصل.

كان ذاهباً في ذلك المساء إلى أوياما ليشتري بعض الهدايا لكورو، بعض الإكسسوارات، وبعض الكتب لأطفالها. كان متجراً جيداً يوجد به مثل هذه الهدايا في الشارع الخلفي خلف جادة أوياما. وبعد ساعة أو أكثر من التسوق شعر أنه يحتاج إلى استراحة فذهب إلى مقهى. جلس بجانب نافذة ذات زجاج سميك، مطلة على أوموتيساندو، طلب قهوة وشطيرة تونا، ثم رجع إلى مقعده ينظر إلى ما في الخارج، إلى الشارع المغمور بالشفق. معظم من كان يسير كانوا أزواجاً، كانوا يبدون سعيدين جداً كأنهم في طريقهم إلى مكان ما مميز، حيث ينتظرهم شيء ممتع. وهو يراقب ذلك ازداد عقل تسوكورو ثباتاً وهدوءاً. إحساس هادئ كشجرة متجمدة في ليلة شتائية هادئة. لكن اختلط معه ألم بسيط. كبر تسوكورو مع السنين، وهو معتاد على تلك الصورة العقلية كثيراً حتى إنها لم تعد تجلب له أي ألم.

ومع ذلك لم يكن يستطيع أن يتوقف عن تخيل ما أجمل ما سيكون عليه لو كانت سارة معه. لم يكن هناك شيء ليفعله حيال ذلك، خاصة أنه هو الذي رفضها. هذا ما أراده. لقد جمدت فروعه العارية في ذلك المساء الصيفي المنعش.

هل هذا هو ما كان يجب فعله؟

لم يكن تسوكورو واثقاً أبداً. هل يثق بحدسه حقاً؟ قد لا يكون ذلك حدس، أو أي شيء يشبهه، ولكن فكرة عابرة لا أساس لها. فلتكن القوة معك، قالت سارة.

فكر تسوكورو لبعض الوقت في السلمون وبرحلته الطويلة في البحار المظلمة تتبع الغريزة أو الحدس.

بعدها مرت سارة أمامه. كانت ترتدي ذات الفستان الأخضر بلون النعناع ذو الأكمام القصيرة الذي كانت ترتديه ذلك اليوم، مع الحذاء البني الفاتح، وكانت تسير في منحدر لطيف من جادة أوياما باتجاه جينجومي. التقط تسوكورو أنفاسه، وكشر رغماً عنه. لم يستطع أن يصدق أن ما رآه حقيقي. بدت لبضع ثوان أنها وهم محكم تولد من عقله المنفرد. لكن ليس هناك شك بذلك، إنها الحقيقة، سارة حية. استقام على قدميه تلقائياً ودق على الطاولة بشكل خفيف. اندلقت القهوة في الصحن. ثم عاد وجلس.

وقف بجانب سارة رجل في منتصف العمر، رجل بنيته قوية بطول متوسط، يرتدي معطفاً أسود، قميصاً أزرق، وربطة عنق زرقاء بحرية منقطة نقطاً صغيرة. شعر منظم بعناية، بلمسة رمادية، يبدو أنه في بدايات الخمسينات. ملامح جميلة، بغض النظر عن الذقن الحادة بعض الشيء. كانت تظهر تعابير وجهه هدوءاً، ثقة متواضعة، من تلك التي لدى الرجال الذين تنعكس عليهم أعمارهم. كان يسير مع سارة في الشارع بسعادة، أيديهما متشابكة. فتح تسوكورو فمه مندهشاً كشخص فقد الكلمات التي قد رتبها للتو، من النافذة الكبيرة كان ينظر إليهما. سارا ببطء من أمامه لكن سارة لم تنظر في اتجاهه. كانت سارة مستغرقة تماماً في الحديث مع الرجل، ولم تنتبه إلى من يحيطها من الناس. قال الرجل شيئاً ففتحت فمها وضحكت. ظهرت أسنانها البيضاء بوضوح.

التهم حشد المساء سارة والرجل. وبقي تسوكورو ينظر في الاتجاه الذي اختفيا فيه، مقيد بأمل ضعيف أنّ سارة سترجع، أن تلاحظ أنه هناك وترجع لتوضح الأمر. لكنها لم تأتِ. مر أناس آخرون بوجوه مختلفة وهيئات مختلفة واحداً تلو الآخر.

غير مقعده وبلع بعض الثلج. كل ما بقي الآن هو حزن هادئ. شعر بألم مفاجئ في الجهة اليسرى من صدره كأنه قد طعن بسكين، شعر بدم حار قد تفجر. على الأغلب كان دماً. لم يشعر بمثل هذا الألم منذ وقت طويل، بعد صيف سنته الثانية في الكلية عندما تخلى عنه أصدقاؤه الأربعة. أغلق عينيه كأنه يسبح في الماء، ينجرف إلى عالم الألم. لكن مع هذا كانت قدرته على الشعور بالألم ما تزال جيدة. عندما تفقد القدرة على الشعور بالألم فأنت واقع في مشكلة حقاً.

اختلطت كل الأصوات معاً في أعماق سمعه بحدة وبسكون فظيع، ذلك النوع من الأصوات الذي تدركه في الصمت العميق المحتمل. ليس شيئاً يمكن أن تسمعه من لا شيء، لكنه صمت يتولد من أعضائك الداخلية. الجميع لديه صوت مميز يعيشون معه، لذا نادراً ما يملكون الفرصة أن يسمعوه حقاً.

عندما فتح عينيه مرة أخرى، أصبح العالم كأنه قد تحول. الطاولة البلاستيكية، فنجان القهوة الأبيض الواضح، نصف الشطيرة، ساعة (هوير) الأوتوماتيكية في معصمه الأيسر (التذكار من أبيه)، صحيفة المساء التي كان يقرؤها، سطر الأشجار في الشارع، نافذة العرض للمتجر في الطريق، كل ذلك قد صار ساطعاً مع حلول المساء، بدا كل شيء حوله مشوهاً. الحدود غير محددة، الإحساس بالعمق مفقود، المقياس خاطئ تماماً. تنفس بعمق، مرة بعد مرة، إلى أن بدأ يهدأ أخيراً.

لم ينجم الألم الذي في قلبه عن الغيرة. كان تسوكورو يعرف إحساس الغيرة. لقد أحس به مرة بشكل كبير، في ذلك الحلم، وبقي لديه

حتى الآن. كان يعرف كيف يتغير الإحساس إلى إحساس بالاختناق وفقدان الأمل. لكن الألم الذي أحس به الآن مختلف. كل ما أحس به هو الحزن، كأن أحداً قد تخلى عنه في حفرة عميقة مظلمة. كل ذلك كان حزناً. ذلك الإحساس يصاحبه ألم جسدي بسيط. في الحقيقة لقد وجد ذلك مريحاً.

الذي آلمه أكثر لم تكن حقيقة أن سارة تسير شابكة يدها بيد رجل آخر، أو احتمال أنها قد تنام مع الرجل. بالطبع يؤلمه أن يتخيلها عارية ومع رجل آخر في السرير. يحتاج إلى جهد كبير لمسح تلك الصورة الذهنية من عقله. لكن سن سارة ثمانٍ وثلاثين سنة، مستقلة، وعزباء، ومتحررة. ولديها حياتها الخاصة، مثلما لدى تسوكورو حياته الخاصة. إن لها الحق في أن تكون مع من تحبه، أينما شاءت، وتفعل ما تشاء.

ما صدمه حقاً مدى سعادتها التي بدت فيها. عندما كانت تتحدث مع ذلك الرجل كان وجهها يضيء بالكامل. لم تظهر تعبيراً غير متكلف عندما كانت مع تسوكورو، ولا مرة. كانت تحافظ على مظهر هادئ ومحكم معه، هذا ما مزق قلبه بصورة لا تطاق أكثر من أي شيء آخر.

في شقته، استعد للسفر إلى فنلندا. البقاء مشغولاً ينزع كل ما في عقله، لم يكن لديه الكثير ليضعه في الحقيبة، بعض الغيارات لأيام قليلة فقط، كيس من مستحضرات العناية الشخصية، كتابان ليقرؤهما في الطائرة، ملابس السباحة والنظارات (التي لا يذهب إلى أي مكان دونها)، وشمسية مطوية. كل ما يمكن حمله بعناية في حقيبة كتف. لم يأخذ كاميرا حتى . ما الجيد في الصور؟ ما كان يسعى إليه هو شخص حقيقي وكلمات حقيقية.

عندما أنهى ترتيب الملابس، التقط (سنوات حجٍ) لليست لأول مرة منذ سنوات. التسجيلات الثلاثة التي عزفها لازار بيرمان، ما أبقاها هايدا قبل خمس عشرة سنة. لا يزال يحتفظ بمسجل قديم لهدف واحد هو

سماع هذه الأسطوانة. اختار وضع التشغيل الطويل على الإسطوانة وحدد مكان البدء والانتهاء وأخفض الإبرة.

"السنة الأولى: سويسرا " جلس على الكنبة، أغمض عينيه، وركز في الموسيقى. كانت **Le mal du pays** القطعة الرابعة في المجموعة، المعزوفة الأولى في الجهة **B**. يبدأ عادة بهذه القطعة ويبقى يسمعها حتى القطعة الموسيقية الرابعة في "السنة الثانية: إيطاليا" "السونيتة **47** لبيترارتش" وعند هذه القطعة تنتهي الجهة **B** وترتفع الإبرة بشكل تلقائي من المسجّل.

الموسيقى الهادئة الكئيبة تأخذ تدريجياً مكاناً في قلبه المغلف بالحزن غير المفسر، كأنها قطع صغيرة مجهرية من اللقاح قد التصقت بكائن غير مرئي مختفٍ في الهواء، يظهر في النهاية شكله ببطء وصمت. في هذا الوقت، أخذ الكائن شكل سارة، سارة بفستانها الأخضر بلون النعنع ذو الأكمام القصيرة.

عاد الألم الذي في قلبه. ليس ألماً شديداً، لكنه ذكرى لألم شديد.

ماذا كنت تتوقع؟ سأل تسوكورو نفسه. إناء فارغ في الأساس قد أصبح إناء فارغاً مجدداً. من تستطيع الآن أن تشتكي إليه من ذلك؟ يأتي الناس إليه، يكتشفون كم هو فارغ، ثم يتركونه. الذي بقي هو تسوكورو تازاكي الفارغ، وربما أصبح فارغاً أكثر، بقي وحيداً. هل هذا كل شيء؟

إلا أنهم يتركون بعض الأحيان وراءهم ذكرى صغيرة، مثل هايدا ومجموعة أسطوانات (سنوات حجٍ). ربما لا يكون قد نسيه بسهولة، بل تركه قصداً في شقة تسوكورو ليصله بهايدا وشيرو. إنه الوريد الذي وصل هؤلاء الأشخاص الثلاثة المشتتين بعضهم ببعض. وريد هش ورفيع لكنه لا يزال لديه دم أحمر حي يسير به. جعلت القوة الموسيقية الأشياء الممكنة. ما إن يسمع تلك الموسيقى، خاصة **"Le mal du pays"**، تندفع فيه ذكريات قوية لهما، وفي ذلك الوقت يشعر بأنهما بجانبه تماماً يتنفسان بهدوء.

من ناحية معينة، كلاهما قد اختفى من حياته. فجأة دون إنذار. لا، إنّ تركهما له أقل من مقاطعته عمداً، هجره. لقد آلم ذلك تسوكورو كثيراً بالتأكيد، وبقي ذلك الجرح إلى الآن. لكن في النهاية، ألم يكن كلاهما، شيرو وهايدا، اللذان قد جُرحا في المعنى الحقيقي للكلمة وتأذيا؟ هذا المشهد في هذه الأثناء هو المسيطر على دماغه.

فكّر: ربما أنا شخص فارغ وعديم الفائدة، إنني كذلك تماماً لأنه لا يوجد في داخلي شيء يمكن أن يجدناه، حتى لو كنت لوقت قصير مكاناً ينتميان إليه. كطائر ليلي يبحث عن مكان آمن في علية منزل فارغة ليرتاح بها خلال اليوم. الطيور كذلك المكان الفارغ المعتم الصامت. إذا كان صحيحاً فربما يتوجب عليه أن يكون سعيداً لأنه فارغ.

اختفت النغمة الأخيرة من سونيتة 47 لبيترارتش في الهواء، وانتهت الموسيقى، وارتفعت الإبرة تلقائياً، تحركت جانباً، وعادت إلى مسسند الذراع. أخفض الإبرة إلى بداية جهة B من قرص التشغيل الطويل. تتبعت الإبرة تلقائياً نمط الأسطوانة ومرة أخرى بدأ لازار بيرمان يعزف بجمال ورقة.

استمع إلى كامل الجهة B مرة أخرى، ثم ارتدى ملابس النوم، وذهب إلى السرير. أطفأ الضوء بجانب سريره، وأحس مرة أخرى بامتنان أن الذي سيطر على قلبه هو حزن عميق وليس عبودية الغرور الشديد. التي ستخطف أي أمل في النوم.

وأخيراً جاء النوم يلفه بذراعيه. أحس في كثير من اللحظات العابرة برقة مألوفة تتخلل جسده. هذا أيضاً من الأشياء القليلة التي أمدت تسوكورو بالرضا عن تلك الليلة.

سمع خلال نومه طيوراً تغرد في الليل.

الفصل الرابع عشر.

حوّل تسوكورو عملة الين إلى اليورو حال وصل إلى مطار هلسنكي، ثم بحث عن متجر هواتف خلوية، واشترى أكثر هاتف لديه يفي بالغرض وبرصيد شحن سابق، وعندما انتهى، سار خارج المحطة، كان قد علق الحقيبة على كتفيه، وسار باتجاه موقف سيارات الأجرة. استقل سيارة مرسيدس بنز قديمة، وأخبر السائق عن اسم الفندق الذي يقيم فيه في المدينة.

غادرا المطار وسارا في الطريق السريع. على الرغم من أنها الرحلة الأولى لتسوكورو خارج البلاد فإن الغابات الخضراء العميقة التي تجاوزاها واللوحات الإعلانات المكتوبة باللغة الفنلندية لم تجعل لديه ذلك الإحساس الذي يأتي لأول مرة تجاه بلد أجنبي. كان واضحاً أن الطريق إلى هنا قد احتاجت وقتاً أطول من الطريق إلى ناغويا، ولكنه لم يشعر باختلاف عندما عاد إلى موطنه. العملة في محفظته فقط هي ما اختلف. ارتدى ملابسه الاعتيادية، قميص بولو أسود مصنوع من قطن الشينو، حذاء رياضي وجاكيت قطني بني فاتح. كان قد اشترى أقل ما يمكن أن يقال من الملابس الإضافية، إذا أراد شيئاً آخر فدائماً يستطيع شراءه.

"من أين أنت؟" سأله سائق سيارة الأجرة بالإنجليزية مع نظرة خاطفة في المرآة الخلفية. كان رجلاً في منتصف العمر ولديه لحية مكتملة وكثيفة.

"من اليابان"، أجاب تسوكورو.

"إنها طريق طويلة مع حقيبة سفر صغيرة جداً!".

"لا أحب حقائب السفر الثقيلة".

ضحك السائق. "من يحب؟ ولكنك دون أن تدري محاط بها. إنها الحياة. **This is life**. ثم ضحك بابتهاج مجدداً.

ضحك تسوكورو معه مطولاً.

"ما طبيعة عملك؟" سأل السائق.

"أبني محطات سكك حديد".

"أنت مهندس؟".

"نعم"

"وأتيت إلى فنلندا لتبني محطة؟".

"لا، لقد أتيت في إجازة لزيارة صديق".

"هذا جيد" قال السائق. "الإجازات والأصدقاء أفضل شيئين في الحياة".

هل يرغب كل الفنلنديين في قول نكات عن الحياة؟ أو وحده هذا السائق يفعل ذلك؟ يأمل تسوكورو أن يكون الأخير.

بعد ثلاثين دقيقة، بعد أن توقفت سيارة الأجرة أمام فندق في وسط مدينة هلسنكي، كان تسوكورو متردداً ما إذا كان يجب أن يدفع له بقشيشاً أم لا. أدرك أنه لم يقرأ ذلك في الدليل (ولا أي شيء آخر عن فنلندا، في حقيقة الأمر). أضاف أقل من 10% من المبلغ الظاهر على العداد وأعطاه للسائق. نظر إليه السائق بابتهاج وأعطاه إيصالاً فارغاً، ربما كان ذلك هو القرار الصحيح. حتى لو لم يكن كذلك فكان يبدو بوضوح أن السائق لم يكن بائساً.

كان الفندق الذي اختارته له سارة ذا طراز قديم في مركز المدينة. رافقه خادم الفندق في مصعد قديم إلى غرفته في الطابق الرابع، كان أشقر ووسيماً. الأثاث قديم، والسرير كبير، والجدران مغطاة بورق جدران لونه باهت مرسوم عليه إبر صنوبر، وكان ثمة حوض استحمام

قديم، والنوافذ تفتح عامودياً. كانت الستائر ثخينة ومعها شريط رفيع معلق فوق النافذة. للمكان عطر يشوبه الحنين بشكل باهت. ومن النافذة كان يستطيع رؤية حافلات كهرائية خضراء تتجه إلى وسط جادة واسعة. على العموم إنها غرفة مريحة ووثيرة. لم يكن هناك آلة صنع القهوة أو تلفاز بشاشة LCD لكن تسوكورو لم يعترض. لم يكن ليستخدمهما على أية حال.

"شكراً لك. هذه الغرفة جيدة" أخبر تسوكورو خادم الفندق وأعطاه قطعتين من فئة اليورو بقشيشًا. ابتسم الخادم وبخفة خرج خلسة من الغرفة كقطة ذكية.

بعد مضي بعض الوقت استحم وغير ملابسه، كان قد حان وقت المغيب، ومع ذلك كان يبدو المكان في الخارج مضيئاً كوقت الظهر. وكان نصف القمر معلقاً كقطعة صخرية إسفنجية منحدرة قد أسقطها شخص ما وظلت عالقة في السماء.

ذهب إلى مكتب الحارس في الرواق وأخذ من امرأة تعمل هناك ذات شعر أحمر خريطة مجانية للمدينة. أخبرها عنوان وكالة سفر سارة، وضعت المرأة علامة عليها بقلم الحبر على الخريطة، إنها تبعد أقل من ثلاثة مباني عن الفندق. اتبع نصيحة الحارس وأخذ بطاقة مواصلات لحافلات المدينة ولميترو الأنفاق وللترام. وضحت له كيفية ركوبها وأعطته خريطة الطرق. بدت المرأة في أواخر الأربعين، عيناها بلون أخضر فاتح، كانت امرأة لطيفة. في كل مرة يتحدث فيها تسوكورو مع امرأة متقدمة في السن ينتابه شعور طبيعي وهادئ. بدا ذلك صحيحاً، لا يهم في أي مكان في العالم قد وجد نفسه.

ذهب إلى مكان هادئ في الرواق واستخدم الهاتف. لقد اشتراه من المطار للاتصال بشقة كورو في المدينة. انتقل الخط إلى الرسائل الصوتية. تكلم صوت عميق بالفنلندية لعشرين ثانية ثم سمع صوت

الصافرة، بإمكانه الآن ترك رسالة، لكن تسوكورو أنهى الاتصال دون أن يقول شيئاً. انتظر لبعض الوقت ثم اتصل مرة أخرى مع ذات النتيجة. ربما كان الصوت على الرسائل صوت زوج كورو. لم يكن يعي تسوكورو ما قال بالطبع لكنه أخذ انطباعاً عنه أنه شخص سوي وإيجابي. صوت رجل صحي ويعيش حياة وثيرة ومريحة.

أنهى تسوكورو الاتصال وأرجع الهاتف إلى جيب بنطاله وأخذ نفساً عميقاً. لم يمتلك شعوراً جيداً تجاه ذلك. من المرجح أن كورو ليست في الشقة الآن. لديها زوج وطفلان صغيران. إنه شهر تموز وربما كما قدرت سارة أن العائلة رحلت فجأة في رحلة صيفية إلى مايوركا.

إنها السادسة والنصف، وكالة السفر التي أخبرته سارة عنها بلا شك قد أغلقت، لكن لا ضرر في تجربة الاتصال بهم. أخذ الهاتف ومرة أخرى طلب رقم المكتب، وللمفاجأة كان لا يزال أحد هناك.

ردت امرأة بالفنلندية.

"اعذريني، هل أولجا هنا؟". سأل تسوكورو بالإنجليزية.

"أنا أولجا"، ردت المرأة بإنجليزية غير مختَصرة.

قدم تسوكورو نفسه ووضح لها أن سارة من اقترح أن يتصل.

"نعم سيد تازاكي، لقد أخبرتني سارة بذلك". قالت أولجا.

وضح تسوكورو الموقف، كيف قد أتى لرؤية صديقة وعندما اتصل بها كل ما حصل عليه هو تسجيل بالفنلندية.

"هل أنت بالفندق الآن؟".

"أنا بالفندق". قال تسوكورو.

"أنا على وشك إغلاق المكتب اليوم. سأكون هناك في نصف ساعة. هل نستطيع اللقاء في الرواق؟".

كانت أولجا شقراء، ترتدي بنطال جينز ضيق وقميصاً أبيض ذا أكمام طويلة. بدت في أواخر العشرينات، طولها خمسة أقدام وسبع إنشات، وجهها مستدير، ذو لون وردي. بدت فتاة قد ولدت لعائلة ريفية غنية، كبرت مع مجموعة من الإوز الثرثار. شعرها مربوط إلى الخلف وحقيبة مطلية بالأسود متدلية من كتفها. وقفتها جيدة كساعي بريد لديه شيء مهم لتسليمه، وبدأت تخطو خطوات كبيرة حين وصلت الفندق.

تصافحا وجلسا بجانب بعضهما على كنبة في وسط البهو.

أتت سارة إلى هلسنكي عدة مرات، وكل مرة تأتي فيها كانت تعمل مع أولجا، لذا لم تكن أولجا مجرد شريكة في العمل ولكنها كانت صديقة.

"لم أرَ سارة منذ وقت طويل. كيف حالها؟". سألت أولجا.

"إنها في حال جيدة" رد تسوكورو. العمل يبقيها مشغولة وتسافر باستمرار إلى مكان ما".

"عندما اتصلت بي قالت إنكما صديقان مقربان على نحو شخصي".

ابتسم تسوكورو "صديقان مقربان على نحو شخصي" أعادها مع نفسه.

"يسرني أن أقدم المساعدة بأي طريقة أستطيع. لا تتردد في السؤال". ابتسمت أولجا ونظرت مباشرة في عينيه.

"أشكرك". شعر أنها تخمن فيما إذا كان جيداً بما فيه الكفاية ليكون صديق سارة. كان يأمل أن يجتاز الاختبار.

"إذا لم تمانع دعني أسمع الرسالة" قالت أولجا.

أخرج تسكورو الهاتف وطلب رقم شقة كورو. في أثناء ذلك أخرجت أولجا مذكرة وقلماً ذهبياً رفيعاً من حقيبتها ووضعتهما على

ركبتها، وحال سمعته يرن أمسكت الهاتف. استمعت أولجا إلى الرسالة، بملامح جدية على وجهها ودونت بسرعة المعلومات الضرورية، ثم أنهت الاتصال. بدت امرأة ذكية قادرة، كان تسوكورو يتخيل أنها ستكبر مع سارة جنباً إلى جنب.

" أعتقد أن الصوت كان لزوج المرأة" قالت أولجا. غادرا الشقة الجمعة الماضية وذهبا إلى الكوخ الصيفي. لن يعودا حتى منتصف آب. وأعطتنا رقم هاتفها في الكوخ".

"هل هو بعيد؟".

نظرت إلى رأسه. "لم تخبرنا أين يقع. ما عرفناه من الرسالة رقم الهاتف فقط وهو تابع لفنلندا. إذا اتصلت بالرقم ستكون قادراً على إيجاده".

"إذا فعلت ذلك لي سأقدر لك ذلك. ولكن لدي طلب واحد" قال تسوكورو. "لا أريدك أن تذكري اسمي على الهاتف. إذا كان ذلك ممكناً. أرغب في زيارتها دون أن تعرف أنني قادم".

بدت أولجا فضولية.

وضح تسوكورو. "إنها صديقة جيدة جداً لي من المدرسة الثانوية، لكني لم أرها منذ وقت طويل. لا أظن أن لديها أدنى فكرة أنني قادم لرؤيتها. آمل أن أفاجئها".

"مفاجأة"، قالت فاتحة يديها على ركبتيها، يبدو أن الأمر مسل جداً".

"آمل أن توافق".

"هل كانت حبيبتك؟". سألت أولجا.

هز تسوكورو رأسه." لا. لم يكن بيننا ذلك النوع من العلاقة. كنا ننتمي إلى ذات المجموعة. هذا كل ما في الأمر. لكننا كنا مقربين جداً."

أمالت رأسها قليلاً. " من الصعب أن تحصل على أصدقاء جيدين من المدرسة الثانوية".

أومأ تسوكورو.

"وقد تزوجت صديقتك من رجل فنلندي ورحلت إلى هنا. لم ترها منذ زمن طويل. هل هذا صحيح؟".

"لم أرها منذ ست عشرة سنة".

حكّت أولجا صدغها بإصبع السبابة عدة مرات. "أتفهم ذلك. سأحاول أن أحصل على عنوانها دون إخبارها عنك. أفكر في طريقة جيدة. هل يمكنك إخباري باسمها؟".

كتب تسوكورو اسم كورو على المذكرة.

"ما اسم المدينة التي تقع فيها مدرستكم الثانوية؟".

"ناغويا"، أخبرها تسوكورو.

أخذت أولجا هاتفه النقال مرة أخرى ووضعت الرقم التي أخذته من آلة الرد. رن الهاتف مرات قليلة ثم أجاب أحدهم. تحدثت أولجا إلى الشخص بالفنلندية مستخدمة نغمة لطيفة. وضحت شيئاً، سألها الشخص الآخر سؤالاً، ثم أعطته مرة أخرى توضيحاً مختصراً. قالت اسم إري عدة مرات. بعد بضع جولات من ذلك بدا الشخص الآخر مقتنعاً. التقطت أولجا قلمها الحبر الموضوع على رأسه كرة معدنية ودونت شيئاً. شكرت الشخص بأدب ثم أنهت الاتصال.

"نجح الأمر".

"سعيد بذلك".

اسمهما الأخير هو هاتينن. اسم الزوج الأول إدوارد. يقضي الصيف في الكوخ قرب البحيرة خارج بلدة تدعى هامينلينا شمال غرب هلسنكي. إري والأطفال بصحبته بالطبع".

"كيف توصلت إلى ذلك دون الإفصاح عن اسمي؟".

ابتسمت أولجا ابتسامة شريرة. "قلت كذبة صغيرة. ادعيت أنني شخص من مكتب اتصالات فيدكس. قلت أن لدي حزمة رسائل مرسلة إلى إري من ناغويا، اليابان، وسألته عن الموقع الذي يجب أن أُرسله إليه. رد زوجها على الهاتف ولم يتردد في إعطائي العنوان. وهذا ما حصل".

قدمت له ورقة من المذكرة، وقفت ثم ذهبت إلى مكتب الحارس ثم أخذت خريطة لجنوبي فنلندا. فتحت الخريطة ووضعت علامة على موقع هامينلينا.

"هنا تقع هامينلينا. لقد بحثت عن عنوان الكوخ الصيفي في جوجل. المكتب مغلق الآن. سأطبعه لك غداً وأعطيك إياه".

"كم تستغرق الرحلة إلى هناك؟".

"قرابة 100 كيلومتر. لذا سوف تستغرق بالسيارة حوالي ساعة ونصف. يوصلك الطريق السريع مباشرة إلى هناك. هناك قطارات أيضاً لكن حينها ستحتاج سيارة للوصول إلى منزلهما". "سأستأجر سيارة". "يوجد في هامينلينا قلعة جميلة بجانب البحيرة والمنزل الذي نشأ فيه سبيلياس. ولكن أعتقد أن لديك أمورًا أهم. لمَ لا تأت في الغد إلى المكتب حين تجد الوقت مناسباً؟ نفتح الساعة التاسعة. هناك مكان لاستئجار سيارة قريبٌ من المكتب. سأهتم بأمر استئجار سيارة لك".

"لقد قدمت لي مساعدة كبيرة" قال تسوكورو شاكراً إياها.

"الصديق الجيد لسارة هو صديق لي" قالت أولجا ورمشت. "آمل أن تلتقي بإري وتتفاجأ".

"آمل ذلك. هذا ما جئت لأجله".

ترددت أولجا للحظة ثم قالت: "أعرف أن هذا ليس من شأني، لكن هناك شيء مهم جداً لتقطع كل هذه المسافة لتراها صحيح؟".

"ربما مهم بالنسبة إلي، لكن ليس بالنسبة إليها، جئت إلى هنا لأعرف ذلك".

"يبدو الأمر معقداً بعض الشيء".

"ربما معقد جداً بالنسبة إليّ أن أوضحه بالإنجليزية".

ضحكت أولجا. " هناك بعض الأشياء في الحياة معقدة جداً حتى إنه يصعب شرحها بأي لغة".

أومأ تسوكورو مستحضراً أقوالاً ظريفة عن الحياة، يبدو أنه طابع يتقاسمه كل الفنلنديين. لا بد أن يفعل شيئاً تجاه الشتاءات الطويلة، لكنها كانت محقة. لقد كانت مشكلة لا يمكن حلها بالدفء، على الأرجح.

نهضت عن الكنبة ونهض تسوكورو أيضاً ثم هزت رأسها.

"إذن. حتى صباح الغد" قالت. "أعتقد أنك منهك، ومع طلوع الشمس المستمر لوقت طويل يشعر بعض الناس الذين لم يعتادوا عليها بمشاكل في النوم. فكرة جيدة أن تطلب اتصالاً ليوقظك".

"سأطلب ذلك"، قال تسوكورو. وضعت أولجا الحقيبة على كتفها وسارت في القبو خارج المدخل، لم تنظر خلفها.

طوى تسوكورو الورقة التي أعطته إياها، وضعها في محفظته، ودس الخريطة في جيب بنطاله، غادر الفندق وتجول في المدينة.

لقد عرف عنوان إري في الأقل. لقد كانت هناك، هي وزوجها وطفلان صغيران، كل ما بقي هو هل ستراه أو لا. ربما قد طار حول نصف العالم لرؤيتها، ولكنها قد ترفض لقاءه. إنه احتمال كبير حسب ما قاله أو. كورو هي أول من وقفت إلى جانب شيرو في قضية الاغتصاب. أول من ضغط عليهم لقطع العلاقة مع تسوكورو. لم تكن تتخيل ما نوع الشعور الذي ولدته عنده بعد جريمة قتل شيرو وقطع العلاقة مع المجموعة. قد تكون قد شعرت شعوراً مختلفاً تماماً تجاهه. كل ما قد يفعله هو أن يذهب ليراها ويكتشف ذلك.

إنـها الـثامنـة مساء، وكما قالت أولـجا لم تُظهر الشمس أية إشارة للغروب. ما زال الكثير من المحال مفتوحة، ولا تزال الشوارع مشرقة كـالـنـهار، مكتظة بـالـمشاة، الـنـاس يـملؤون الـمقاهـي، ويشـربـون الـبيرة والنبيذ، ويتحدثون. التقط تسوكورو حين صار أسفل الشوارع المحددة بحجارة الرصيف الدائرية رائحة سمك مشوي، ذكره بسمك الإسقمري المشوي على قائمة غداء اليابانيين. تبع الرائحة عبر الزقاق إذ كان يشعر بالجوع، لكنه لم يستطع معرفة موقع مصدر الرائحة. عندما بحث في الشوارع زادت الرائحة بصورة خفيفة إلى أن اختفت.

كان هناك مشكلة كبيرة في البحث عن مكان تأكل فيه، لذلك ذهب إلى مطعم بيتزا قريب، جلس على طاولة خارجية وطلب شاياً مثلجاً وبيتزا بالخضار. كان يستطيع أن يسمع صوت سارة وهي تضحك عليه. لقد سرت كل تلك المسافة إلى فنلندا لتأكل البيتزا بالخضار؟! ستتفاجأ من ذلك حتماً، لكن البيتزا تحولت إلى طبق شهي أكثر مما توقع، لقد خبزوها في فرن على الفحم حقيقي، كانت رقيقة ومقرمشة وعلى وجهها آثار فحم فواحة.

كـان مـطعم الـبيتزا الـذي وجـده صـدفـة مـليئاً تـقريـباً بـالـعائـلات والأزواج الـصغار. هـناك مجـموعـة مـن الـطلاب أيـضاً. كـان الجـميع يشربون البيرة والنبيذ، والكثير ينفث دخان السجائر. كان الوحيد الذي يراه تسوكورو يجلس وحيداً يشرب الشاي المثلج هو تسوكورو ذاتـه. كان الآخرون يتحدثون بصوت مرتفع ومزعج والكلمات التي التقطها صدفة كانت كلها (كما توضح) فنلندية. يبدو أن المطعم يقدم الطعام للمحليين لا للسياح. انصدم في النهاية، إنه بعيد عن اليابان، في دولة أخرى. أينما يكون دائماً تقريباً يكون وحيداً، لذلك لم يزعجه ذلك الأمر بعينه، لكنه هنا لم يكن وحيداً ببساطة بل كان وحيداً بالمعنيين اللذين تحـملهما الـكلمة. إنـه أجـنبي أيـضاً، والـنـاس حـولـه يتحـدثـون بـلغة لا يفهمها.

إنـه معنى آخر للعزلـة مختلف عما شعر بـه في اليابان. ليس بذاك الشعور السيئ، قرّر. أن تكون وحيداً بالمعنيين اللذين تحملهما الكلمة هذا قد يشبه الإنكار المضاعف للعزلـة. بمعنى آخر، لقد أثار تجاهه شعوراً جيداً كونـه أجنبيًا أن يحس أنـه معزول هنا، وليس ذلك شيئاً غريباً أبداً.

رفع يده ليستدعي النادل ويطلب كأس نبيذ أحمر.

بعد أن حضرت كأس النبيذ بقليل أتى عازف أكورديون كبير في السن، كان يرتدي سترة تحتية رثة وقبعة بنما، ويصطحب معه كلباً ذا أذنين دقيقتين، بيدين متدربتين -كربط حصان بعمود وعقده- ربط سلسلة الكلب بضوء الإنارة وبقي هناك، انحنى وبدأ يعزف لحناً شعبياً خاصاً بشمالي أوروبا. كان واضحاً أنه عازف شارع متمرس، أداؤه متقن ولا يبذل بـه مجهوداً. دندن بعض الزبائن الألحان، وأخذ طلبات كان من ضمنها نسخة فنلندية لإلفيس برسلي **"Don't Be Cruel"**. جلس كلبه الأسود النحيف هناك، لا يراقب أي شيء حولـه، عيناه مركزتان على بقعة في الهواء كأنـه مستغرق في ذكرياتـه. أذناه لا ترتعش ولا تتحرك أبداً.

هناك بعض الأشياء في الحياة معقدة جداً حتى إنـه يصعب شرحها بأي لغة.

كانت أولجا محقة حتماً، كلما رشف من النبيذ كان تسوكورو يفكر. ليس لتفسر ذلك للآخرين فقط بل لتفسر ذلك لنفسك. إجبار نفسك أن تفسر ذلك ثم تختلق كذبات. على أي حال كان يعلم أنـه يجب أن يكون قادراً على استيعاب أشياء أكثر في الغد. عليه أن ينتظر وحسب. وإذا لم يتبين لـه شيء سيكون ذلك جيداً أيضاً. ليس هناك ما يستطيع فعله حيال ذلك. سيستمر تسوكورو تازاكي عديم اللون في حياته التي لا لون لها، لا يزعج أحداً.

لقد فكر في سارة، فستانها ذو اللون الأخضر بلون النعناع، ضحكتها المبهجة، والرجل الذي في منتصف العمر الذي كان يسير بجانبها ويدها بيده. لكن هذه الأفكار لم تقده إلى أي مكان. قلب الإنسان كطائر ليلي، بصمت ينتظر شيئاً، وعندما يحين الوقت يطير مباشرة صوبه.

أغلق عينيه وذهب بعيداً مع الألحان التي يصنعها عازف الأكورديون. مضى اللحن الرتيب في طريقه عبر الأصوات المزعجة إلى أن وصل إليه، كصفارة ضباب اختفى صوتها من تدافع الأمواج.

شرب نصف النبيذ، ترك بعض الأوراق النقدية والعملات في القبعة أمام عازف الأكورديون، متبعاً ما فعله الآخرون ربت على رأس الكلب. لم يستجب الكلب، كأنه تمثال. أخذ تسوكورو وقته عائداً إلى الفندق. توقف عند كشك في الطريق، واشترى ماء معدنياً وخريطة مفصلة أكثر لجنوبي فنلندا.

في موقف منتصف الجادة الرئيسة كان الناس قد اشتروا الشطرنج وكانوا يلعبون اللعبة في رقعة شطرنج مدمجة ومرتفعة. كلهم رجال، ومعظمهم من كبار السن. وعلى عكس الناس في مطعم البيتزا كانوا هادئين تماماً. والناس الذين يراقبونهم كانوا كتومين أيضاً. التفكير العميق يتطلب صمتاً. معظم الناس الذين يمرون في الشارع لديهم كلاب. الكلاب أيضاً كتومة. استنشق عندما خرج إلى الشارع رائحة بالصدفة من السمك المشوي والكباب. كانت قرابة التاسعة مساء، كانت محلات الزهور ما تزال مفتوحة- بصفوف بعضها فوق بعض من زهور الصيف الملونة، كأنّ الليل قد نُسي.

طلب من المكتب الأمامي أن يوقظوه الساعة السابعة صباحاً. ثم صدمته فكرة مفاجئة. "هل هناك مسبح قريب؟" سأل.

عبست الموظفة قليلاً وفكرت في الأمر. ثم بتهذيب هزت رأسها، كأنها تعتذر عن عيب في تاريخ أمتها. "أنا آسفة جداً، أخشى أنه لا يوجد مسبح قريب".

عاد إلى غرفته، أخفض الستائر الثقيلة ليسد الضوء، تعرى، وتمدد في سريره. مازال هناك ضوء -كذاكرة قديمة يصعب محوها بسهولة- قد تلسل إلى غرفته. عندما حدق إلى السقف المعتم فكر ما أغربَ أن يكون هنا في هلسنكي، ليس في ناغويا، لرؤية كورو. الليلة المضيئة على نحو فريد في شمالي أوروبا جعلت قلبه يخفق بصورة غريبة. كان جسده يحتاج إلى النوم، لكنه عقله كان يسعى -في الأقل لبعض الوقت- إلى السهر.

فكر في شيرو. لم يحلم بها منذ وقت طويل. فكر في تلك الأحلام المثيرة، حيث أتى بها بعنف. عندما استيقظ بعد ذلك وغسل ملابسه الداخلية من المني المتيبس في المغسلة كانت تصدمه دائماً مجموعة من العواطف المختلطة. اختلاط غريب من الذنب والحنين. انبعثت مشاعر خاصة فقط في زاوية معتمة غير معروفة للناس، حيث اختلطت الحقيقة باللا حقيقة خِفية. وبغرابة مطلقة افتقد تلك المشاعر. لم يكن مهتماً بنوع الحلم، ولا كيف أثّر به. كان يريد أن يرى شيرو مرة أخرى في أحلامه فحسب.

سيطر النوم أخيراً عليه، ولكن لم تأته أحلام.

الفصل الخامس عشر.

أتت مكالمة الإيقاظ الساعة السابعة، تنشطه من النوم. كان سينام مطولاً ويستغرق في النوم وجسده سيشعر بشلل ثقيل. استحم، حلق، نظف أسنانه، ولا يزال الشلل يصاحبه. السماء غائمة جزئياً مع وجود طبقة رفيعة من الغيوم، ولكن المطر بدا مستبعداً. ارتدى تسوكورو ملابسه، نزل إلى مطعم الفندق، وأخذ بوفيه الإفطار.

وصل إلى مكتب أولجا بعد التاسعة. كان مكتباً صغيراً دافئاً في المنتصف، وأبعد بقليل عن الميلان، يعمل معها شخص واحد فقط، رجل طويل بعينين جاحظتين كالسمكة. كان الرجل على اتصال، ويشرح أمراً. الحائط مغطى بإعلانات ملونة عن نقاط التصوير في فنلندا. طبعت أولجا خرائط متعددة لتسوكورو. كان كوخ هاميلينا واقعا في مدينة صغيرة في الطريق القصير أسفل البحيرة، الموقع الذي وضعت عليه علامة **x**. كونها قناة طويلة فقد اشتملت البحيرة الضيقة المتعرجة على أنهار جليدية، قبل عشرة آلاف سنة، بدت كأنها ستبقى للأبد.

"يجب أن يكون الطريق سهلا" قالت أولجا. "فنلندا ليست كطوكيو أو نيويورك. الطريق ليست مزدحمة، يجب أن تصل إلى هناك إذا اتبعت الإشارات ولم تصطدم بظبي".

شكرها تسوكورو.

"لقد استلمت سيارة لك" أكملت. "فولكس فاجن جولف وقد سارت ألفي كيلومتر فقط، كنت قادرة على أخذ خصم بنسبة قليلة".

"شكراً لك، هذا عظيم".

"أدعو ليسير كل شيء على ما يرام. فبالنهاية لقد أتيت إلى هنا بعد أن قطعت كل تلك المسافة". ابتسمت أولجا برقة. "إذا واجهتك أية مشكلة لا تتردد بالاتصال بي".

"لن أتردد"، قال تسوكورو.

"تذكر أن تنتبه من الظباء. إنها حيوانات غبية. احرص على أن لا تقود بسرعة كبيرة".

صافحا بعضهما مرة أخرى وتوداعا.

اختار من وكالة سيارات الأجرة الجولف الجديدة ذات اللون الأزرق البحري، وشرحت له المرأة هناك كيف يخرج من مركز هلسنكي إلى الطريق السريع. لم يكن الأمر بذاك التعقيد، لكن عليك أن تنتبه. وعندما تصل الطريق السريع، سيكون الأمر بعد ذلك سهلاً.

كان يستمع تسوكورو إلى موسيقى من محطة إف إم عندما قاد السيارة باتجاه الطريق السريع متجهاً إلى الغرب وقد كان ذلك في مئة كيلومتر في الساعة. تجاوزته معظم السيارات، لكنه لم يهتم. لم يقد سيارة منذ وقت طويل، وهنا المقود كان بالاتجاه اليسار، عكس اليابان. كان يأمل أن يصل إلى منزل هاتينن بعد أن ينتهوا من الغداء. ما زال لديه الكثير من الوقت، وليست هناك ضرورة للإسراع. كانت محطة الموسيقى الكلاسيكية تضع كونشيرتو مذهلة مرحة لآلة البوق.

كانت الغابات على كلا جانبي الطريق السريع. أخذ انطباعاً بأن الدولة بالكامل مغطاة من أولها لآخرها بالأخضر المدهام. معظم الأشجار كانت من خشب البتولا الأبيض، أشجار متباعدة من الصنوبر والراتينج والقيقب. أشجار الصنوبر حمراء، جذوعها طويلة ومستقيمة، في حين فروع الأشجار من خشب البتولا الأبيض ومنحنية للأسفل. لم يكن أي من ذلك التنوع في اليابان. كان في المنتصف مجموعة صغيرة من

أشجار التبغ عريضة الأوراق. حلقت طيور بأجنحتها الكبيرة، بشكل دائري وببطء في الهواء، باحثة عن فريسة. سقف البيت الريفي أومض بالصدفة. كانت كل المزارع واسعة، وفيها ماشية تأكل العشب خلف الأسيجة المائلة، وتصدر رنيناً لطيفاً. والعشب قد جزّته الآلة، ولفته في حزمة كبيرة.

وصل إلى هامينلينا قبل الظهر. صفّ تسوكورو سيارته في مصف السيارات وتمشى حول المدينة خمس عشرة دقيقة، ثم ذهب إلى مقهى مواجه للساحة الرئيسة، شرب القهوة مع الكرواسون. كان الكرواسون حلواً لكن القهوة كانت قوية ولذيذة. كانت السماء في هامينلينا مشابهة لهلسنكي، تخفيها طبقة رقيقة من الغيوم، الشمس برتقالية، مغبشة، مظللة، مرتفعة، في منتصف السماء. الهواء الذي يعصف عبر مربع المدينة حار بعض الشيء، وكان هو قد تغطى بسترة رقيقة فوق قميص البولو.

كان من الصعب أن تجد سياحاً في هامينلينا، هناك فقط أناس يرتدون ملابسهم التقليدية، يحملون أكياس التسوق، يسيرون في الشارع. حتى أن معظم المتاجر في الشارع الرئيس لديها مؤن ونثريات، ذلك النوع من المتاجر الذي يقدم الطعام للسكان المحليين أو لمن يسكن في الأكواخ الصيفية. وهناك على الناحية الأخرى من المربع كنيسة واسعة، ببناء قصير وسقف أخضر دائري. رفرف سرب من الطيور السوداء بنشاط من وإلى سقف الكنيسة كأمواج في البحر، وتجولت على الحصى في المربع نوارس بيضاء، عيونها لا تضيّع شيئاً.

وعلى جانب الساحة خط من العربات تبيع الخضراوات والفواكه، اشترى تسوكورو منها كيس كرز وجلس على المقعد وأخذ يأكل. ووهو يفعل ذلك مرت فتاتان صغيرتان بحدود العاشرة أو الحادية عشرة من عمرهما ونظرتا إليه من بعيد. ربما لا يزور المدينة الكثير من الآسيويين. كانت إحداهما طويلة وجسمها هزيل، بشرتها بيضاء

شاحبة، الأخرى سمراء ومنمشة، وكلتاهما تربط شعرها بجديلة. ابتسم تسوكورو لهما.

كنوارس حذرة، باحتراس اقتربت الفتاتان.

"هل أنت صيني؟" سألت الفتاة الطويلة بالإنجليزية.

"أنا ياباني" رد تسوكورو. "هي قريبة ولكنها مختلفة".

لم يبد على الفتاتان أنهما فهمتا قصده.

"هل أنتما روسيتان؟". سأل تسوكورو.

هزتا رأسهما بشدة.

"نحن من فنلندا" قالت الفتاة المنمشة بتعبير جدي.

"إنه الشيء ذاته" قال تسوكورو. "قريب ولكنه مختلف".

أومأت الفتاتان.

"ماذا تفعل هنا؟" سألت الفتاة المنمشة، كأنها تجرب تركيب الجملة بالإنجليزية. ربما كانت تدرس الإنجليزية في المدرسة وأرادت أن تجربها مع أجنبي.

"أتيت إلى هنا لأقابل صديقاً". قال تسوكورو.

"كم ساعةً استغرقت الرحلة إلى هنا من اليابان؟". سألت الفتاة الطويلة.

"قرابة إحدى عشرة ساعة بالطائرة" قال تسوكورو. "وخلال ذلك الوقت تناولت وجبتين وشاهدت فيلماً واحداً".

"أي فيلم؟".

."Die Hard 12"

بدا أنه أقنعهما. انسلتا تمسك إحداهما يد الأخرى من الساحة، تنورتاهما ترفرفان كأغصان صغيرة جافة تحركها الرياح، لا تترك خلفها أي انعكاسات أو نكات عن الحياة. اطمأن تسوكورو وعاد يأكل الكرز.

كانت الواحدة والنصف عندما وصل تسوكورو إلى كوخ هامينلينا الصيفي. تبين له أن الأمر ليس بتلك السهولة التي توقعتها أولجا. كان الطريق المؤدي إلى الكوخ بالكاد يسمى شارعاً. لو لم يمر بجانبه رجل لطيف كبير في السن كان من الممكن أن يظل تسوكورو هائماً إلى الأبد.

أوقف سيارته على جانب الشارع وبيده خريطة جوجل، لم يكن واثقاً كيف سيكمل الطريق، وقف رجل عجوز، صغير الحجم، بدراجته ليقدم له المساعدة. كان الرجل يرتدي ملابس بالية مع قبعة، وزوجا حذاء طويل من المطاط. برز من أذنيه شعر أبيض، وكانت عيناه محتقنتين بالدم. بدا كأنه ساخط من شيء. أظهر له تسوكورو الخريطة، وقال إنه يبحث عن كوخ آل هاتينن.

"إنه قريب.سأريك إياه". تكلم الرجل أولاً بالألمانية ثم بالإنجليزية. ركن دراجته الثقيلة بجانب شجرة، ودون أن ينتظر رداً زرع نفسه في كرسي سيارة الجولف. أشار بأصابعه الصلبة -كبقايا غصن مكسور لشجرة قديمة- على الطريق الذي على تسوكورو أن يأخذه. ظهر بجانب البحيرة شارع غير مرصوف يتجه داخل الغابة. كان أثراً مرسوماً أكثر منه شارعاً، من عجلات الشاحنات. نما عشب أخضر بوفرة بين الطريقين، وبعد مضي بعض الوقت أصبح هذا الطريق متفرعاً، وكانت هناك عند التقاطع لافتات مثبتة على الشجرة، اللافتة التي على اليمين تقول هاتينن.

اتجها في الطريق الأيمن، وأصبح تدريجيًا مسافة مفتوحة. كانت البحيرة مرئية عبر جذوع أخشاب البتول البيضاء. وثمة رصيف صغير مربوط فيه قارب بلون الخردل -قارب صيد صغير، وبجانبه كوخ دافئ

من الخشب محاط بمجموعة أشجار، وتبرز من السقف مدخنة من القرميد، وبجانب الكوخ تركن سيارة رينوت بيضاء.

"إنه كوخ آل هايتنن" قال الرجل العجوز بصوت رخيم ومهيب، كأحد ما يريد الخروج في عاصفة ثلجية ويتأكد من أن معطفه مغلق على جسده جيداً، ثم بصق كتلة من البلغم على الأرض، بلغم قاسٍ كالصخرة.

شكره تسوكورو. "دعني أرجعك إلى المكان الذي ركنت فيه دراجتك. أعلم كيف أصل إلى هنا الآن".

"لا، لا حاجة لذلك"، قال الرجل العجوز بصوت بدا عليه الغضب. في الأقل هذا ما تخيله تسوكورو يقول. لم يفهم الكلمات، لم يبدُ من صوتها أنها بالفنلندية. وقبل أن يسلم تسوكورو عليه خرج العجوز ومشى، كأنه جريم ريبر وقد أظهر لشخص ميت الطريق إلى هيدز دون أن يلتفت وراءه.

جلس تسوكورو في الجولف، صفّها على العشب بجانب الطريق وراقب العجوز وهو يمشي، ثم خرج من السيارة وأخذ نفساً عميقاً. كان الهواء أنقى مما هو في هلسنكي، كأنه قد صُنع للتو. هز نسيم لطيف أشجار البتولا البيضاء، وأحدث القارب صخباً عندما اصطدم بالرصيف، أصدرت الطيور صوتاً في مكان ما، بنداءات واضحة وموجزة.

حدّق تسوكورو إلى ساعته. هل أنهوا غداءهم؟ تردد في الأمر، لكنه قرر مع عدم وجود شيء يفعله أنه الوقت لزيارة آل هاتينن. سار مباشرة باتجاه الكوخ، يدوس العشب الصيفي كما يرغب. كان على الشرفة كلب وهو يغفو. وقف وحدّق إليه، كلب صغير بني، شعره طويل. نبح قليلاً. لم يكن مربوطاً، لكن النباح لم يكن مهدِّداً، لذا أكمل تسوكورو طريقه.

فتح رجل الباب، ربما من تنبيه الكلب، وطل قبل أن يصل تسوكورو. للرجل لحية مكتملة، شقراء غامقة، يبدو عليه أنه في

منتصف الأربعينيات. طوله معتدل، ورقبته طويلة، وكتفاه بارزتان كثيراً كجلاّد عملاق. شعره بنفس لون لحيته- أشقر غامق ومتشابك، وأذناه بارزتان إلى الخارج، يرتدي قميصاً ذا أكمام قصيرة مرسوم عليه مربعات، ويلبس الجينز. نظر إلى تسوكورو عندما وصل ويده اليسرى على المقبض. أشار إلى الكلب بإصبعه حتى يوقف النباح.

"مرحبا" قال تسوكورو بالإنجليزية.

"كونيشتي وا" رد الرجل باليابانية.

"كونيتشي وا" رد تسوكورو باليابانية "هل هذا منزل هاتينن؟".

"إنه كذلك، أنا هاتينن، إدوارد هاتينن" رد الرجل بيابانية طليقة.

وصل إلى درج المدخل وأخرج يده. أخرج الرجل يده وتصافحا.

"اسمي تسوكورو تازاكي".

"هل هي تسوكورو التي تعني أن تصنع أشياء؟".

"نعم، هي نفسها".

ابتسم الرجل. "أنا أصنع أشياء أيضاً".

"هذا جيد" رد تسوكورو. "أنا أفعل ذلك أيضاً".

جاء الكلب يركض، وحك رأسه بساق الرجل، ثم فعل ذات الأمر مع تسوكورو كأنه ليس هناك شيء ليخسره. إنها طريقة للترحيب بالناس بلا شك. لمس تسوكورو الكلب وملّس رأسه.

"ما نوع الأشياء التي تصنها سيد تازاكي؟".

"أبني محطات قطار" قال تسوكورو.

"فهمت. هل تعلم أن أول محطة قطار في فنلندا قد بدأت تعمل بين هلسنكي وهامينلينا؟ لهذا السبب يفتخر الناس هنا بمحطتهم. وزاد على

فخرهم أنها المكان الذي ولد فيه جين سايبلياس. لقد أتيت إلى المكان الصحيح".

"حقاً؟ لم أكن أعلم بذلك. ماذا تصنع يا إدوارد؟".

"الفخار" رد إدوارد. "مجال صغير جداً مقارنة بمحطات القطار. لماذا لا تدخل سيد تازاكي؟".

"ألا أزعجك؟".

"أبداً"، قال إدوارد. وفتح ذراعيه باتساع. "نحن نرحب بأي أحد هنا. الأشخاص الذين يصنعون الأشياء كلهم زملائي. هم أناس مرحب بهم".

لم يكن أحد آخر في الكوخ. على الطاولة فنجان قهوة وكتاب جيب باللغة الفنلندية قد ترك مفتوحاً. يبدو أنه كان يستمتع بفنجان قهوة ما بعد الغداء ويقرأ. أخذ تسوكورو إلى المقعد وجلس مقابله. وضع المؤشر في كتابه، وأغلقه، ثم أزاحه جانباً.

هل ترغب ببعض القهوة؟".

"نعم أشكرك" قال تسوكورو.

ذهب إدوارد إلى آلة صنع القهوة، سكب قهوة مغلية إلى الكأس ودفعها أمام تسوكورو.

هل تريد السكر أو الكريمة؟".

"لا، إذا كانت سوداء فهذا جيد". قال تسوكورو.

كان الكوب الملون باللون الكريمي مصنوعاً يدوياً، شكله غريب بيد مزخرفة لكنها سهلة الحمل، وبها شعور حميم مألوف، كدفء عائلة في مزحة.

"ابنتي الكبيرة من صنعت هذا الكوب" قال إدوارد مبتسماً بفخر. "وأنا بالطبع من أشعله بالفرن".

كان لون عينيه رمادياً فاتحاً، متناسباً جداً مع شعره الأشقر ولحيته الشقراء ذي اللون الغامق. وشعر تسوكورو بميل فوري باتجاهه. بدا إدوارد أنه مناسب للغابة وحافة البحيرة أكثر من أن يعيش في المدينة.

"متأكد أنك جئت إلى هنا لأنك بحاجة إن ترى إري" سأل إدوارد.

"هذا صحيح، أتيت لرؤية إري. هل هي هنا الآن؟" قال تسوكورو.

أومأ إدوارد.

"أخذت الفتاتين في نزهة بعد الغداء، ربما عند البحيرة. هناك طريق رائع. يسبقهن الكلب في العادة بالعودة إلى البيت، لذلك سيعدن باكراً".

"لغتك اليابانية جيدة حقاً" قال تسوكورو.

"لقد عشت في اليابان خمس سنوات. في جيفو وناغويا. أدرس صناعة الفخار الياباني، إذا لم تتعلم اليابانية فإنك لا تستطيع فعل شيء".

"وهناك التقيت بإري".

ضحك إدوارد داخله "هذا صحيح، وقعت في حبها فوراً. لقد أقمنا حفل زفافنا قبل ثماني سنوات في ناغويا، ثم انتقلنا إلى فنلندا. أتفرغ لصناعة الفخار. عملت مدة قصيرة قبل أن أعود إلى فنلندا في شركة عربية مصممَ أزياء، لكني حتماً أريد أن أعمل لصالحي، لذلك قررت قبل سنتين أن أقصد العمل الحر. أدرس أيضاً في كلية في هلسنكي، يومين في الأسبوع".

"هل تقضي كل أوقات الصيف هنا؟".

"نعم، نحن نعيش هنا منذ بداية جولاي إلى منتصف آب. هناك ستوديو قريب، أتشاركه مع أصدقائي. أعمل هناك منذ الصباح الباكر،

وأعود دائماً إلى هنا لتناول الغداء. وأغلب أوقات العصر أقضيه مع عائلتي، نتمشى، نقرأ، وفي بعض الأحيان نذهب للصيد".

"المكان جميل هنا".

ابتسم إدوارد بفرح. "شكراً لك. إنه هادئ جداً، وأستطيع أن أنجز فيه أعمالاً كثيرة. نحن نعيش حياة يسيرة. الفتاتان تحبانه أيضاً، تستمتعان في قضاء وقتهما في الخارج. هناك رف خشبي يمتد من الأرض إلى السقف، على طول أحد الجدران البيضاء المزخرفة، مصفوف عليه فخار، من الواضح أنه من صنعه بنفسه، وهو الديكور الوحيد في الغرفة. وقد علقت على جدار آخر ساعة دائرية عادية، وسماعات مدمجة، ومجموعة من الأقراص المدمجة، وخزانة قديمة مصنوعة من الخشب القاسي.

"قرابة 30% من قطع الفخار الموضوعة على تلك الرفوف من صنع إري" قال إدوارد. بدا عليه الفخر. "إن لديها موهبة طبيعية. شيء ما فطري، ويظهر في الفخار. تبيع ما تصنعه في بعض المتاجر في هلسنكي، وبعض الفخار الذي من صناعتها هو أكثر شهرة مما أصنعه".

كان تسوكورو متفاجئاً بعض الشيء. إنها المرة الأولى التي يسمع أن كورو مهتمة بصناعة الفخار. "لم أكن أعلم أنها مهتمة بصناعة الفخار"، قال.

"لقد اهتمت بهذا الأمر بعد أن أتمت العشرين من عمرها، وعادت إلى المدرسة بعد أن تخرجت في الكلية- كلية الفنون، في قسم الفنون الصناعية".

"هل هذا صحيح؟ إنني أعرفها منذ كانت في سن المراهقة".

"أنت صديق من المدرسة الثانوية؟".

"نعم".

"تسوكورو تازاكي" أعاد إدوارد الاسم ثم عبس باحثاً في ذاكرته.

"أتـعلم؟ أتـذكـر إري وهـي تتحـدث عنك. لـقد كـنتما عـضويـن فـي المجموعة الجيدة تلك المكونة من خمسة أصدقاء. هل هذا صحيح؟".

"نعم، هذا صحيح" نحن منتميان إلى مجموعة".

"حضر ثلاثة من المجموعة حفل زفافنا في ناغويا، أكا، شيرو، وأو. أعتقد أن هذه هي أسماؤهم. أشخاص ملونون".

"نعم، هذا صحيح". قال تسكورو. " لم أكن قادراً -من سوء حظي- على حضور الحفل"

"لكنا الآن قادرين على لقاء بعضنا مثل هذه اللقاء" قال ذلك مع ابتسامة دافئة. ارتعشت لحيته الطويلة في ذقنه كاشتعال حميمي للّهب في مخيم كشفي. "هل أتيت إلى فنلندا في رحلة سيد تازاكي؟".

"نعم" رد تسوكورو. الإفصاح عن الحقيقة يتطلب وقتاً. قمت برحلة إلى هلسنكي ورأيت أن أذهب في رحلة جانبية وأرى إري. حيث إنني لم أرها منذ زمن بعيد. أعتذر، لم أستطع التواصل معها قبل وقت محدد. آمل أن لا أكون قد ضايقتك".

"لا، أبداً. لقد قطعت كل هذه المسافة. ونحن سعداء بك. من حسن الحظ أنني بقيت في البيت. أعلم أن إري ستكون سعيدة جداً برؤيتك".

آمل أن تكون محقاً. تحدث تسوكورو مع نفسه.

"هل تسمح لي أن أطلع على عملك؟" قال تسوكورو وهو يشير إلى الفخار الموضوع على الرفوف.

"بالطبع، خذ حريتك في لمس أي منها. عملي وعملها مختلطان معاً. لكني على يقين بأنك ستميز أعمالي عن أعمالها دون أن أخبرك".

سار تسوكورو باتجاه الرف المعلق على الجدار وتأمل الفخار قطعة قطعة. كان معظمه متعلق بالطعام، صحون وزبادي وفناجين. وهناك أيضاً مجموعة من الفازات والجرار.

كما قال إدوارد، استطاع تسوكورو التفريق بين أعماله وأعمال إري من النظرة. الأشياء التي بملمس ناعم وبألوان بلاستية هي لإدوارد. الألوان هنا وهناك على السطح كانت أكثر انطفاء أو أكثر إضاءة، هناك ظل باهت كهبوب الريح أو تدفق الماء. ليس لأي قطعة أي تصميم مضاف. التغيير في الألوان وحده هو الأسلوب، مع أن تسوكورو مبتدئ تماماً فيما يتعلق بالفخار لكنه كان سيقول أن ألواناً مثل هذه تتطلب درجة عالية من المهارة التقنية. في القطع غياب متعمد لأي ديكور خارجي، ولأي إحساس لبق ورقيق. وبالأساس تكشف البساطة عند سكان أوروبا الشمالية التأثر الواضح بصناعة الفخار اليابانية. للقطع أيضاً وبصورة غير متوقعة من الرقة ما يكفي لجعله يمسكه، ويحس أنه طبيعي وصحيح بيديه. يولي إدوارد عناية شديدة بالتفاصيل وهذا النوع من العمل الذي يستطيع الحرفي البارع وحده إنجازه. لم يكن يستطيع أن يظهر هذا النوع من المواهب في عمله في شركة كبيرة تتعامل مع منتجات واسعة.

بالمقارنة مع أسلوب إدوارد، فإن قطع إري كانت أكثر بساطة، ويصعب أن تجاري الإتقان النهائي الدقيق لابتكارات زوجها. إلا أن هناك شعورًا جسديًا وخصباً تجاه قطعها. الحواف ملتوية جداً وتفتقر إلى أي جمال مركز ودقيق. لكن لديها دفء غير طبيعي يفضي إحساساً بالارتياح والسكينة. تضيف التناقضات الخفيفة والملمس القاسي شعورًا كبيراً بالهدوء، كشعورك وأنت تلمس قطعة من الطبيعة، أو كأن تجلس على شرفة تتأمل الغيوم وهي تتحرك.

على عكس أعمال زوجها. يتميز الفخار الذي تصنعه إري بالتنوع، كالأوراق وهي تتساقط مع هبوب الرياح. وفي بعض الحالات يتبعثر

التصميم فوق الخزف، وفي أخرى يجتمع في بقعة واحدة، وحسب كيفية بناء التصميم تكون القطع حزينة أو ذكية أو حتى صارخة. تذكّر التصاميم المتقنة تسوكورو بنماذج أنيقة على كيمونو القديمة. حدق إلى كل قطعة محاولاً حل شيفرة كل تصميم لكنه لم يعرف ما ترمز إليه الصور. إنها أشكال غريبة لا مثيل لها. من مسافة يسيرة أعاقت طريقه، كما تفعل الأوراق حين تتناثر على أرض الغابة. تسحق الأوراق بواسطة حيوانات مجهولة، حيوانات مخيفة جداً، تسير في طريقها بين الأخشاب.

في قطع إري -على خلاف قطع زوجها- اللون هو ببساطة ستار خلفي، وظيفته هي إظهار التصميم، إعطائه الحياة. تلعب الألوان بلطف وصمت مؤثر دور خلفية للتصميم ذاته.

التقط تسوكورو قطعة من صنع إدوارد وبعده قطعة من صنع أري ثم قارنهما. يجب أن يعيش هذا الثنائي في توازن جميل في الحياة أيضاً. التناقض السار في ابتكاراتهما الفنية توحي بذلك. أسلوبهما مختلف، لكن يبدو عليهما أنهما يتقبلان طبيعة بعضهما المميزة.

"بما أنني زوجها فليس لي الحق أن أمدح عملها بدرجة كبيرة" قال إدوارد، وهو ينظر إلى انفعال تسوكورو. "ماذا تقول عنه في اليابانية؟ تحيز؟ هل هي الكلمة الصحيحة؟".

ابتسم تسوكورو، لكنه لم يقل شيئاً.

"لا أقول ذلك لأننا متزوجان، لكنني حقاً أحب عمل إري. هناك الكثير من الناس في العالم من يستطيع صنع فخار أفضل وأجمل. لكن الفخار الذي تصنعه ليس ضيقاً في أي طريقة. إنك تشعر بسخاء مليء بالعاطفة. أتمنى أن أستطيع توضيح ذلك بشكل أفضل".

"أفهم بالضبط ما تريد قوله"، قال تسوكورو.

"أظن أن شيئاً مثل هذا يأتي من الجنة" قال إدوارد مشيراً إلى السقف. "إنها موهبة. ولا أشك أنها تزداد مهارة مع الوقت. ما زال لإري متسع كبير لتكبر".

توقف الكلب في الخارج توقفاً مميزاً ومحبباً.

"لقد عادت إري والفتاتان" قال إدوارد، وهو ينظر إلى ذلك الاتجاه. وقف، ثم سار باتجاه البوابة.

أعاد تسوكورو بحذر الفخارة التي صنعتها إري إلى الرف هناك، منتظراً إياها أن تصل.

الفصل السادس عشر.

عندما ميّزت كورو تسوكورو لأول مرة، بدت كما لو أنها لم تستطع إدراك ما كان يجري. تلاشت الملامح من وجهها واكتساه منظر خالٍ من أي تعبير. رفعت نظارتها إلى رأسها وحدّقت إلى تسوكورو دون أن تنبس ببنت شفة. كانت قد خرجت في نزهة ما بعد الغداء مع ابنيتها، لتعود وتلفي نفسها قبالة رجل، رجل ياباني كما يوحي مظهره، يقف بجوار زوجها. وجه لم تميزه. كانت تمسك يد ابنتها الصغرى، ذات الأعوام الثلاثة تقريبا، وتقف إلى جنبها ابنتها الأخرى، أكبر من أختها بعامين أو ثلاثة، في ثوبين متشابهين بنقشات زهور. كان الباب ما يزال مشرعا، ونبح الكلب في الخارج مصدرًا ضوضاء. أخرج إدوارد رأسه وزجرَ الكلب بزعقة سريعة؛ توقف الكلب عن النباح بُعيدها وربض تحت المظلَّة. وقفت الفتاتان، مثل أمهما، صامتتين، وتحدقان إلى تسوكورو. لم تبدُ كورو مختلفة كثيرًا منذ آخر مرة رآها فيها، قبل ستِّ عشرة سنة. تراجعت كل السحنة الرقيقة التي كستها في سنوات مراهقتها، ومُلأت الآن بسحنة أكثر استقامةً وتعبيرًا. كانت دائما قوية وصارمة لكنَّ عينيها الراكدتين والصافيتين بدتا أكثر استبطانا. من المؤكد أنَّ هذين العينان قد رأتا الكثير من الأشياء عبر السنوات، أشياءَ بقيت عالقة في قلبها. كانت شفتاها مزمومتين، وجبهتها وخداها مسفوعين ونضرين. شعرٌ أسودَ ينسدل مستقيمًا على كتفيها، وخصلة جبتها مثبتة إلى الخلف بمِشبك. بدا ثدياها أكثر امتلاءً من قبل تحت ثوبٍ ثوب قطني عادي أزرقَ اللون، ويغطي شال أبيضَ اللون كتفيها، وتنتعل حذائي تنس أبيضي اللون. التفت كورو إلى زوجها كما لو أنها تسأله توضيحًا لكن إدوارد التزم الصمت، وهزَّ رأسه هزةً يسيرة فحسب. أعادت بصرها تُجاه تسوكورو، وعَضَّت برفق شفتها. رأى تسوكورو قُبالته الآن جسدًا سليمًا لامرأة سلكت مسارًا مختلفًا كل الاختلاف عن المسار الذي اتخذه. ينظر إليها الآن، الثقل الحقيقي للسنوات الست عشرة الذي ارتطمَ به

فجأة وبشدة. ثمة بعض الأشياء، تمكّن من استنتاجها، والتي لا يُعبَّر عنها إلا عبر هيئة امرأة. عندما حدّقت كورو إليه؛ توتر وجهها قليلا، وارتعشت شفتاها كما لو أنَّ ماءً ترقرق فوقهما، وناف أحد طرفي فمها. ظهرت على وجنتها اليمنى غمازة صغيرة- ليست غمازة فعلًا بل كآبة سطحية كست وجهها مع مرارة باشّة. تذكَّر تسوكورو هذا التعبير جيدا، التعبير الذي يعتلي وجهها قبل أن تتفوه بملاحظة ساخرة، لكنها لم تكُ تنوي الآن قول أي شيء ساخر. كانت تحاول أن تقرّب إليها الافتراض البعيد فحسب.

"تسوكورو؟". قالت أخيرًا مانحة الافتراض اسمًا.

أومأ تسوكورو.

بادرت أول الأمر إلى سحب ابنتيها إليها كما لو كانت تحميهم من خَطَرٍ مُحدق. ما يزال وجه البنت الصغرى ذات الشعر الأسود مرفوعا تُجاه تسوكورو، وملتصقة بساق أمها. وقفت البنت الكبرى ثابتة ومنفصلة عنها بعض الشيء، وذهب إدوارد إليها ومسّد برفقٍ على شعرها الأشقر الغامق. وقف خمستهم في ذاك الموقف لوهلة، دون أن يقولوا كلمة. ربّت إدوارد على شعر ابنته الأشقر الغامق، وبقيت ذراع كورو تحيط بكتف ابنتها ذات الشعر الأسود، في حين كان تسوكورو يقف وحيدًا على الطرف الآخر للطاولة، كما لو كانوا جميعا يشكلون لوحة بهذا الترتيب. والشخصية المركزية في كل هذا هي كورو. كورو، أو بالأحرى جسدها، قلبُ هذه اللوحة الحيّة التي كانوا يؤطرونها.

بادرت كورو بالحركة وتركت ابنتها الصغرى تذهب، ثم نزعت النظارة من جبهتها وألقتها على الطاولة. التقطت فنجان زوجها الذي كان يشرب به وأخذت جرعة من ثمالة قهوة باردة. امتقع وجهها كما لو أنها لا تملك أي فكرة عن الذي شربته لتوها.

"هل أعدُّ لك بعض القهوة؟" سألها زوجها باليابانية.

”من فضلك“ قالت كورو، دون أن تنظر إليه، ثم قعدت بجوار الطاولة.

اتَّجه إدوارد إلى آلة صنع القهوة وشغّلها لتسخين القهوة. قعدت الفتاتان بجوار بعضهما على المصطبة الخشبية بالقرب من النافذة اِتِّباعًا لفعل أمهما، ثم حدقتا إلى تسوكورو.

”هل هذا فعلًا أنت؟“ سألت كورو بصوت خفيض.

”بشحمه ولحمه؟“ ردَّ تسوكورو.

ضيَّقت كورو عينيها، وأمعنت النظر به.

”تبدين كما لو رأيتِ شبحًا؟“ قال تسوكورو. كان يقصدها مزحة على الرغم أنها لم تكن كذلك.

”تبدو مختلفًا جدًا“ قالت كورو بنبرة جافة.

”يقول هذا كل شخص لم يرني منذ مدة“.

”أنت نحيف جدا، ومسن جدا“.

”ربما لأني مسنٌ“ قال تسوكورو.

”أعتقد هذا“ قالت كورو.

”لكنكِ بالكاد تغيَّرت“.

منحته هزّة من رأسها دون أن تجيب.

عاد زوجها مع فنجان قهوة ووضعه فوق الطاولة. فنجان صغير، صنعته بنفسها. وضعت ملعقة مملوءة بالسكر وخفقتها، وارتشفت بحذر من قهوتها الساخنة.

”سآخذ الأطفال إلى المدينة“ قال إدوارد بابتهاج ”نحن بحاجة إلى بعض البقالة، وعليَّ أن أملأ السيارة بالبنزين“.

نظرت كورو إليه وأومأت.

”حسنًا، شكرًا“ قالت.

”تريدين شيئًا آخر؟“ سأل زوجته.

هزّت بصمت رأسها.

وضع إدوارد محفظته في جيبه، وأخذ المفاتيح من الجدار حيث كانت معلَّقة، وقال بعدها شيئًا ما لابنتيه.

التمعت أعين الفتاتين ووثبتا من المصطبة. تناهى إلى سمع تسوكورو كلمة "مثلّجات".

اعتاد إدوارد أن يعد الفتاتين أن يشتري لهما المثلّجات في كل مرة يذهبون للتسوق. وقف تسوكورو وكور في الردهة يراقبان إدوارد والفتاتين يصعدان إلى شاحنة رينو الصغيرة. فتح إدوارد بابي الشاحنة الخلفيين، وأطلق صفيرًا قصيرًا جرى الكلب بحماس نحو الشاحنة وقفز إلى داخلها. أبان إدوارد نفسه وهو جالس خلف المقوّد ولوَّح، ثم اختفت الشاحنة البيضاء خلف الأشجار. وقف تسوكورو وكورو هناك، وراقبا آخر بقعة كانت فيها الشاحنة.

”هل قدت هذه الغولف؟“ سألت كورو وأشارت إلى سيارة ذات لون أزرق بحري مركونة في الطريق.

”نعم. من هلسنكي“.

”لماذا قطعت كل هذا الطريق من هلسنكي؟“.

”أتيتُ لرؤيتك“.

ضاقت عينا كورو، وحدقت إليه كما لو كانت تحاول فهم رسمٍ بياني معقد.

”قطعتَ كل هذا الطريق إلى فنلندا لتراني؟ لتراني فقط؟“.

”هذا كل ما في الأمر“.

”بعد ستِّ عشرة سنة بدون أي كلمة؟“ سألته مذهولة.

’’في الواقع، إنها حبيبتي من طلبت مني أن آتي. قالت حان الوقت لأراك مجددًا‘‘.

تحركت شفتا كورو بذات الانحناءة المألوفة. وبدا صوتها الآن نصف هازئ.

’’فهمت. حبيبتك أخبرتك أن الوقت حان لتراني، لذا فقد ركبت طائرة من ناريتا وطرتَ كل المسافة إلى فنلندا. بدون أن تتواصل معي، وبلا ضمان أني سأكون هنا‘‘.

كان تسوكورو صامتا.

تأرجح القارب قرب رصيف البحيرة مرتطمًا به على الرغم أن الريحُ ليست قوية كثيرا، وانتشرت موجاتٌ في البحيرة فحسب.

’’اعتقدتُ لو أني تواصلت معكِ قبل أن آتي لربما رفضتِ رؤيتي‘‘.

’’كيف أمكنكَ قول هذا؟‘‘ قالت كورو مندهشة. ’’بالله عليك، نحن أصدقاء‘‘.

’’اعتدنا هذا، لكني لم أعد متأكدًا من الأمر‘‘.

حدقت كورو إلى الأشجار بالقرب من البحيرة وتنهدت نهدةً صامتة.

’’ستمرُّ ساعاتٌ حتى يعودوا من المدينة، دعنا نستغلها في الحديث‘‘.

دخلا بعدها وجلسا متقابلين على جانبي الطاولة. خلعت كورو المشبك وانسدلت خصلاتها على ناصيتها، وبدت الآن تشبه أكثر كورو التي تذكرها.

”الأمر الوحيد الذي أحب أن تفعله“ قالت كورو ”لا تنادني بكورو بعد. أفضل أن تنادني بـ إري. ولا تُشِر إلى يوزوكي بـ شيرو. إن أمكنك هذا، لا أريد أن تطلق هذه الأسماء على كلينا بعد“.

”هل انتهت هذه الأسماء“.

أومأت.

”لكنك لا تمانعين إن بقيتِ تناديني تسوكورو؟“.

”أنت دائما تسوكورو“ قالت إري وضحكت بهدوء.”إذن، لا أمانع. التسوكورو الذي يصنعُ أشياءَ، عديم اللون تسوكورو تازاكي“.

”ذهبتُ في شهر أيار إلى ناغويا ورأيت أُو وأكا، واحدًا تلو الآخر“ قال تسوكورو ”هل تمانعين لو نطقت بهذين الاسمين؟“.

”لا بأس. أريدك فقط أن تستخدم يوزو، واسمي الحقيقي“.

”رأيتهما على حدة، وتحدثنا. لكن ليس مدة طويلة رغم ذلك“.

”هل كلاهما بخير؟“.

”يبدو ذلك“ قال تسوكورو ”وعملهما على خير ما يرام أيضا. في ناغويا القديمة الطيبة، أُو مشغول ببيع سيارات لكزس، واحدة تلو الأخرى، وأكا في شركة تأهيل موظفين. هذا كل ما في الأمر“.

”وماذا عنك أنت؟ هل عملت بجد حتى تمضي قدما في الحياة؟“.

”نعم، لقد فعلت“ قال تسوكورو ”عملتُ في شركة سكك قطار في طوكيو وبناء المحطات“.

”أتدري، لقد سمعتُ بذلك لكن ليس منذ مدة طويلة جدًا. تسوكورو تازاكي ذاك مشغولٌ في بناء المحطات في طوكيو“ قالت إري ”ولقد حظي بحبيبة ذكية جدا“.

”حتى أتمَّ بعض الأمور“.

”أما زلت أعزب؟“.

”بلى“.

”أنجزتَ الأمور دائما بطريقتك الخاصة“.

كان تسوكورو صامتًا.

”عمَّا تحدث عندما التقيتَ بهما في ناغويا؟“ سألت إري.

”تحدثنا عن الأمور التي جرت بيننا“ قال تسوكورو ”عما حدث قبل ستِّ عشرة سنة، وما حدث في السنوات الستِّ عشرة التي أعقبتها“.

”هل كان لقاءك بهما أيضا، ربما شيء ما أخبرتك حبيبتك أن تفعله؟“.

أومأ تسوكورو.

”قالت إن هناك أمورًا يجب عليَّ حلَّها. يتوجب أن أكرر زيارة الماضي. وإلا فإني لن أتحرر منه أبدًا“.

”تعتقد حبيبتك بأنك تملك بعض المسائل التي تحتاج أن تحلها“.

”هي كذلك“.

”وتعتقد أيضا أن هذه المسائل تدمر علاقتك“.

”نعم، تقريبا“.

أمسكت إري فنجان القهوة بكلتا يديها لتقيس حرارته وأخذت رشفة أخرى منه.

”كم تبلغ من السن؟“.

”أكبر مني بسنتين“.

أومأت إري.

”أرى أنك على انسجام مع امرأة أسنَّ منك“.

"ربما ذلك".

كانا صامتين لبرهة.

"هناك العديد من الأمور التي علينا التعامل معها في الحياة" قالت إري أخيرا "ويبدو أن أحدها مرتبط دائما بالآخر. تحاولُ أن تجد حلًا لمشكلة، لتلفى نفسك في مواجهة أخرى لم تتوقع أن تبزغ قُبالتك بدلًا من الأولى. ليس من السهل أن تتحرر منها جميعا. الأمر كذلك لك، ولي أيضا".

"أنتِ محقة، ليس من السهل التحرر منها. لكن هذا لا يعني أن نتركها معلَّقة، وغير محلولة" قال تسوكورو "بإمكانك أن تضع ستارة على الذاكرة لكن ليس بإمكانك أن تخفي ما جرى. هذا ما تقوله حبيبتي".

وقفت إري، وذهبت إلى النافذة، فتحتها ثم عادت إلى الطاولة. حرّك النسيم الستارة، وصفعَ القارب بشكل متقطع رصيف البحيرة. خلّلت شعرها ساحبةً إياه إلى الخلف بأصابعها، ثم أراحت يديها على سطح الطاولة ونظرت إلى تسوكورو ثم تحدثت. "قد يكون هناك ستائر شددتها لكنك لم تعد قادرًا على الشد أكثر".

"لا أحاول أن أشدَّ أي شيء. وليس هذا ما أحاول القيام به. لكن في أود أن أرى بعينيَّ أي نوع من الستائر هي". حدّقت إري إلى يديها فوق الطاولة. كانتا أكبر، وأكثر امتلاءً مما يتذكر تسوكورو. أصابعٌ طويلة وأظافر قصيرة. التقط بؤبؤاه صورة لهاتين اليدين وهما يديران عجلة الخزَّاف.

"قلتِ إني أبدو مختلفًا جدًا" قال تسوكورو. "أعتقد أيضًا أني تغيرتُ. قبل ستِّ عشرة سنة، بعد أن طردتني من المجموعة، فكل ما يمكنني أن أفكر به في الشهور الخمسة بعدها هو موتي. الموت ولا شيء آخر. لا أبالغ أو أي شيء من هذا القبيل، لكني حقًا كنت أكابد على

شفا حفر. أقف على الحافة، أحدق إلى الأسفل نحو الهاوية، وعاجز عن صرف نظري بعيدا. وبطريقة ما، كنت قادرًا على شق درب العودة إلى العالم الذي قدمتُ منه، إلا أنني لم أكن لأتفاجأ لو أني متُّ فعلًا بعدها. ألمَّ بي شيءٌ ولم أكن على ما يرام- أعني عقليًا. لا أعلم ما الذي قد يكونه التشخيص الصحيح، القلق أو الكآبة. شيء من هذا. لكنَّ أمرًا ما كان بلا ريب غير طبيعي، ومع ذلك لم تكن الحالة توحي بأني مشوش البال. كان عقلي صافيًا تمامًا، هادئًا جدًا وبلا اتزان بالمرَّة. حالة غريبة جدًا، وأعتقد أني أعود إليها الآن".

حدق تسوكورو إلى يدي إري الصامتتين واستمرَّ.

"بعد أن انقضت هذه الشهور الخمسة، تغيّر وجهي كليا. وجسدي أيضا. لم تناسب مقاسي أيًّا من ملابسي. عندما نظرت في المرآة، شعرت كما لو أني وضعت داخل حاوية، إذ لم أكن أنا. لا أدري ربما حدث هذا في حياتي لأصل إلى هذه المرحلة- مرحلة حيث فقدتُ بطريقة ما عقلي مدة من الزمن، حيث ملامحي وجسدي قاسيا المسخَ. وكان الزناد لهذا التغيُّر هو حقيقة أني طردتُ من مجموعتنا. الحادثة التي غيرتني إلى الأبد".

أنصتت إري دون أن تنبس بكلمة.

أكمل تسوكورو "كيف يمكنني أن أبيّن هذا؟ شعرتُ كما لو أني كنتُ على متن سفينة ليلًا وفجأة أُلقيتُ إلى المحيط وحيدًا".

بعد أن قال هذا، تذكّر فجأة أن هذا الوصف يشبه الذي استخدمته أكا. توقف ثم أكمل.

"لا أدري إن دفعني أحدهم أو أني سقطتُ من متن السفينة من تلقاء نفسي. على أية حال، استمرت السفينة في شق عباب البحر وأنا في الظلام، والماء المتجمِّد، أراقب الأضواء على متن السفينة تتلاشى مبتعدة. لا أحدًا من الراكبين أو الطاقم عرفَ أني سقطتُ من متن

السفينة. لم يكن هناك شيءٌ أتشبث بيه. ما زال يتملكني ذلك الخوف حتى الآن- أن يُعدمَ وجودي بأكمله دون إخطار على الرغم أنها لم تكن غلطتي، وبأني سأُلقى إلى البحر المظلم مرة أخرى. ربما هذا هو سبب عدم قدرتي على تكوين علاقات مع الناس. وأحتفظُ بمسافة دائما بيني وبين الآخرين".

وسّع ما بين يديه على الطاولة مشكِّلًا مسافة تقدَّر بثلاثين سنتيمترًا تقريبًا.

"ربما هذا جزءٌ من شخصيتي، شيء ما وُلد معي. ربما امتلكتُ دائما خندقا غريزيًا يترك خلفه منطقة عازلة بيني وبين الآخرين. لكن الشيء الوحيد الذي أعرفه أني لم أفكر بهذا قط عندما كنتُ معكم جميعا في المدرسة الثانوية. في الأقل هذا ما أتذكره على الرغم أنه يبدو منذ زمن بعيد جدًا".

وضعت إري راحتيها على وجنتيها ودعكتهما ببطء كما لو كانت تغسل نفسها. "هل تود أن تعرف ما الذي حدث منذ ستَّ عشرةِ سنة. الحقيقة برمتها".

"أود هذا" قال تسوكورو. "لكن ثمة شيءٌ أرغب أن أوضحه. لم ولن أفعل شيئًا يؤذي شيرو. أعني يوزو".

"أعلم هذا" قالت. توقفت عن دعك وجهها "لم تكن لتغتصبَ يوزو. هذا جليٌّ".

"لكنكِ صدقتِ بها، ومن البداية. كما فعل أُو وأكا".

هزَّت إري رأسها. "لا لم أصدقها من البداية. لا أدري ما الذي فكَّر به أُو وأكا، لكني لم أصدق ذلك. كيف يمكنني؟ لم تكن ثمة أيّ أمارة بأنك قد تفعل شيئًا كهذا أبدا".

"ثم لماذا قمتِ...؟".

”لماذا أخذتُ بقول يوزو وطردتك من المجموعة؟ لماذا لم أقف وأدافع عنك؟ هل هذا ما تسأل عنه؟“.

أومأ تسوكورو.

”لأنـي أردتُ أن أحميها“ قالت إري ”ولأجل ذلك، اضطررت أن أطردكَ. كان من المحال حمايتها وحمايتك في الآن نفسه. توجَّبَ عليَّ قبول أحدكما بالكامل، ورفض الآخر بالمطلق“.

”مشاكلها النفسية كانت بتلك الحدِّة. أهذا ما تقصدينه؟“.

”نعم، كانت كذلك في الحقيقة. وصدقًا، فقد دُفعت مقيدة إلى هذا الوضع التعس. وعلى شخص ما أن يحميها، والشخص الوحيد الذي كان بمقدوره ذلك- أنا“.

”كان بمستطاعك أن توضحي ذلك لي“.

هزَّت رأسها ببطء عدة مرات. ”لم يكن ثمة متسع لشرح هذه الأشياء وقتها. ما الذي كان عليَّ قوله؟

تسوكورو، هل تمانع لو قلنا لبعض الوقت إنك اغتصبت يوزو؟ علينا فعل هذا الآن. ثمَّ خطبٌ ما بها، وعلينا أخذ زمام المبادرة وتدبير هذا الوضع. كن صبورًا فقط، ستنجلي الأمور لاحقا. لا أعلم، ربما في سنتين؟

لم يمكنني وقتها قول شيءٍ كهذا. أعرف أنه كان خطأً، لكن وجبَ عليَّ أن أتعامل مع الوضع على حسابك، فقد كانت الأمور متوترة. عليكَ أن تعي رغم ذلك أن يوزو في الحقيقة قد أُغتصبت“.

جفل تسوكورو وحدَّق إليها ”مِنْ قبلِ مَنْ؟“.

هـزأت إري رأسـها مجـددا. ”لا أعـرف. شـخص مـا اضـطرَّهـا لممارسة الجنس معه رغم رغبتها. كانت حبلى، بعد ذلك. وأصرَّت على أنك من اغتصبها. جعلت المسألة واضحة جدا بأن تسوكورو تازاكي هو الذي فعلها. وصفت كل الواقعة بتفاصيل واقعية وبشكل يثير الأسى. لذا

فقد كان لزامًا على بقيتنا تقبّل ما قالت. حتى لو علمنا من قلوبنا بأنك لم تكن لتفعل هذا".

"هل كانت حاملًا؟"

"إمممم، لا يوجد أدنى شك في هذا. لقد ذهبت معها إلى طبيبة نسائية. ذهبنا إلى واحدة تبعد كثيرا عن سكنها. ليس إلى عيادة والدها، بالطبع".

تأوه تسوكورو "ثم ماذا؟".

"حدث كل ما يخطر في البال، ثم في نهاية الصيف، أجهضت. وهذا ما كان. لم يكن حبلها وهمًا. كانت حبلى فعلًا، لقد أجهضت فعلًا. أوكد هذا".

"منذ أن أجهضت، تقصدين...".

"نعم، خططت أن تحظى بالطفل، وتربيه بنفسها. لم يخطر في خلدها قط أن يحدث معها إجهاض. لم تكن لتقتل أي مخلوق حي قط، بغض عن النظر عن ماهية الوضع. تتذكر كيف كانت، أليس كذلك؟ كرهت قيام والدها بالإجهاض دائما. وتجادلنا مرارا حول هذا".

"هل يعرف أحدٌ آخر أنها كانت حاملًا وأنها أجهضت؟".

"أنا. وكذلك أخت يوزو الكبرى. إنها من النوع الذي يؤتمن على السر. وحصلت على بعض المال لأجل يوزو. هؤلاء من عرفوا، ولا يوجد شخصٌ آخر. والداها لا يعلمان، ولا حتى أكا أو أُو. كان سرنا، نحن الثلاث فقط. وأعتقد ألا بأس بإفشائه الآن، لا سيما لك".

"ويوزو بقيت مصرة بأني أنا الشخص الذي جعلها حاملًا؟".

"كانت مصرة جدا على هذا، نعم".

ضيَّق تسوكورو عينيه وحدق إلى فنجان القهوة الذي كانت إري تمسكه. ״لكن لماذا؟ لمَ قالت بأني من فعلها؟ لا يمكنني التفكير بسبب مقنع واحد״.

״لا أدري حقًا״ قالت إري ״يمكنني تخيل العديد من الاحتمالات، ولا يبدو أيًا منها مقنعا. لا يمكنني حتى تفسير الأمر. والاحتمال الوحيد المقنع الذي يمكن أن أفكر به هو لأني أحبك. ربما هذا ما قد أثارها״.

نظر تسوكورو مندهشًا إليها. ״أحببتني؟״.

״ألم تعرف هذا؟״.

״بالطبع لا. لا أملك أدنى فكرة״.

نفحته إري بابتسامة ساخرة. ״أعتقد ألا مشكلة في إخبارك الآن، لكنني دائما ما أحببتك. كنت منجذبة حقًا إليك. في الواقع، أغرمتُ بكَ. وأبقيته سرًا، ولم أخبر أحدًا قط. لا أعتقد أن أكا وأو كانا مدركين بحبي. عرفتْ يوزو، بالطبع. لا يمكن للبنات أبدا أن يخفين مثل هذه الأمور عن بعضهن״.

״لم أعلم قط״ قال تسوكورو.

״لأنك كنت أحمقَ״ قالت إري واضعة سبابتها على صدغها في وضع تفكير، ״لقد استمرَّ وضعنا طويلا، وحاولت أن أبعث إليك الإشارات. لو امتلكتَ نصف دماغ كان من الممكن أن تلتقطها״.

كان قد فكّر تسوكورو مليًا بتلك الإشارات لكنه لم يتمكن من الوصول إلى شيء.

״لقد اعتدتَ أن تدرسني الرياضيات بعد المدرسة، أتذكر؟״ قالت إري ״أسعدني ذلك كثيرا״.

״لم يكن بمقدورك قط أن تفهمي موضوع التفاضل والتكامل״ قال تسوكورو.

تذكّر فجأة كيف كانت تحمرُّ وجنتا إري أحيانا.

”أنت محق تماما. كان استيعابي بطيء جدا“.

ومنحته ابتسامة صغيرة. ”ولمثل هذه الأمور وبجانب أخرى، فقد كنت منجذبًا ليوزو“.

كان تسوكورو على وشك أن يقول شيئًا لكن إري قاطعته ”لا حاجة للتوضيح. لم تكن الشخص الوحيد فالكلُّ كان منجذبا لها. وكيف لا يمكنهم هذا؟ فقد كانت ريانة جدًا، وحسناء. مثل بياض الثلج في أفلام ديزني. لكني لستُ كذلك. ولطالما أنا معها فقد كنت دائما لاعبا صغيرا، مثل الأقزام السبعة. لكن لا مناص من هذا. لقد كنت أنا ويوزو أفضل صديقتين منذ الدراسة المتوسطة. وتأقلمت على تأدية ذلك الدور فحسب“.

”هل تقولين بأن يوزو كانت غيورة؟ لأنكِ أحببتني“.

هزّت إري رأسها. ”كل ما أود قوله بأنه ربما كان هذا السبب الكامن. لستُ محللة نفسية. وأصرَّت يوزو إصرارا كاملا على تلك النهاية المرّة بأنك سرقتَ عذريتها في مسكنك بطوكيو. ومن جانبها، فقد كانت تلك النسخة الباتَّة من الحقيقة، ولم تتردد فيها قط. حتى الآن لا أفهم من أين أتت هذه القصة المزيفة، ولماذا كانت متشبثة بتلك النسخة المحرّفة من الحقيقة. ولا أعتقد أن بإمكان أي أحد أبدًا توضيح هذا. لكن أعتقد أحيانا فإن ضربًا وثيقًا من الحلم يكون أقوى حتى من الحقيقة. إنه الحلم الذي تملَّكته. ربما كان هذا مقدّرًا ولا يمكن تغييره. افهمني أترجاك، فأنا أشعر بالأسى الرهيب لأجلك“.

”هل كانت يوزو منجذبة إليَّ يوما؟“.

”لا. لم تنجذب إليك“ قالت إري باقتضاب. ”لم تكن يوزو مهتمة قط بأي أحد من الرجال“.

عبس تسوكورو ”هل كانت سحاقية؟“.

هزَّت إري رأسها ثانية. ”لا. ليست كذلك. لم يكن لديها أيًّا من تلك النزعات بكل الأحوال. أنا إيجابية. أما يوزو فقد كان لديها نفورٌ قوي من أي شيء يتعلق بالجنس. الخوف من الجنس، قد تقول هذا. لا أعلم من أين أتت تلك المشاعر. كلتانا كان منفتحًا جدًا مع الآخر في كل المواضيع تقريبا، لكننا بالكاد تحدثنا عن الجنس. كنتُ صريحة فيما يخص الأمور الجنسية، لكن وقتما نصل إلى الجنس؛ تغيّر يوزو الموضوع بسرعة“.

”ما الذي حدث لها بعد الإجهاض؟“ سأل تسوكورو.

”أخذت إجازة غياب من الكلية. وفي حالتها، لم يكن ثمة أي سبيل يمكنها أن تكون بين الناس. أخبرتهم أنها تعاني من مشاكل صحية، وبقيت لابدة في المنزل ولم تخرج قط. قبلها بمدة، أصيبت باضطرابٍ غذائي حاد. تقيأتْ كل ما تناولته تقريبًا، وأخذت حقنًا شرجية لتتخلص من المتبقي في جوفها. لو أنها استمرت على ذلك الوضع، فلا أعتقد أنها كانت ستنجو. جعلتها ترى استشاريا صحيا، وبطريقة ما كانت قادرة على تجاوز الاضطراب الغذائي. استغرق الأمر قرابة نصف سنة. خلاصة القول، لقد كان من الرهيب جدًا رؤيتها تنزلق إلى ما دون الأربعين كيلو غرام، بدت مثل شبح. لكنها سحبت نفسها من ذلك الوضع ووصلت إلى بر الأمان، وبالكاد، حيث كان بمقدورها التشبث بالحياة. ذهبتُ لرؤيتها كل يوم تقريبا، أتحدث معها، وأشجعها، وأفعل ما بمقدوري لأبقيها مستمرة. وبعد سنة ابتعادٍ عن الكلية، رتبت أمورها لتعود إلى المدرسة“.

”لماذا برأيك أصيبت باضطراب غذائي؟“.

”الأمر سهل جدا. كان ترغب بإيقاف دورات الطمث“ قالت إري. ”إن فقدان الوزن الحاد يوقف دورات طمثها. هذا ما كانت تأمله. لم تكن ترغب أن تكون حبلى مرة أخرى، ومن المحتمل لم ترغب أن تبقى امرأة بعد. رغبت، لو أمكن، أن تزيل رحمها“.

”يبدو الأمر جديٌّ جدًا“.

”كان كذلك، فائق الجدية. لذلك كان الأمر الوحيد الذي استطعت فعله هو طردك. لقد شعرت بالسوء تجاهك، وصدقني، أعلم مدى القسوة التي عاملتكَ بها. أما أنا فقد كان الصعب جدًا أن لا أتمكن من رؤيتك مجددا. صدقًا. شعرتُ كأني أتمزق لأجزاء. وكما قلت سلفا، لقد أحببتك حقًا“.

توقف إري لوهلة محدقةً إلى يديها فوق الطاولة كما لو أنها تستجمع مشاعرها، ثم أكملت.

”لكني اضطررت لمساعدة يوزو لتستعيد عافيتها. هذا ما توجب أن يكون أولى أولوياتي. كان تواجه أخطارًا مهددة للحياة وتقاسيها، واحتاجت لمساعدتي. لذا فإن الأمر الوحيد الذي كان عليَّ فعله- جعلك تعوم وحيدًا عبر مياه البحر المظلم. علمتُ أنك بمقدورك فعلها. كنت قويًا كفاية لفعلها“.

صمت كلاهما برهةً من الوقت. وحرّكت الريح أوراق الأشجار في الخارج.

كسر تسوكورو الصمتَ ”استعادت يوزو عافيتها وتخرجت في الكلية. ماذا حدث بعدها؟“.

”كانت ما تزال تزور استشاريًا صحيًا مرة في الأسبوع لكن كان من العويص جدًا أن تقود نفسها إلى حياة طبيعية. في الأقل لم تكُ تبدو مثل شبح. لكن وقتها لم تعد بعد تلك اليوزو التي اعتدنا معرفتها“.

أخذت إري نَفَسًا منتقيةً كلماتها.

”لقد تغيّرت“ قالت إري أخيرًا ”كما لو أنها نزفت كل شيء من قلبها، واختفى كل اهتمام لها في العالم الخارجي. لم تعد مهتمة كثيرًا بالموسيقى. من المؤلم رؤية هذا. لكنها بقيت تعلم الموسيقى للأطفال، لم يغادرها ذاك الشغف قط، حتى عندما كانت حالتها في الحضيض، وضعيفة جدًا وبالكاد تستطيع الوقوف، تمكنت من جرِّ نفسها والذهاب

مرة في الأسبوع إلى الكنيسة حيث علَّمت الأطفال العزف على البيانو. واستمرت على فعل ذلك العمل التطوعي بمفردها. أعتقد أن الرغبة في استمرار ذلك المشروع أعانها على استرداد صحتها. لو أنها لم تقم بذلك العمل لربما لم تقدر قط على النجاة››.

التفتت إري إلى النافذة وحدقت إلى الخارج عبر النافذة نحو السماء فوق الأشجار التي تغطيها طبقة غيوم رقيقة. أدارت وجهها مجددا ونظرت مباشرة إلى تسوكورو.

‹‹بمرور الوقت، وعلى الرغم من أن يوزو لم تملك حسَّ الصداقة غير المشروط تجاهي الذي كانت تملكه عندما كنا فتيَّتين، فقد قالت إنها كانت ممتنة جدًا لي، ولكل شيء فعلته لأجلها. وأعتقد أنها كانت ممتنة فعلًا لي، لكن في الوقت نفسه، فقدت أيَّ اهتمام بي. مثلما قلت، لقد فقدت يوزو كل اهتمام في كل شيء تقريبا، وأنا كنت جزءًا من هذا الكل تقريبًا. من المؤلم الإقرار بهذا. لقد كنا أفضل صديقتين لزمن طويل جدا، ولقد اهتممت بشأنها حقًا. هذا ما كان مقدَّرَ الحدوث. وانتفى تباعًا كوني لا غنى عني بالنسبة لها››.

حدقت إري إلى بقعة متخيّلة فوق الطاولة، وتحدثت بعدها.

‹‹لم تعد يوزو بياضَ الثلج. أو ربما خلعت عنها بياض الثلج التي كانتها. وأنا بدأت بالتعب من نفسي كوني الأقزام السبعة››.

رفعت إري فنجان قهوتها نصف واعية ثم أعادته فوق الطاولة.

‹‹على أية حال، وبمرور الوقت فلم تعد مجموعتنا الرائعة -مجموعة الأربعة، ما عداك- قادرة على استكمال طريقها الذي سلكته في الماضي. تخرج الجميع في المدرسة، وشُغِل بحياته الخاصة. هذا أمر بدهي ليقال، لكننا لم نعد أطفال الثانوية بعد. ولا حاجة لذكر أن طردك خلّف فيها جميعا ندوبًا. ندوبٌ لا تُرى بتاتًا››.

كان تسوكورو صامتًا، وينصت بانتباه إلى كلماتها.

”لقد رحلتَ لكنك دائمًا ما كنت هناك“ قالت إري.

مرة أخرى، لحظة صمت.

”إري، أرغب أن أعرف المزيد عنك“ سأل تسوكورو ”ما الذي جلبك حيثُ أنتِ الآن- هذا ما أود معرفته بدايةً“.

ضيّقت إري عينيها وأمالت رأسها قليلًا. ”منذ أواخر سن مراهقتي وحتى بواكير سن العشرين، كنت تحت تأثير يوزو بالكامل. وفي يوم ما نظرت حولي وأدركت أني أتلاشى. كان لدي أملٌ بأن أعمل كاتبةً. دائما ما استمتعتُ بالكتابة. أردت أن أكتب الروايات، والقصص، وأشياء من هذا القبيل. هل عرفتَ بشأن ذلك، صحيح؟“.

أومأ تسوكورو. امتلكت إري دفتر ملاحظات ثخين بالقرب منها، ودوَّنت دائما على عجالة ما استجدَّ لديها فجأة من أفكار.

”لكن في الكلية لم أستطع تدبَّر ذلك. الاهتمام الدائم بيوزو، كان كل ما تمكنت من فعله حتى أحافظ على أداء فروضي المدرسية. أقمت علاقة مع حبيبين في الكلية لكن لم تُثمر العلاقة- فقد كنت مشغولة بقضاء الوقت مع يوزو على المواعدة في أوقات متقاربة. ولم يُفلح شيء معي. يومًا ما توقفت فحسب وسألت نفسي: بحق العالم ما الذي تفعليه بحياتك؟ لا أملك أي أهداف وأستمرُّ بتدوير العجلة، وأراقب ثقتي بنفسي تختفي. أعلم أن هذه الأمور كانت صعبة على يوزو، لكن على المرء أن يتفهم بأنها كانت صعبة عليَّ، أيضا“.

ضاقت عينا إري مجددًا، كما لو كانت تنظر إلى مشهد ما بعيد.

”طلب مني صديق دراسة في الكلية الذهاب إلى درس الفخّار وذهبت معه، نوعًا من المزح. لكن هناك حيث اكتشفت ما كنت أبحث عنه، بعد مدة طويلة جدا. تدوير عجلة الخزّاف، وشعرتُ أنَّ بمستطاعي أن أكون صادقة كليًّا مع نفسي. أركز على ابتكار شيء ما يساعدني على نسيان كل شيء آخر. ومنذ ذلك اليوم فصاعدا، استغرقتني صناعة

الفخّار بالكامل. كانت وقت الكلية مجرد هواية، لكن بعدها، أردت أن أصبحَ خزّافة قلبا وقالبا. تخرجت في الكلية، وعملت في وظائف بنصف وقت مدة سنة أثناء دراستي. بعدها دخلت المدرسة مجددًا، وفي هذه المرة إلى قسم الفنون الصناعية. وداعًا أيتها الروايات، مرحبًا بالفخّار. وحين كنت أعمل في صناعة الفخّار التقيت بإدوارد، الذي كان في اليابان طالبًا في نظام الدراسة التبادلي. في آخر المطاف تزوجنا وانتقلنا إلى هنا. الحياة أحيانًا مفاجأة بأسرها. لو لم يدعني صديقي إلى درس الفخّار؛ كنتُ سأعيش حياة مختلفة تماما الآن".

"يبدو حقًا أنك موهوبة فيه" قال تسوكورو مشيرًا إلى بعض الفخّار على الرفوف. "لا أعرف الكثير عن الفخّار إلا أنَّ شعورًا رائعًا ينتابني حين أنظر إلى قطعك، وأمسكهم".

ابتسمت إري "لا أدري بخصوص الموهبة. لكن عملي يسير بشكل جيد جدًا هنا. لا يُجني الكثير من المال، إلا أن ما يسعدني هو حاجة الناس الآخرين لما أبتكره".

"أعلم ما تعنين" قال تسوكورو "منذ أن كنت أصنع أشياءَ بنفسي. أشياءَ مختلفة جدًا عن ذاتك".

"كاختلاف المحطات عن الأطباق".

"نحن بحاجة إلى كلتيهما في حيواتنا".

"بالتأكيد" قالت إري. فكّرت في شيء ما. تلاشت الابتسامة من شفتيها. "أحب المكان هنا. أتصور أني سأعيش هنا إلى آخر حياتي".

"ألن تعودي إلى اليابان؟".

"أملك بطاقة هُوية فنلندية الآن، وتحسنت كثيرا بحديثي اللغة. فصل الشتاء هنا قاسٍ جدًا للخروج، سأقرُّ بهذا لكنه يمنحني المزيد من الوقت للقراءة. ربما سأكتشف رغبتي بالكتابة مجددًا. اعتادت الطفلتان

على فنلندا الآن ولديهما أصدقاء هنا. وإدوارد رجل طيب. وعائلته تتعامل بالحسنى معنا أيضا، وعملي يسير على أحسن وجه".

"وأنتِ بحاجة أن تكوني هنا".

رفعت إري رأسها ونظرت بثبات إلى تسوكورو.

"كان هذا حين سمعت بأن يوزو قُتلت من قبل شخص ما وقررت أن بمقدوري البقاء هنا لبقية حياتي. اتصل أو بي وأخبرني. كنت حاملًا بابنتي الكبرى ولم أستطع حضور الجنازة. كان الأمر رهيبا عليَّ. شعرتُ كما لو أن صدري على وشك التمزّقِ إلى وِصلٍ. أن تعرفَ أن يوزو قُتلت بتلك الطريقة، وفي مكان غير معلوم، وأحرقت جثتها بعدها لتتحول إلى مجرد رماد. أن تعرفَ أنكَ لن تراها مرة ثانية أبدًا. أجمعتُ في قرارة نفسي وقتها لو رُزقتُ ببنت فسأسميها يوزو. وأني لن أرجع إلى اليابان مطلقًا".

"إذن، فاسم ابنتك يوزو؟".

"يوزو كورونو هاتينن" قالت "جزء من يوزو يعيش في ذلك الاسم، في الأقل".

"لماذا ذهبت يوزو إلى هاماماتسو؟".

"ذهبت إلى هناك بعد انتقالي إلى فنلندا. لا أعلم لماذا. كتبنا الرسائل لبعضنا بانتظام، لكنها لم تخبرني أيَّ شيءٍ عن الأسباب خلف انتقالها. قالت ببساطة إن السبب هو العمل. لكن كان في ناغويا كل أنواع الوظائف التي بمقدورها الحصول عليها، وكان انتقالها إلى مكان كهذا لم تعش فيه من قبل قط، والعيش وحيدةً، بمثابة انتحار".

وُجدت يوزو داخل شقتها في هاماماتسو مخنوقةً حتى الموت بحزام قماشي. قرأ تسوكورو التفاصيل في الصحف القديمة والمجلات. وبحث في الإنترنت، ليكتشف المزيد عن القضية.

لم تكن حادثة سرقة. فقد وُجدت محفظتها مع النقود داخلها بالقرب منها. ولم يكن ثمة علامات أي اعتداء تعرضت له. ولم يكن هناك أي فوضى في شقتها، ولا أي آثار لصراع. لم يسمع مقيمو طابق شقتها أي أصوات مشكوك فيها. وكان في مِرمدة أعقاب سجائر منثول، لكنها سجائر أطفأتها يوزو (عبس تسوكورو عند هذه. يوزو تُدخن؟). الوقت المقدَّر لموتها ما بين العاشرة مساءً ومنتصف الليل، في ليلة ماطرة حتى الفجر، مطر بارد لأحد ليالي أيّار. عُثر على جثتها في المساء بعد ثلاثة أيام. كانت ملقيّة على قرميد الأرضية في مطبخها.

لم يكتشفوا الدافع وراء الجريمة قط. قَدِمَ شخص ما في جنح الليل، خنقها دون أي يصدر أي صوت أو يسرق أو يزيح شيئًا عن مكانه، ثم غادر. لا يُعرف فيما إذا فتحتْ له الباب أو أن القاتل امتلك نسخة ثانية من المفتاح. عاشت وحيدةً في الشقة. قال زملاء العمل والجيران لم يبدُ أنها تملك أيَّ أصدقاء مقربين. وباستثناء أختها الكبيرة وأمها، اللتين اعتادتا زيارتها، فقد كانت تعيش وحيدة دائما. غالبا ما ارتدت ملابسَ عادية وأعطت انطباعًا بكونها وديعة وهادئة لكل من عرفها. كانت متحمسة لعملها الجديد، ومحبوبة جدًا من قبل طلّابها، لكن خارج العمل، لم يتضح أنَّ لديها أصدقاء.

لم يملك أحد أيَّ فكرة عن السبب الذي قادها إلى الموت، ولماذا قضت نحبها مخنوقة. انتهت تحقيقات الشرطة دون أن يتأتّى عنها أيُّ شكوكٍ إلى النور. تنامت المقالات عن القضية بثبات قصير، وتلاشت جميعًا في الختام. كانت قضية محزنة ومؤلمة مثل هطول مطر بارد بثبات حتى الفجر.

”تملّكتها روح شريرة“ قالت إري بهدوء كما لو أنها تفشي سرًا. ”التصقت بها، تنفث على رقبتها أنفاسًا باردة، وببطء قادتها إلى الزاوية. هذا الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفسر كل ذاك الذي حدث لها، سواء ما وقع معها، أو اضطرابها الغذائي، أو ما حدث في هاماماتسو.

لم أرغب قط حقًا أن أتفوه بهذا. لأني إذا فعلتها سيكون كما لو أنه موجود فعلًا. لذا فقد احتفظت بهذا لنفسي طوال الوقت. وقررت ألا أتكلم في الأمر بتاتا حتى مماتي. لكني لا أمانع في إخبارك هذا الآن، لا سيما وأننا من المحتمل ألا نرى بعضنا مجددا. وأنت بحاجة لتعرف الأمر. كانت روحًا شريرة أو شيئًا ما قريبًا لهذا. ولم تتمكن يوزو من الهرب في النهاية".

تأوهت إري بعمق وحدقت إلى يديها فوق الطاولة. كانت يداها ترتعشان بشكل مرئي غير متقطع. أزاح تسوكورو ناظرَه بعيدًا ونظر في النافذة خلف الستارة المتهزهزة. عمَّ الغرفةَ صمتٌ قاهرٌ ومليءٌ بالحزن العميق. وكان ثمة مشاعر محبوسة، ثقيلة ووحيدة مثل نهر جليدي غابر شقَّ طريقه في البحيرة العميقة.

"هل تتذكرين معزوفة ليست "سنواتُ حجٍ؟" اعتادت يوزو أن تعزف إحدى مقطوعاتها كثيرًا" قالت تسوكورو بعد مدة كاسرًا الصمت.

"نعم "**La mal du pays**" أتذكرها جيدًا" قالت إري "أستمع إليها أحيانا. هل ترغب أن تسمعها؟".

أومأ تسوكورو.

نهضت إري، وذهبت باتجاه مشغل أقراص صغير في الخزانة، واختارت قرصًا مدمجًا من بين كومة الأقراص ثم أدخلته في المشغِّل. انسابت "**La mal du pays**" من بين المتكلمين، بنغمة الافتتاحية السلسة معزوفةً بهدوء بيد واحدة. عادت إري وقعدت قُبالته، واستمع الاثنان بصمت إلى الموسيقى.

امتاز الاستماع إلى الموسيقى هنا بجوار بحيرة في فنلندا- بنوعٍ مختلف من البهجة عن تلك التي سمعها هناك داخل شقته في طوكيو. لكن بغض النظر عن المكان حيث يستمع إليها، ولا فرق فيما لو استمعَ إليها من قرص مدمج أو عبر إسطوانة جرامافون قديم، فقد بقيت

الموسيقى نفسها، مثيرةً بالكامل وجميلة. خطرت على بال تسوكورو صورة يوزو عند البيانو في قاعتها الصغيرة وهي تعزف هذه المقطوعة، منحنية على مفاتيح البيانو بعينين مغلقتين وشفتين بالكاد مفتوحتين، تبحث عن كلماتٍ لا تصدر صوتًا. كانت منفصلة عن ذاتها حينئذ، في مكان ما آخر.

انتهت المقطوعة، ثمة لحظة سكون، ثم اشتغلت المقطوعة التالية "أجراس جنيف". لمست أري المتحكم عن بعد وخفضَتْ مستوى الصوت.

”إنها تؤثر فيَّ بشكل مختلف بأداء آخر أستمع إليه دائما في منزلي“ قال تسوكورو.

”إلى أيّ عازف بيانو تستمع؟“.

”لازار بيرمان“.

هزَّت إري رأسها. ”لم أستمع إلى نسخته قط“.

”إنها أكثر أناقة بقليل من هذه. أحب الأداء هنا، إنه رائع لكن أسلوب هذه النسخة يجعلها تبدو تشبه سوناتا بيتهوفن أكثر من ليست“.

ابتسمت إري. ”قد يكون السبب في هذا- ألفريد بريندل. ربما ليسَ أنقيًا جدًا لكني أحب النسخ جميعًا. أعتقد أني اعتدتُ سماع هذه النسخة منذ أن كانت الوحيدة التي أستمع إليها“.

”عزفت يوزو هذه المقطوعة بجمال أخّاذ. تضخُّ فيها الكثير من الشعور“.

”فعلا. لقد كانت جيدة جدًا بالمقطوعات من هذا الطول. أما المقطوعات الأطول فطاقتها نوعا ما تنفدُ عند منتصف المقطوعة. لكن لكل امرئ سماته الشخصية الخاصة. أشعر دائما كما لو أن جزءًا من يوزو يحيا في هذه الموسيقى. إنها نابضة بالحياة ومضيئة“.

عندما كانت يوزو تعلم الأطفال في المدرسة، اعتاد تسوكورو وأو لعب كرة القدم مع الأولاد في الساحة الخارجية الصغيرة. كانوا يقسمونهم إلى فريقين ويحاولون التسجيل في مرمى الفريق المقابل (الذي تشكلَّ في العادة من زوجي صناديقِ ورقٍ مقوى). وتناهى إلى سمع تسوكورو نصفَ منصتٍ حين كان يمرر الكرة- صوتُ عزف الأطفال للسلالم الموسيقية يخلصُ من النافذة.

أصبحَ الماضي سيخًا طويًلا حادَّ الشفرة وطعنَ قلبه كليًا. وأحال الألمُ الفضي الصامت المُقذوف من أوصالِه عمودَه الفقري إلى دعامةٍ ثلجية. بقي الألم بلا هوادة. حبسَ أنفاسه وأطبق جفنيه بشدة، متحملًا سكرة الموت. استمرَّ عزف ألفريد بريندل العذب، وانتقل القرص المدمج إلى المتتالية الموسيقية الثانية "السنة الثانية: إيطاليا".

في هذه اللحظة، كان قادرًا أخيرًا تقبَّل هذا كله. ومن أعمق حنايا روحه، فهم تسوكورو تازاكي. لا يرتبط قلب امرئ بقلب آخرَ عبرَ التناغم وحده. كانا بدلًا من هذا، موْصُولين بعمق من خلال جروحهما. ألم موصولٌ بألم، وضعفٌ بضعفٍ. لا صمتٌ دون عويل الأسى، لا غفرانٌ دون سفك الدم، لا قبول دون المرور بخسارة عصيبة. هذا ما يكمن في أصل التناغم الحق.

’’تسوكورو، إنَّ هذا صحيح. إنها تحيا بطرقٍ عديدة جدًا‘‘ كان صوت إري من الجانب الآخر من الطاولة مبحوحًا كما لو غُصبَ منها. ’’بإمكاني أن أشعر بها. في كل صدًى يحيط بنا، في الضوء، في الأشكال، في كل...‘‘.

غطّت إري وجهها بيديها. ما نُطقت كلمة أخرى. لم يكن تسوكورو متأكدًا إن كانت تبكي أو لا، وإذا كانت تبكي فقد بكت بصمت مطبق.

عندما لعب أو وتسوكورو كرة القدم، بذل أكا وإري جهدهما ليبقيا الأطفال الآخرين بعيدين عن مقاطعة دروس يوزو في البيانو. وفعلوا ما أمكنهم ليسيطروا على الأطفال- قرأوا الكتب، ولعبوا الألعاب، وذهبوا

إلى الخارج، وغنّوا الأغاني. وعلى الرغم من هذا فقد فشلت هذه المحاولات في أغلب الوقت. لم يتعب الأطفال قط من محاولة إزعاج دروس البيانو. وجدوا هذا أشد متعة من أي شيء آخر. وكان من المسلِّي مشاهدة كفاح أكا وإري غير المثمر في منعهم.

بدون تفكير تقريبا، وقفَ تسوكو وذهب إلى الطرف المقابل من الطاولة. دون أي كلمة وضع يده على كتف إري، التي ما زالت تغطي وجهها بيديها. وحين لمسها شعرَ بارتعاشها، ارتعاش لا يمكن لعين أن تخطئه.

"تسوكورو؟" تسرَّب صوت إري من بين أصابعها "هل بمقدورك فعل شيء ما لي؟".

"بالطبع" قال تسوكورو.

"هل بإمكانك أن تحضنني".

طلب تسوكورو منها أن تقفَ، وأدارها باتجاهه. بُسطَ ثدياها الممتلئان على صدره، كما لو أنهما يشهدان بشيء ما. كانت يداها دافئتين حيث أمسكتا ظهره، وخدُّها رقيق ورطب حين ضغطت على عنقه.

"لا أريد التفكير أبدا بالعودة إلى اليابان مجددًا" تمتمت إري. مسَّت أنفاسها الدافئة والندية أذنه. "كل شيء سيذكِّرني بيوزو. وبـ".

لم يقل تسوكورو شيئًا، واستمر بضمها بقوته إليه فحسب.

كان عناقهما مرئيًا من النافذة المفتوحة. ربما مرَّ شخص ما ورآهما. إدوارد والطفلتان قد يعودون بأي لحظة. لكن لم يكن هذا ذا شأن. لم يكترثا بما يفكّر به الآخرون. كان عليه وإري أن يحضن بعضهما بعضًا الآن بالقدر الذي يريدانه. عليهما أن يتركا بشرتيهما تتماسان، ويطردا الشبح الطويل الذي صُبَّ بالروح الشريرة. كان هذا بلا شك السبب الذي جاء من أجله إلى هنا بالمقام الأول.

عانقا بعضًا مدة طويلة من الزمن- بالقدر الذي لم يمكنه إدراكه. كانت الستارة البيضاء أمام النافذة ترفرف بالنسيم الآتي من البحيرة. بقي خدّا إري رطبين، واستمر عزف ألفريد بريندل للمتتالية الموسيقية "السنة الثانية: إيطاليا". اشتغلت بعدها "سونيتة بيترارتش 47" وبعدها "سونية بيترارتش 105" عرف تسوكورو كل نغمة. بإمكانه أن يدندنَها جميعا لو رغبَ بهذا. للمرة الأولى أدرك ما أعمق استماعه إلى هذه الموسيقى، وما أكثر الذي تعنيه له.

لم ينبسا ببنت شفة. كانت الكلمات عاجزة الآن. مثل زوجين من الراقصين توقفا في منتصف الرقصة، عانق بعضهما بعضًا بهدوء فحسب، مانحين نفسيهما إلى تدفق الزمن. الزمن الذي ضمَّ كلا الماضي والحاضر، وحتى كل جزءٍ من المستقبل. لم يأتِ شيء من بين جسديهما حين تحطُّ أنفاسُها الحارة رقبته. أغلق تسوكورو عينيه، تاركًا الموسيقى تغسله وهو ينصتُ إلى دقات قلب إري. دقاتٌ ذات إيقاع متناغم مع صفع القارب الصغير لرصيف البحيرة.

الفصل السابع عشر.

عـادا لـيقعدا مجددًا يـقابـل أحـدهـما الآخـر فـي كلا طـرفـي الـطاولـة، وشرعا بـالإفـصاح عما كـان كـامنًا فـي قلبيهما -عن أشياءَ لم يـعبِّرا عنـها بـالكلمات لسنوات، أشياءَ كبحَاها عميقًا في روحيهما- مزيليْنِ الستائر عن فـؤاديـهِما، وفـاتـحيْنِ أبـواب الـذاكـرة، ورافـعيْنِ الـغطاء عـن أصـدق مشاعرهما بحق الآخر في كل هذه المدة، واستعما إلى بعضٍ بسكون.

تكلمت إري أولا.

"تخليت فـي الأخـير عن يـوزو. كـان عليَّ أن أُبـعِدَ عنـها. رغـبتُ بـالـبعد بـأقـصى مـا يـمكنني عـن ذلـك -أيًّـا كـان- الـذي تـملَّكها. لأجـل هـذا انخـرطـت فـي درس الـفخّار، وتـزوجـت إدوارد، وانـتقلت إلـى فـنلندا. لـم أخطط لـهذا بـالطبع، لكن الأمور انـتهجت هذا السبيل. امتلكت من الاعـتقاد ما فيه الكفاية لفعل ما قصدته بألا أرعى يوزو مجددًا أبدًا. أحببتها أكثر من أي شـخص آخـر أحببته -كـانـت مثل ذاتٍ أخـرى- لـذا أردت أن أعينـها بـقدر استطاعـتي. لـكني أُرهـقت. الاعـتناء بـها مـدةً طـويـلة مـزَّقـني إربـًا بـالكامل. وبـغض النظر عن الجهد الذي بذلته لمساعدتـها، لم أتمكن من إيـقاف تـقهقرهـا بـعيدًا عـن الـواقـع. كـان الأمـر رهيبًا علـيَّ. لـو بـقيتُ فـي نـاغـويـا، أعـتقد أنـي كـنت سـأبـدأ بـفقدان عـقلي أنـا الأخـرى. لا أدري، ربـما أختلق الأعذار فقط؟".

"تتحدثين عن شعورك فحسب. هذا مغاير عن اختلاق الأعذار".

عضّت إري شفتها. "لكن، تبقى حقيقةُ أنـي تخليت عنـها. وذهـبت يـوزو بـنفسها إلـى هامـامـاتسو. كـان لـها أرفـعُ وألـطف عـنق، هـل تـتذكـر؟ مـثل طـير صـغير، ذاك الـنوع مـن الـعنق الـذي يُـمكن أن يـطقَ بـمنتهـى السهولـة. لـو كـنت فـي اليابـان فـمن المحتمل لـما كـان لـيحدث هـذا لـها أبـدًا. لـم أكـن لأسـمحَ لـها بـالانـتقال إلـى بـلدة لـم تـعرفـها، وتـفعل كـل هـذا بمفردها".

”ربما. لكن حتى لو كنتِ هناك وقتها، قد يحدث الأمر نفسه لاحقا، في مكان آخر. لستِ حارسة يوزو. لم يكن بمقدورك أن تراقبيها كل ثانية في كل يوم. لديك حياتك الخاصة. ولم يكن ثمة الكثير الذي كان باستطاعتك فعله“.

هزَّت إري رأسها. ”أخبرتُ نفسي هذا عددًا لا يحصى من المرات. لكني لم أساعد. رغبَ جزءٌ مني الابتعاد عنها لأحمي نفسي. لا يمكنني إنكار هذا. وبعيدًا عن سؤال كونها ستنجو أو لا، توجَّبَ عليَّ التعامل مع صراعِ ذاتي. وفي غمرة هذا، خسرتكَ أيضا. منحتُ الأولوية للمشاكل التي وقعت ليوزو، واضطررت للتخلي عن تسوكورو تازاكي، الذي لم يرتكب أيَّ خطأ. جرحتك بعمقٍ، كل هذا لأني فعلت ما رأيته يتناسب مع الوضع. حتى رغم الحب الكبير الذي كننته لك...“.

لم ينطق تسوكورو بكلمة.

”لكن هذه ليست كل القصة“ قالت إري.

”حقًا؟“.

”صدقًا، لم أتخلَ عنك بسبب يوزو. إن هذا مجرد تبرير سطحي. تخليتُ عنك لأني جبانة. لم أملك أي ثقة بنفسي كوني امرأة. كنتُ متأكدةً أنه بغض النظر عن مدى حبي لك فإنك لن تبادلني إياه أبدًا. كنت على ثقة بأنك واقع بغرام يوزو. هذا الذي مكنني من طردك بقسوة شديدة. فعلتها لأقطّع أوصال مشاعري تجاهك. لو كنت أملك ثقةً وشجاعة أكثر بقليل فحسب، ودون زهوٍ غبي، لم أكُ لأتخلى عنك بتلك الطريقة، ومهما كانت الظروف. لكن ثمةَ خطبٌ ثناني وقتها. أعلم أني ارتكبت شيئًا فظيعًا، وأنا آسفة حقًا لأجل هذا“.

نزل عليهما صمتٌ.

”وجبَ عليَّ أن أعتذر لك منذ زمن بعيد“ قالت إري أخيرًا ”أعلم هذا جيدًا. لكني لم أستطع فحسب. كنت أشعر بالعار الفضيع من نفسي“.

”لستِ بحاجة أن تقلقي بشأن هذا أكثر“ قال تسوكورو ”لقد نجوت من الأزمة. سبحتُ عبر البحر المظلم بنفسي. فعل كل واحدٍ منا ما توجَّبَ عليه فعله من أجل أن ينجو. أدرك ذلك الشعور، حتى لو اتخذنا قرارات مختلفة، حتى لو اخترنا أن نفعل أشياءَ بشكل مغاير، فما زال لدينا ما يجب أن ننُهيه كليا حيث نحن الآن“.

عضّت إري شفتها وتفكّرت في هذا ”هل ستخبرني بشيء واحد؟“ سألت إري بعد برهة.

”سَمِّيه“.

”لو جئتُ إليك مباشرةً وقتها وأخبرتك أني أحبكَ، هل كنت لتمضي معي؟“.

”حتى لو قلتها بوجهي مباشرة، من المحتمل أني لن أصدقك“ قال تسوكورو.

”لمَ لا؟“.

”لم يكن بإمكاني تخيّل أن يقول لي أي شخصٌ إنه أحبني، أو أن ترغب بنت أن تكون حبيبتي“.

”لكنك لطيف، وجذاب، وهادئ، واكتشفتَ سلفا مسارك في الحياة، ناهيك عن كونكَ جميلًا وقتها“.

هزَّ تسوكورو رأسه. ”أملك وجهًا مُضجِرًا. لم أحب منظري قط“.

ابتسمت إري. ”ربما أنت محق. ربما تملك حقًا وجهًا مُضجِرًا والعلة كانت فيَّ أنا. لكن في الأقل لفتاة حمقاء في السادسة عشرة، كنت وسيمًا كفاية. حلمتُ بمدى الروعة لو حظيتُ بحبيب مثلك“.

”لا يمكن المطالبة بالكثير من الشخصية المميزة“.

”كل إنسان يملك شخصية. المسألة أنها عند بعض الناس بيّنة أكثر من الآخرين“. ضاقت عينا إري ونظرت باتجاهه مباشرةً. ”إذن، أخبرني- كيف كنت ستردَ؟ هل كنت لتسمح لي أن أصبح خليلتك؟“

”بالطبع كنت لأفعلها“ قال تسوكورو ”أعجبتُ بكِ حقًا. كنت منجذبًا فعلا لكِ، بطريقة مختلفة عن تلك التي كنت منجذبًا بها إلى يوزو. لو أنك أخبرتني كيف كنت تشعرين وقتها، بالطبع كنت سأحبك لتكوني حبيبتي. وأعتقد أننا سنكون سعداء معًا“.

من المرَّجح أن الاثنين كان ليكونان حبيبين مقربين، بتحقيق حب الحياة، جزم تسوكورو. سيكون ثمة الكثير الذي كان بمقدورهما تشاركه. مظهريا، بدت شخصيتاهما مختلفة جدًا -تسوكورو انطوائي وصموت، وإري اجتماعية وطلقة اللسان- مع ذلك تشارك الاثنان الرغبة لإبداع وصنع أشياء بأيديهما، أشياء ذات معنًى. كان لتسوكورو هذا الشعور، على الرغم من هذا، فإن قربهما كان ليحيا قصيرًا. فالشرخ الذي لا مفر منه كان سينشأ بين رغبة كليهما في حياتهما الخاصة. كانا وقتها ما يزالان غرَّينِ، وراغبين باكتشاف مساراتهما الشخصية، وفي النهاية كان سيصلان إلى مفترق طرق، ويغادران بطريقين منفصلين، بدون شجار ولا إيذاء بعضهما الآخر، على نحو طبيعي وهادئ. وقد حدث الأمر بهذا الشكل، ألم يحدث، فكّر تسوكورو، بذهابه إلى طوكيو وبناء المحطات، وزواج إيري من إدوارد وانتقالها إلى فنلندا.

لم يكن ليبدو الأمر غريبًا لو تحققت الأمور بهذه الطريقة. كانت محتملة بالكامل. ولما كانت التجربة لتكون سلبية على كليهما بتاتا. حتى لو لم يستمرا عاشقين طويلًا؛ سيبقيان صديقين جيدين. في الواقع، رغم هذا، لم يحدث أيًا من ذلك قط. والحقيقة كانت جليّة الآن أكثر من أي شيء آخر.

”حتى إذا كنت لا تخبرني الحقيقة، سأكون سعيدة لتقول هذا“ قالت إري.

”أخبركِ الحقيقة فعلًا“ قال تسوكورو ”لم أكن لأمزحَ في موضوع كهذا. أعتقد أننا كنا سنقضي وقتا رائعًا معًا. آسف لأن هذا لم يحدث قط. آسف حقًا“.

ابتسمت إري دون أثر سخرية.

تذكّر تسوكورو حلمًا إيروتيكيًّا غالبا ما راوده مع الفتاتين. كيف كانوا معًا دائما، لكن كانت يوزو الوحيدة التي ولجَ جسدها، وما ذاق عُسيْلة إري ولا مرة. لم يكن متأكدًا من تأويل الحلم لكن علمَ أنَّ ليس بمقدوره أن يقصه على إري. بغض النظر عن مدى صدق كونك منفتحًا مع شخص ما، فثمة أشياءَ لا يمكنكَ الكشفُ عنها.

عندما فكّر بتلك الأحلام، وإصرار يوزو على أنه من اغتصبها (وإصرارها بأنها كانت حاملًا بطفله) اكتشف أنه لم يكن بمقدوره رفض هذا الأمر كليًا كونه خارجًا عن سيطرته مثل قصة وهمية، أو لنقل إنه لا يملك أدنى فكرة عمّاذا كانت تتحدث. ربما يكون كل هذا مجرد حلم، لكن ما يزال غير قادر على الهروب من شعور -بطريقة مبهمة ما- أنه كان المسؤول. لا فيما يخص الاغتصاب فحسب، بل وفي قتلها. في تلك الليلة الأيّارية الممطرة، قد تسلل شيءٌ ما من داخله -مجهولٌ له - منطلقًا إلى هاماماتسو وخنق ذاك العنق الرقيق اللطيف الهش.

بإمكانه رؤية نفسه يطرق باب شقتها. ”هل تسمحين لي بالدخول؟“ قال في هذه الرؤية ”لديَّ شيء أحتاج أن قوله“ كان مرتديًا معطفًا مطريًا مبللًا أسودَ اللون، ورائحة المطر الثقيل تحلّق من حوله.

”تسوكورو؟“ تسأل يوزو.

"ثمة مسألة أود الحديث بشأنها معك" يقول "مسألة بمنتهى الأهمية. هي السبب وراء مقدمي إلى هاماماتسو. لن يستغرق الأمر طويلا. أرجوك افتحي الباب". بقي متوجهًا نحو الباب المغلق. "أعتذر لظهوري بهذا الشكل من دون أتصل. لكن لو تواصلت معكِ سلفا فمن المحتمل أنك لن تريننى".

تتردد يوزو، ثم تسحب فاتحةً بهدوء سلسلة القفل. قبضت يده اليمنى بشدة على الحزام من داخل جيبه.

كشّر تسوكورو. لماذا كان مضطرًا لتخيل هذا المشهد المرعب؟ ولماذا توجب عليه هو أن يكون الشخص الذي خنقها؟

ما من أسباب مطلقًا ليكون هو من فعلها، بالطبع. لم يرغب تسوكورو قط بأن يقتل أحدًا. لكنه ربما قد حاول أن يقتل يوزو بطريقة رمزية بحتة. تسوكورو نفسه لا يملك فكرةً عن أي ظلام عميق يقبع مستترًا في قلبه. ما عرفه كان في داخل يوزو حيث يقبع ظلام عميق وجوّاني أيضا. وفي مكان ما، وبمستوى غير معلوم، اتصلَّ ظلامها بظلامه. وكونها خُنقت، ربما، هو بالضبط ما رغبت به يوزو. وفي الظلام الممتزج بينهما، ربما أحسَّ بتلك الرغبة.

"تفكّر في يوزو؟" سألت أري.

"فكّرت بنفسي دومًا على أني ضحية" قال تسوكورو "أجبرت من دون سبب أن أعاني بقسوة. مجروحًا عاطفيًا بعمق، ومُزاحةً حياتي من مسارها. صدقًا، كرهتُ أربعتكم أحيانا، متسائلًا لمَ كنت الوحيد الذي اضطرَّ أن يمر بتلك التجربة المريعة. لكن ربما لم يكن الأمر هكذا. ربما لم أكن الضحية، قد أكون آذيت شخصًا ما حواليَّ دون أن أدرك ذلك. وجرحت نفسي مجددًا بهجمة مضادة".

حدَّقت إري إليه دون كلمة.

”ربما أنا من قتل يوزو“ قال تسوكورو بصدق ”ربما يكون الشخص الذي طرق بابها تلك الليلة هو أنا“.

”بطريقة ما“ قال إري.

أومأ تسوكورو.

”قتلت يوزو أيضا“ قالت إري ”بشكل ما“ وصرفت نظرها جانبًا. ”ربما أنا التي طرقت بابها تلك الليلة“.

نظرَ تسوكورو إلى محياها المسفوع الجميل. أحبَّ دومًا أنفها بأرنبته المرفوعة إلى الأعلى قليلًا.

”على كلينا أن يحيا مع ذلك العبء“ قالت إري.

انتهى هبوب الريح تماما للحظة وسكنت الستارة البيضاء المعلقة قرب النافذة. توقف ارتطام القارب برصيف البحيرة. الشيء الوحيد الذي كان يمكن سماعه- تغريدَ الطيور وهي تشدو نغمةً لم يسمعها من قبل قط.

استمعت إري إلى الطيور برهة، ثم التقطت المِشبك وثبتت شعرها إلى الخلف مرة أخرى، وضغطت برفق بأصابعها على جبهتها. ”ما رأيك بعمل أكا؟“ سألت. كما لو أزيح ثقلٌ عن كاهلها، وتدفق تيار الزمن ببطء.

”لا أعلم“ قال تسوكورو ”العالم الذي يعيش فيه بعيدٌ جدًا عن عالمي. ومن الصعب عليَّ القول فيما لو كان عمله جيدًا أو سيئًا“.

”لستُ متأكدة من ماهية عمله. لكن هذا لا يعني أن بمقدوري قطع صلتي به. اعتاد أن يكون أفضل أصدقائي، حتى أنا ما زلت أعدَّه صديقًا طيبًا على الرغم أني لم أره منذ سبع أو ثمان سنوات“.

وضعت يدها على شعرها مجددا. ”يتبرَّع أكا كل سنة بمبلغ ضخم إلى الكلية الكاثوليكية التي تدعم المدرسة حيث عملنا متطوعيين. الناس

هناك ممتنون جدًا لما يفعله. المدرسة بالكاد تدير شؤونها المالية. لكن لا أحد يعرف أنه من يتبرع. يُصرُّ على البقاء مجهولا. من المحتمل أني الوحيدة مع الأشخاص الذين يديرون المدرسة من نعرف أنه يتبرع كثيرًا. وقد اكتشفتُ المرة بمحض الصدفة. تعلم، تسوكورو، أنه ليس شخصًا سيئًا. أود أن تدرك هذا. إنه يتظاهر فحسب ليظهر بشكل سيئ، هذا كل ما في الأمر. لا أدري ما السبب، ربما مضطرٌ لهذا".

أومأ تسوكورو.

"وينطبق الأمر نفسه على أو" قالت إري "ما زال يملك قلبًا نقيًا. المسألة برمتها أنه من الصعب البقاء حيًا في العالم الحقيقي. إنهما ناجحين أكثر من الأغلبية في مجالي عملهما المختلفين، ويبذلان الكثير من الصدق والجهد. ما أحاول قوله إننا لم نضع الوقت لأننا كنا معا- الأسلوب الذي عشناه مع بعض في مجموعة. أومن بهذا حقًا، حتى وإن كان الأمر لسنوات قصيرة معدودة فحسب".

أمسكت إري وجهها بيديها مرة أخرى. وصمت وهلة، ثم رفعت ناظريها واستمرت.

"لقد نجونا. أنت وأنا. ومن ينجو فإن عليه واجبًا. وواجبنا هو بذل أفضل ما نملك لنستمر في الحياة. حتى لو كانت حياتنا غير مثالية".

"أفضل ما يمكنني القيام به هو الاستمرار في بناء محطات القطارات".

"هذا حسن. وهو ما يتوجَّب عليك الاستمرار بفعله. متأكدة أنك تبني محطاتٍ رائعةً جدًا، وآمنة، حيث يسعدُ الناس استخدامُها".

"آمل ذلك" قال تسوكورو "لا يُفترض علينا فعل هذا، لكن حين أشرف على تشييد قسم من المحطة فدائما ما أضع اسمي فوقه. أكتبه

فوق الأسمنت الرطب بظفري. تسوكورو تازاكي. حيث لا يمكن لك رؤيته من الخارج‘‘.

ضحكت إري. ’’إذن، حتى لو متَّ فستبقى محطاتك البديعة. مثل ما أفعله بوضع حرفي اسمي الأوليين على ظهر الأواني التي أصنعها‘‘.

رفع تسوكورو رأسه ونظر باتجاه إري. ’’ألديك مشكلة لو تحدثت عن حبيبتي؟‘‘.

’’لا، بالطبع‘‘ قالت إري، وعلت شفتيها ابتسامة ساحرة. ’’كلي أذان صاغية مُحبَّة لسماع ما يخص الحبيبة الحكيمة والتي تكبرك سنًا‘‘.

أخبرها تسوكورو عن سارة. كيف ألفاها جذّابة بتفرد منذ أول مرة رآها، وكيف ذاقا نشوة الحب في موعدهم الغرامي الثالث. وكيف رغِبتْ بمعرفة كل شيء عن مجموعة الأصدقاء التي كان ضمنها في ناغويا. وكيف كان في آخر مرة معها عاجزًا جنسيًا. حدثها تسوكورو عن كل شيء ولم يخفِ شيئًا. وكيف حضَّته سارة على زيارة أصدقائه السابقين في ناغويا، وأن يسافرَ إلى فنلندا. أخبرته بأنه ما لم يفعل ذلك فلن يتغلب أبدًا على الأعباء العاطفية التي ما زال يتكبد مشاق حملها. شعر تسوكورو أنه يحب سارة. وفكّرَ برغبته بالزواج منها. ربما كانت هذه أول مرة على الإطلاق التي شعر بها بعواطف جياشة تجاه شخص ما. لكن بدا أن لديها حبيب آخر يكبرها سنًا. وعندما رآها تتمشى معه في الشارع فقد كانت سعيدة جدًا، وبمنتهى الرضا، لكنه لم يكن واثقًا أبدًا أن بمقدوره أن يسعدها إلى ذلك الحد.

أنصتت إري بانتباه، ولم تقاطع. وفي الأخير تكلمت.

’’أتدري، تسوكورو، أنت بحاجة إلى أن تتشبث بها. بغض النظر عن أي شيء، فإني أعتقد هذا حقًا. إذا تركتها ترحل الآن، ربما لن تحظى أبدًا بشخصٍ آخر في حياتك‘‘.

،،لكني لا أملك أدنى ثقة،،.

،،ما السبب؟،،.

،،لأني لا أحسُّ بذاتي. لا أملك شخصية، ولا لون مميز. لا أملك شيئًا لأقدمه. دائما ما كانت هذه مشكلتي. أشعر أني وعاءٌ خاوٍ. لدي شكلٌ، أعتقد مثل حاوية وما من شيء في داخلها. ليس بمقدوري رؤية نفسي أني الشخص الملائم لها. أظن، كلما مرَّ الوقت؛ عرفتني أكثر، وفي كل مرة يخيب أملها فيَّ؛ ستختار إبعاد نفسها عني،،.

،،عليك أن تتحلى بالشجاعة، وأن تكون واثقًا من نفسك. أعني، اعتدتُ أن أحبك، أليس كذلك؟ وفي وقت ما كنت راغبة في بذل حياتي لأجلك، وفعل أيّ ما تطلب مني فعله. وقد انتابت ذات يوم امرأة واقعية وشهوانية هذه الرغبةُ وبشكل جارف. هذا هو معدنك الثمين. لستَ خاويًا على الإطلاق،،.

،،أقدّر ما تقولينه،، قال تسوكورو ،،أقدر هذا حقًا. لكن هذا ما كان وقتئذ. ماذا عن الآن؟ أنا في السادسة والثلاثين، وعندما أفكر بمن أنا؟ أبدو مرتبكًا أو ربما مرتبكًا أكثر من أي مرة كُنتها على الإطلاق. لا يمكنني معرفة ما يجب عليَّ فعله. لم ينتبني قط شعورٌ بهذه القوة تجاه أي شخصٍ من قبل،،.

،،دعنا نقل إنك وعاءٌ فارغ. ما المشكلة؟ أين الخطأ في ذلك؟،، قالت إري ،،ما تزال وعاءً رائعًا وجذابًا. وفي الحقيقة، هل يعرف كل شخص ذاته؟ إذن، لماذا لا تكن وعاءً جميلًا بالكامل؟ ذاك الصنف الذي يشعر الناس بالطيبة تجاهه، الصنف الذي يرغب الناس بائتمانه على أمتعتهم النفيسة،،.

فهم تسوكورو ما كانت ترمي إليه. لكن هل هذا مناسب له ليتبعه أو لا، فقد كان سؤالا آخرَ.

"عندما تعود إلى طوكيو" قالت إري "أخبرها بكل شيء. أن تكون منفتحًا وصادقًا فهي الطريقة المثلى دائما للمضي قدما. لكن إياك أن تذكر لها أنك رأيتها مع ذلك الرجل. ابقِ الأمر لنفسك. ثمة بعض الأشياء ترغب النساء ألا يراها أناسٌ آخرون. عدا ذلك، أخبرها بكل شيء تشعر به".

"أنا خائف إري. لو ارتكبت خطأً ما، أو زلّ لساني بهفوة، خائف من أحطّم كل شيء وأن تزول علاقتنا إلى الأبد".

هزّت إري رأسها ببطء. "الأمر مختلف عن بناء المحطات. إذا كان الأمر بمنتهى الأهمية، فإن الخطأ الصغير لن يدمره كليا، أو يجعله يتلاشى. قد لا يكون الوضع مثاليًا، لكن الخطوة الأولى تبني المحطة في الحقيقة. أليس كذلك؟ وإلا لن تتوقف القطارات هناك. ولا يمكنك مقابلة الشخص الذي يعني لك الكثير. إن وجدتَ خللًا ما بإمكانك تقويمه لاحقا بقدر ما يتطلّب. تعامل مع الأمور بأولوياتها. ابنِ المحطة. محطة خاصة لها فقط. ذاك النوع من المحطات التي ترغب القطارات أن تتوقف فيها حتى لو لم تكن سببًا للتوقف. تخيّل محطة كهذه، وامنحها لونًا حقيقًا وشكلًا. اكتب اسمك على الأساس بظفرك، وانفخ الحياة فيها. أعلم أنك تملك القوة لفعل ذاك. ولا تنسَ- أنت الذي سبحتَ عابرًا البحر المتجمد ليلًا.

طلبت إري منه البقاء على العشاء.

"لقد اصطادوا سمكة كبيرة طازجة. نقليها مع الأعشاب فحسب بالمقلاة، لكن مذاقها رائع. سيسعدنا بقاؤك وتناولك الطعام معنا".

"شكرًا لك، أفضل العودة. أريد الوصول إلى هلسنكي والسماء ما تزال مُضيئة".

ضحكت إري ”ما تزال مضيئة؟ إنه الصيف في فنلندا. وتبقى السماء مضيئة الليل بطوله تقريبا“.

”أعلم، لكني أرغب بهذا“. حسمَ تسوكورو الأمر.

فهمت إري كيف شعرَ.

”شكرًا لقدومك قاطعًا كل هذه المسافة لتراني“ قالت ”أعجز عن إخبارك مدى سعادتي لتمكننا الحديث معًا بهذا الشكل. أشعر حقًا بأن عبئًا عظيمًا قد أُزيحَ، عبءٌ كان سيثقلني إلى الأبد. لا أقول إن هذا يحلُّ كل شيء لكنه منحني راحة كبيرة“.

”أشعر بذات الشعور“ قال تسوكورو ”الحديث معك أعانني كثيرًا، وأنا سعيد لتمكنني من مقابلة زوجك وابنتيك، ورؤية أي حياة تعيشينها هنا. هذا لوحده يجعل الرحلة تستحق العناء“.

غادرا القمرة ومشيا حيث كانت سيارته الغولف فولكسواغن مركونة، ببطء وتأنٍ كما لو أنهما يزنان قيمة كل خطوة. عانق بعضهما الآخر مجددًا، وفي هذه المرة، لم تكن تبكي. شعر بابتسامتها اللطيفة فوق عنقه، وبثدييها المكتنزين يضغطان على صدره، وممتلئين بالحيوية للاستمرار بالحياة. كانت أصابعها الضاغطة على ظهره قوية وحقيقية.

تذكّر تسوكورو فجأة الهدايا التي اشتراها من اليابان لأجلها وللأطفال. أخرج الهدايا من حقيبة الظهر في السيارة وسلمها إياها، صندوق مشابك خشبي لإري وكتب تصاوير يابانية للأطفال.

”شكرًا لك تسوكورو“ قالت إري ”لم تتغير على الإطلاق. كنت دومًا لطيفا جدًا“.

”لا شيء يُذكر“ ردَ تسوكورو. تذكَّرَ تلك الأمسيّة حينما ذهب لشراء الهدايا، ورأى سارى تنزل باتجاه أومتيساندو رفقة ذاك الرجل.

لو أنه لم يفكر بشراء الهدايا لم يكن ليشهدَ ذلك المشهد. ما أغربَه من أمر.

،،الوداع، تسوكورو تازاكي. لترافقك السلامة برحلة العودة،،. قالت إري عندما توادعا ،،لا تترك العفاريت الشريرة تغلبك،،.

،،العفاريت الشريرة؟،،.

ضاقت عينا إري، والتوت شفتاها بخبث كما في الأيام الخوالي ،،نقول هذا كثيرًا هنا "لا تترك العفاريت الشريرة تغلبك". عاشت العديد من المخلوقات في هذه الغابات منذ قديم الأزمان،،.

،،فهمت،، ضحكَ تسوكورو ،،سأُبقي عينًا متيقظة عليهم،،.

،،إذا أُتيحت لك الفرصة،، قالت إري ،،أعلمْ أكا وأو أني بأحسن حال هنا،،.

،،سأفعل هذا،،.

،،أعتقد أن عليك الذهاب وأن تراهم أحيانا. أو اجتمعوا معا، ثلاثتكم. لأجلك ولأجلهم،،.

،،موافق. قد تكون هذه فكرة حسنة،، قال تسوكورو.

،،وستكون حسنة لي أنا أيضا،، قالت إري ،،حتى لو لم أستطع أن كون برفقتكم،،.

أومأ تسوكورو. ،،عندما تستقر الأوضاع سأفعل هذا بالتأكيد. لأجلك أيضا.

،،لكن أليس هذا غريبًا؟،، قالت إري.

،،أيُّ شيء؟،،.

،،أن تؤول الأوقات المذهلة من حيواتنا إلى الزوال وألا تعود أبدا. أن يبتلعَ تدفقُ الزمن كلَّ الأمور الجميلة التي فعلناها،،.

أومأ تسوكورو بصمت. فكّرَ بأن عليه قول شيء ما، لكن حُبسَ لسانه.

"الشتاء هنا طويل جدًا" قالت إري محدقةً إلى البحيرة، وبدت كما لو أنها آخذة نفسها إلى مكان بعيد كثيرا. "الليالي في منتهى الطول وتبدو أنها أبدية. ويتصلَّب كل شيء متجمدًا كما لو أن الربيعَ لن يأتي. وتلجني كل أنواع الأفكارُ الظلامية، بغض النظر عن كثرة محاولتي لتجنبها".

ما زالت الكلمات محبوسة في فيه. اتَّبعَ تسوكورو بصمت تحديقها إلى سطح البحيرة. ثمة ماء فحسب، بعد أن ركب في الرحلة المتوجهة مباشرةً إلى ناريتا وشدَّ حزام مقعده، أتت الكلمات، الكلمات التي توجبَّ عليه قولها. بدا أن الكلمات المناسبة دائما ما تأتي متأخرة.

أدار المفتاح وشغَّل المحرك. تنبَّه محرك الغولف رباعي الأشواط من نومه العميق القصير واستعاد إيقاعه ببطء.

"وداعًا" قالت إري "كن بخير. واعمل على التمسك بسارة. أنت بحاجة إليها حقًا".

"سأحاول".

"تسوكورو، ثمة أمر أودك أن تتذكره. لستَ عديم اللون. كانت هذه مجرد أسماء. أعلم أننا غالبا ما ضايقناك بشأنه، لكن كانت مزحة غبية فحسب. تسوكورو تازاكي شخص رائع، وملوَّن. شخص يبني المحطات المذهلة. مواطن بسن السادسة والثلاثين يتمتع بالصحة، وناخب، ودافع ضرائب- ذاك المرء الذي استطاع الطيران كل هذه المسافة إلى فنلندا ليراني فقط. لم تفقد أيَّ شيء. كن واثقًا من نفسك وجريئًا. هذا كل ما تحتاجه. لا تسمح للخوف والكبرياء الغبية أن يجعلاك تخسر شخصًا عزيزًا عليك".

هيّأ السيارة للانطلاق وداس على دواسة البنزين. أخرج يده من النافذة المفتوحة ولوَّح بها. لوَّحت إري. بقيت تُوِّلح رافعة يدها إلى الأعلى.

اختفت في نهاية المطاف من بين الأشجار. كل ما رآه في المرآة العاكسة كان الأخضر المُدهام للصيف الفنلندي. بدا أن الريح هبَّت مجددًا، وتحركت موجات صغيرة على سطح البحيرة. ظهر شاب طويل في زورق كاياك فوق المياه، يجدف ببطء وصمت عبر المياه مثل فريرة عملاقة.

من المحتمل ألا أعود إلى هنا مجددًا، فكّر تسوكورو. ولن أرى إري مجددًا. لدى كلانا مساره الخاص ليتبعه، في بلدينا. كما قال أو ما من عودة. اندفع الحزن بعدها، بصمت، مثل الماء بداخله. حزنٌ متنقل بلا شكل. حزنٌ بإمكانه تلمسه، على الرغم أنه كان بعيدًا جدًا ليصلَ. ضربَ الألم صدره كما لو أنه يخلعه، وبالكاد استطاع التنفس.

عندما وصل إلى الطريق المعبَّد، ركنَ السيارة على جانب الطريق، وأطفأ المحرك، انحنى فوق مِقود القيادة وأطبق جفنيه. كان قلبه يخفق بسرعة وأخذَ أنفاسًا عميقة وبطيئة. وعندما شهقَ لاحظ فجأة شيئًا باردًا وصلبًا بالقرب من منتصف جسده- مثل قلب الأرض الصلب الذي بقيَ متجمدًا كل هذه السنوات الطويلة. كان هذا مصدر الألم في صدره، وسبب صعوبة التنفس. لم يعلم قط -حتى هذه اللحظة- أن شيئًا كهذا موجودٌ بداخله.

مع ذلك فإن هذا الألم، وهذا الإحساس بأنه يُخنق ما كان يحتاجه. كان بالضبط ما أراد أن يعترف به ويواجهه. من الآن فصاعدًا عليه أن يجعل هذا القلب البارد ينصهر، شيئًا فشيئًا. قد يستغرق وقتًا، لكن هذا ما عليه القيام به. حرارة جسده لم تكن كافية لصهر هذا الجسم البارد؛ احتاج إلى حرارة شخص آخر.

في المقام الأول عليه العودة إلى طوكيو. هذا ما توجبَّ فعله أولا. أدار المفتاح وشغّل المحرك مجددًا.

في الطريق إلى هلسنكي، دعا تسوكورو لئلا تكون إري قُد وقعت تحت رحمة أيّ من عفاريت الغابة الشريرة. كل ما استطاع فعله في هذه اللحظة كان الدعاء.

الفصل الثامن عشر.

أمضى تسوكورو اليومين المتبقيين من رحلته في التجول في شوارع هلسنكي، كانت تمطر أحيانًا برشات خفيفة لم تزعجه، فكر في أشياء كثيرة أثناء مشيه، كان لديه الكثير ليفكر فيه، وأراد أن يرتب أفكاره قبل أن يعود إلى طوكيو، عندما سئم من المشي أو التفكير؛ توقف عند مقهى وتناول قهوة وشطيرة، اكتشف أنه ضل دون أن يعرف مكانه، إلا أن ذلك لم يزعجه أيضًا، لم تكن هلسنكي مدينة ضخمة، وكانت شبكات الترام في كل مكان، كان ضياعه في شوارع المدينة يشعره بالرضا، وفي آخر ظهيرة له في المدينة؛ ذهب إلى محطة هلسنكي المركزية، جلس على مقعد، وقضى وقته يشاهد القطارات الذاهبة والقادمة.

من المحطة، اتصل بأولغا على هاتفه الخلوي ليشكرها، "وجدت منزل عائلة هاتينن على ما يرام" قال لها "وقد تفاجأت صديقتي لرؤيتي، إن هامينلينا بلدة جميلة".

"هذا رائع، ومدهش" أجابت أولجا، بدت سعيد له حقا.

"أود أن أدعوكِ للعشاء لأشكرك".

"أقدر لك دعوتك، لكن لدي اليوم مناسبة عيد ميلاد أمي وسأتناول العشاء مع والديّ في المنزل، ولكن لا تنسى أن تبلغ سارة تحياتي".

"سأفعل، وشكرًا لكِ على كل شيء".

في المساء، قصد مطعم أوصت به أولجا بالقرب من الميناء حيث تناول وجبة مأكولات بحرية مع نصف كوب من تشابليس مبردة، جلس هناك يفكر في آل هاتينن، فالآن يجب أن يجلس أربعتهم حول المائدة، هل كانت الرياح ما تزال تعصف على البحيرة؟ وما الذي كانت تفكر فيه

إري في هذه اللحظة بالذات؟ وللحظة شعر بدفء أنفاسها بالقرب من أذنيه.

عاد إلى طوكيو صباح يوم السبت، فضَّ أمتعته، ثم أخذ حمامًا استرخائيًّا، وقضى بقية اليوم مشغولاً بمهام عشوائية، حالما عاد، فكر في الاتصال سارة، وبدأ في الاتصال بها لكنه أغلق الهاتف بعد ذلك، كان يحتاج إلى مزيد من الوقت للتفكير، فرغم أنها كانت رحلة قصيرة، فإن الكثير من الأشياء حدثت بها، كان لا يزال يتنابه شعورغير مصدق أنه عاد إلى طوكيو، شعر وكأنه منذ برهة قصيرة كان بجوار البحيرة في هامينلينا، يستمع إلى صوت هبوب الريح، وبغض النظر عن ما قاله لسارة، كان يحتاج أن يختار كلماته بعناية.

أنهى الغسيل المتراكم، ألقى نظرة سريعة على أكوام الصحف المتكدسة، ثم خرج قبل المساء ليشتري بعض الطعام، على الرغم من انعدام شهيته، شعر بالنعاس الشديد قبل أن يهبط الليل ربما بسبب اضطراب الرحلات الجوية الطويلة التي خاضها، استلقى في السرير عند الثامنة والنصف، وقبل منتصف الليل تنبه من نومه فجأة، حاول قراءة الكتاب الذي كان قد بدأه في الطائرة، وجد صعوبة في التركيز وكان ذهنه لم يصفى تمامًا بعد، لذا بدلًا من ذلك نظّف شقته.

عاد إلى فراشه قبيل الفجر، استسلم لنوم عميق استيقظ على إثره ظهيرة يوم الأحد، كانت ظهيرة مشمسة تنبئ بيوم حار، شغّل مكيف الهواء، أعد كوبًا من القهوة بجانبه شريحة خبز محمص وجبن سائل.

بعد أن استحم، اتصل بمنزل سارة، حوله الهاتف إلى البريد الصوتي، سمِع صوت "يرجى ترك رسالة بعد الصافرة" تردد، ثم أغلق سماعة الهاتف دون أن يقول أي شيء، كانت الساعة بعد الواحدة ظهرًا، كان على وشك أن يتصل بهاتفها الخلوي، لكنه تراجع عن الأمر.

قد تكون تتناول الغداء في يوم إجازتها مع صديقها، فالوقت مبكر قليلا لأن يكونوا يمارسوا الحب، وتذكر تسوكورو رجلاً رآه معها يمشيان على يدًا بيد في أوموتيساندو.

لم يستطع مسح الصورة من ذهنه، استلقى على الأريكة متخيلًا صورًا عدة تدق في رأسه، فجأة شعر كما لو أن إبرة حادة رقيقة وغير مرئية طعنته في ظهره، كان الألم ضئيلاً، ولم يكن هناك أية دم، لكنه لا يزال مؤلمًا.

ركب دراجته وتوجه إلى صالة الرياضة، سبح مسافته المعتادة في المسبح، بقي جسده خدرًا بشكل غريب، وطوال مدة السباحة ظل يشعر بالنوم لعدة مرات، بالطبع لا أحد يمكنه السباحة والنوم في الوقت نفسه، لكنه بتلك الوضعية أصبح يبدو بهذه الطريقة وكأنه يحرك جسمه مثل الطيار الآلي، مما جعل هذا الأمر يبعد عنه أية أفكار عن سارة أو عن ذلك الرجل الذي كان معها فكان ممتنًا لهذا الوضع.

عاد إلى المنزل من السباحة وأخذ غفوة مدة ثلاثين دقيقة، كانت غفوة عميقة بلا أحلام، جعلت إدراكه ينطفئ حالما وضع رأسه على الوسادة، بعد ذلك كوى بعض القمصان والأوشحة وأعد عشاءه، شوى سمك سلمون مع الأعشاب في الفرن، ثم قطّر فوقه فوق بعض قطرات الليمون، وتناوله مع سلطة بطاطس، إضافة إلى حساء التوفو والبصل الأخضر، شرب بعد ذلك نصف بيرة باردة، شاهد نشرة الأخبار على شاشة التلفزيون، ثم استلقى على الأريكة وشرع بالقراءة.

قبيل التاسعة مساءً اتصلت به سارة، سألته في البداية "كيف كانت رحلة طيرانك الطويلة؟".

"تسببت بتخريب جدولة نومي فقط، لكنني بخير".

"هل يمكننا أن نتحدث الآن؟ أو تراك نعسان؟".

"أشعر بالنعاس، لكنني أستطيع البقاء مستيقظًا لساعة، سأذهب إلى العمل غدًا ولا يمكنني أن أغفو في المكتب".

"جيد، شخص ما اتصل بمنزلي قرابة الواحدة بعد ظهر اليوم، هل كان أنت؟ إنني أنسى كثيرًا أن أتفقد قائمة المكالمات الفائتة وللتو لاحظت أنني استقبلت مكالمة".

"لقد كان أنا".

-"لقد كنت أتسوّق في الحي".

"إمم".

"لكنك لم تترك رسالة".

"لا أتقن فن ترك الرسائل الصوتية، أشعر بنوع من التوتر ولا أعرف ماذا أقول".

"في الأقل، قل اسمك فحسب".

"أنت على حق، كان علي أن أفعل ذلك في الأقل".

توقفت للحظة ثم قالت "كنت قلقة عليك، لم أكن أعلم كيف سارت رحلتك، كان عليك أن تترك لي رسالة قصيرة تطمئنني بها".

اعتذر تسوكورو لها "أنا آسف، أعلم أنه كان علي إخبارك، بالمناسبة كيف كان يومك؟".

"أنهيت الغسيل، وذهبت للتسوق، وطبختُ، ونظفتُ المطبخ ودورة المياه، أحيانًا أشعر أنني أحتاج هذا النوع من أيام الإجازات الهادئة". صمتت برهة ثم قالت "هل كنت قادرًا على الاهتمام بكل شيء في فنلندا؟".

"رأيت كورو، تحدثنا كثيرًا أثناء اللقاء، لقد ساعدتني أولجا في هذا الأمر جدا".

"سعيدة لذلك، إنها فتاة جميلة، أليست كذلك؟".

"إنها كذلك حقا". أخبرها عن رحلة القيادة مدة ساعة ونصف من هلسنكي إلى مدينة جميلة على ضفاف البحيرة لرؤية إري (أو كورو)، وكيف تعيش في كوخ صيفي مع زوجها وطفلتيها الاثنتين وكلب، وأخبرها أيضًا كيف يقومان هي وزوجها بصناعة الفخار في غرفة صغيرة مجاورة.

"لقد بدت سعيدة، يبدو أن الحياة في فنلندا تلائمها كثيرًا." قال تسوكورو، باستثناء بعض ليالي الشتاء المظلمة الطويلة، لكنه لم يقل هذه التتمة.

"هل كان الأمر يستحق الذهاب إلى فنلندا؟" سألته سارة.

"أعتقد ذلك، هناك بعض الأشياء التي لا يمكن التحدث بها إلا وجهًا لوجه، لقد اتضحت لي الكثير من الأشياء، لم أجد كل الإجابات التي كنت أبحث عنها، لكنها كانت تستحق هذا العناء، أعني على الصعيد العاطفي".

"رائع، أنا سعيدة جدًا لسماع ذلك".

تبع ذلك صمت قصير، صمت موحٍ كما لو كانت تقيس اتجاه الريح، ثم تابعت حديثها "صوتك أيبدو مختلفًا، أم إنني فقط أتخيل ذلك؟.

"لا أعرف، ربما تشعرين بذلك كونني متعب، إذ لم أسافر في رحلة طويلة كهذه من قبل".

"لكنك لم تواجه أية عقبات، صحيح؟".

"لا، لم أصادف شيئًا، لدي الكثير لأخبرك به، لكن ذلك سيستغرق وقتًا طويلاً، لذلك أود أن أراك قريبًا وأحكي لك القصة كاملة، من البداية وحتى النهاية".

"رائع، لنلتقي قريبًا، على أية حال، أنا سعيدة كون رحلتك إلى فنلندا لم تكن مضيعة للوقت".

"شكرا على كل ما بذلتيه من مساعدة، أقدر لك ذلك جدًّا".

"على الرحب والسعة".

تبع ذلك صمت قصير آخر، استمع لـه تسوكورو بـاهتمام، إذ إن الشعور بوجود شيء لم يُتَحَدّث عنه ما زال موجودًا، قرر تسوكورو أن يخاطر ويتجرأ فقال "هناك شيء أود أن أسألك عنه، ربما كان سيكون من الأفضل لو لم أسأل، لكنني أعتقد أنـه علي أن أتماشى مع ما أشعر به".

"بالتأكيد، تفضل، عليك أن تستجيب لما تشعر بـه، اسألني أي شيء".

"لا يمكنني العثور على الكلمات الصحيحة لقول ذلك، لكنني أشعر أنكِ تقابلين شخصًا آخر، معي، هذا ما أشعر به ولقد ظل هذا الشعور يزعجني طوال الوقت".

لم ترد سارة على الفور، ثم سألت أخيرًا "هل لديك هذا الشعور؟ هل تقول أنك -لسببٍ من الأسباب- تشعر بهذا النوع من الشعور؟"

"صحيح، أشعر بذلك لسبب من الأسباب، ولكن مثلما قلت من قبل، أنا لست الشخص الأكثر حدسًا في العالم، إذ إن دماغي مهيأ بشكل تلقائي لأن يصنع الأشياء، الأشياء الملموسة، مثلما يعني اسمي، لعقلي بنية يسيرة جدا، وتتجاوزني التفاصيل المعقدة لعقول الآخرين، وحتى عندما أكون رأيي الخاص حول الأمور، غالبًا ما أكون مخطئًا تمامًا عندما يتعلق الحدث بأمور دقيقة كهذه، لذلك أحاول تجنب التفكير في أي أمر معقد، ولكن هذا الأمر يثقل علي منذ فترة، فظننت أنـه يجب أن أسألك، بدلاً من أن أحاول التملص منه دون جدوى".

"فهمت".

"إذًا، هل هناك شخص آخر؟".

صمتت.

"لطفًا أود أن تفهمي أنه إذا ما كان هناك شخص آخر، فأنا هنا لا أنتقدك، علي أن أهتم بأموري الخاصة، ليس لي الحق في أن أطالبك بأي شيء، وليست لديك أية التزامات نحوي، فقط أريد أن أعرف ما إذا كان ما أشعر به خاطئ أم لا".

تنهدت سارة ثم قالت "أفضّل ألا تستخدم كلمات مثل (الالتزام والحقوق) إذ تجعل الأمر يبدو كما لو أنك تناقش مراجعة للدستور أو شيء من هذا القبيل".

"حسنا، لم أستخدم المفردات الصحيحة، كما قلت أنا شخص بسيط جدا، ولا أعتقد أنه يمكنني التعامل مع الأمر وأنا أشعر بما قلت".

ظلت سارة صامتة للحظة، كان يمكنه أن يتصور شكلها بوضوح وهي ممسكة الهاتف بيدها زامّة شفتيها بضيق، ثم تحدثت أخيرًا بصوت ناعم "أنت لست شخصًا بسيطًا، تحاول فقط أن تعتقد أنك كذلك".

"ربما كما تقولين، لا أعلم، لكن ما أعرفه حقًّا أن الحياة البسيطة تناسبني أكثر، جوهر الأمر أنني جُرِحتُ كثيرًا في علاقاتي مع الآخرين، جُرِحتُ بعمق، ولا أريد أن أُجرَح بذلك العمق مرة أخرى".

"أعلم ذلك، لقد كنتَ صادقًا معي، وأود أن أكون كذلك معك، لكن هل يمكنك منحي بعض الوقت قبل أن أجيبك؟".

"ما مقدار ذلك الوقت؟"

"ماذا عن ثلاثة أيام؟ اليوم الأحد، أعتقد أنه يمكننا التحدث يوم الأربعاء، ويمكنني الإجابة على سؤالك حينها، هل أنت متفرغ مساء الأربعاء؟".

"إنني متاح مساء الأربعاء". لم يكن عليه التحقق من جدوله فنادرًا ما يكون لديه خططًا.

"سنتناول طعام العشاء معًا، وبعده يمكننا مناقشة كل شيء، بكل صراحة، هل يناسبك ذلك؟".

"يبدو جيدا".

ثم انهيا الاتصال.

رأى تسوكورو حلمًا طويلاً. غريبًا تلك الليلة. كان جالسا أمام البيانو يعزف لحنًا ما -بيانو ضخم جديد، مفاتيحه البيضاء ناصعة البياض تمامًا، ومفاتيحه السوداء حالكة السواد تمامًا- مفتوحًا بدرجة عالية على الحامل الموسيقي، وقفت بجانبه امرأة بشعر أسود منسدل حتى وسطها ترتدي ثوبًا أسود ضيقًا وهادئًا تقلب له الصفحات بأصابعها الطويلة الباهتة بسرعة وبتوقيت لا تشوبه شائبة، ظهر له كامل ذلك المشهد بتدرجات الأبيض والأسود، ولم تكن هناك أية ألوانٍ أخرى.

لم تكن لديه فكرة عن مؤلف اللحن الذي عزفه، كانت مقطوعة طويلة، صفحاتها مليئة جدا لدرجة أنها تبدو مغطاة باللون الأسود، كان عزفها بمثابة تحدٍ، يتطلب تقنية عالية، إضافة أنه لم يسبق له أن رآها من قبل، لكنه كان لا يزال قادرًا على قراءتها، وتحويل المكتوب أمامه إلى صوت، تماما مثلما يتصور المرء مخطط معقد بتقنية ثلاثية الأبعاد، فقد كانت لديه هذه القدرة الخاصة حين تتسابق أصابعه العشرة على لوحة المفاتيح مثل زوبعة، كانت تجربة رائعة ومفعمة بالحيوية إذ تبدو وكأنك تفك بحر من الأكواد بسرعة قصوى وتعطي تلك الأكواد شكلًا ومضمونًا.

امتص جسده الإلهام مثل صاعقة برق ما بعد ظهيرة صيف، لموسيقاه هيكلة موسيقار طموح مبدع ذي جمال متفرد، عبّر عنها بصراحة وبدقة كاملة وملموسة، وأعطاها شعورًا قويا بالحياة في جانب منها لا يمكن التعبير عنه إلا من بالموسيقى، ارتعش عموده الفقري بوخزات فرح وفخر للأداء الموسيقي العظيم الذي قام به.

للأسف فإن الناس الجالسين أمامه كانوا يشعرون بعكس ذلك، كانوا يتململون منزعجين في مقاعدهم، كان بإمكانه سماع أصوات

حركة الكراسي وسعال الحضور، ولسبب ما كانوا غافلين عن القيمة الموسيقية لما يعزفه.

كان يعزف في قاعة كبيرة من قاعات البلاط الملكي، ذات أرضية رخامية ملساء، وسقف محدّب، مع كوّة جميلة في المنتصف، كان الحضور -البالغ عددهم خمسين شخصًا تقريبًا- يجلسون على كراسٍ أنيقة، وكانوا أفرادًا مثقفين مُهذّبين ومتحضّرين لكن لسوء الحظ لم يكونوا ممن يقدر جمالية تلك المعزوفة الرائعة.

مع مرور الوقت، ازدادت حدة الضجة التي يحدثونها، لدرجة أنها طغت على صوت الموسيقى، حتى لم يعد بإمكانه سماع عزفه، كان صوت الحضور صاخبًا بشكل كبير يتبعه أصوات السعال والاحتجاجات الساخطة، ظلت عيناه ملتصقتين بسطور المعزوفة، واستمرت أصابعه تنساق على المفاتيح، كما لو أنه يدُار بشكل تلقائي.

فجأة، أدرك أن المرأة الواقفة بجانبه والتي تقلب صفحات المعزوفة له كانت بستة أصابع جميعها بحجم إصبعها الصغير. لهثَ وشعر بقشعريرة في صدره، أراد أن ينظر إلى المرأة الواقفة بجانبه، من كانت؟ هل كان يعرفها؟ لكن إلى أن انتهت معزوفته لم يستطع أن يسترق النظر للحظة حتى عندما لم يعد هناك أي امرئ يستمع إليه.

عند ذلك استيقظ تسوكورو، أشارت الأرقام الخضراء للساعة الموضوعة على جانب سريره إلى الساعة ألـ 2:35، كان العرق يتصبب منه، وصوت نبضات قلبه يتجاوز صمت المكان، نهض من سريره، خلع رداء نومه وجفف نفسه بمنشفة، ثم ارتدى قميصًا جديدًا وغير ملابسه الداخلية، ورمى بنفسه على الأريكة في غرفة المعيشة، في ذلك الظلام، فكر في سارة، تعذب على كل كلمة قالها لها على الهاتف وشعر أنه لم يكن يجب عليه أن يقول ذلك.

أراد أن يتصل بها ويسترجع كل ما قاله، لكنها الثالثة صباحًا ولا يمكنه الاتصال بأي أحد في ذلك الوقت ناهيك عن أن يطلب منها نسيان ما قد قاله، وشعر أن ما حدث قد يتسبب بفقدانه إياها.

انتقلت أفكاره إلى إري، إري كورونو هاتينن والدة فتاتين صغيرتين، استحضرت مخيلته البحيرة الزرقاء خلف موقف أشجار البتولا البيضاء، القارب الصغير الذي تتقاذفه أمواج رصيف الميناء، الفخار وتصاميمه الجميلة، وزقزقة العصافير، ونباح الكلب، وأداء ألفريد بريندل البارع لمعزوفة "سنواتُ حجٍ" أحس بضغط ثدي إري عليه، أنفاسها الدافئة، وخديها المبللين بالدموع، شعر بكل الاحتمالات الضائعة، وبالوقت الذي لن يكن يعود أبدًا.

عند نقطة ما، كانا يجلسان مقابل بعضهما على الطاولة، صامتين، ولا يبحثان حتى عن كلمات، كانت آذانهم مأخوذة بأصوات الطيور في الخارج، التي شدت لحنًا غير عادي اخترق الغابة مرارًا وتكرارًا.

"الطيور الأم تعلم صغارها كيفية التغريد" ابتسمت ثم أكملت "حتى قدومي إلى هنا لم أكن أعرف قط أن الطيور يجب أن تُعَلّم كيف تُغرد" قالت له إري .

فكّر تسوكورو في أن حياتنا مثل معزوفة موسيقية معقدة، مليئة بجميع أنواع الكتابة المشفرة، والألحان الستة عشر والنوتات الاثنتين والثلاثين والعلامات الغريبة غيرها، ولهو من ضروب المستحيل أن تُفسَّر ذلك وعزفه بشكل صحيح، وحتى لو استطاع أحد ما ذلك، وثم حوّل ما فك شفرته وعزفه بالأصوات الصحيحة، فليس هناك ما يضمن أن الناس سيفهمونه بشكل صحيح، أو سيقدرون المعنى الكامن فيه، إضافة إلى أنه لا شيء سيضمن أن تلك المعزوفة ستكون سببًا في سعادة البشرية. ثم تساءل، لماذا على الطبيعة البشرية أن تكون معقدة بهذا الشكل؟.

"عليك أن تتشبث بسارة، إنك تحتاج إليها كثيرًا، كما أنك لا تفتقر إلى أي شيء، فقط كن واثقًا وجريئًا، فهذا كل ما تحتاجه". قالت إري

"ولا تدع أفكارك السيئة تنال منك".

فكر في سارة، تخيلها مستلقية وهي عارية بين ذراعي شخص آخر، لا، لم يكن شخصًا آخر بل لقد رأى ذلك الرجل، كانت سارة تبدو سعيدة جدًا، وتُظهر أسنانها البيضاء الجميلة ابتسامة عريضة، أغلق عينيه في الظلام وضغط بأطراف أصابعه على صدغيه، قرر أنه لن يمكنه مجاراة هذا الشعور أكثر مما فعل، حتى لو كان عليه أن ينتظر ثلاثة أيام فقط.

التقط تسوكورو سماعة الهاتف واتصل برقم سارة، كان الساعة قبيل الرابعة بقليل، رن الهاتف عدة مرات قبل أن ترفع سارة سماعة الهاتف للرد، قال تسوكورو "أنا آسف جدا لكوني أتصل بك في هذه الساعة، لكن علي أن أتحدث معك".

"هذه الساعة؟ ما الوقت الآن؟".

"قرابة الرابعة صباحًا".

"يا إلهي، لقد نسيت وجود مثل هذا الوقت" كان صوتها لا يزال نصف مستيقظًا، ثم قالت "إذًا، من مات؟".

"لم يمت أحد، لم يمت أحد بعد، لكني أحتاج أن أخبرك شيئًا الليلة".

"أي نوع من الأشياء؟".

"أحبك يا سارة وأريدك أكثر من أي شيء آخر".

عبر الهاتف سمع صوتًا خفيفًا، كما لو أنها تعثرت بشيءٍ ما، سعلت سعالًا خفيفًا، تلاه صوت إخراج القليل من الهواء.

"هل يمكنني التحدث معك حول هذا الموضوع الآن؟" سألها تسوكورو.

"بالطبع، أعني إنها ليست حتى الرابعة صباحًا، يمكنك أن تقول ما تريد لأيّ كان، فلا أحد يستمع لما تقول كون الجميع نائمين".

"أنا حقا أحبك، وأريدك". كرر تسوكورو

"هل هذا ما دفعك للاتصال بي في الرابعة صباحًا لتخبرني به؟".

"نعم".

"هل شربت حتى ثملت؟".

"لا، لم أشرب أية قطرة".

"فهمت، من وجهة نظر علمية، قد تصبح بلا شك شغوف جدًّا".

"إن الأمر مثل بناء محطة".

"كيف ذلك؟".

"أمر يسير، فإذا لم توجد محطة، لن تتواجد قطارات للتوقف في ذلك المكان، فالشيء الأول الذي أفعله هو أن أتخيل محطة في ذهني، وأعطيها اللون والمضمون، هذا يأتي أولا، حتى لو كانت هناك عيوب ما، فيمكن تقويمها لاحقًا، لقد اعتدت على هذا النوع من العمل".

"لأنك مهندس متميز".

"أود أن أكون كذلك".

"وأنت الآن تبني محطة خاصة لأجلي، إلى أن يدنو الفجر؟".

"هذا صحيح، لأنني أحبك وأريدك".

"أنا مغرمة بك، كثيرًا جدًا، وكلما التقينا أنجذب إليك أكثر" قالت سارة ذلك ثم توقفت، كما لو أنها تترك مسافة في الصفحة، ثم تابعت "ولكن الساعة تقترب من الرابعة صباحا الآن، حتى الطيور لم تستيقظ

من نومها بعد، يصعب علي التفكير بوضوح في مثل هذا الوقت، هل يمكنك الانتظار ثلاثة أيام أخرى؟".

"حسنًا، لكن ثلاثة أيام فقط، أعتقد أن هذا هو الحد الأقصى لي، لهذا السبب اتصلت بك في هذه الساعة".

"ثلاثة أيام كثيرة، تسوكورو، سألتزم بتاريخ انتهاء البناء، لا تقلق، سأراك مساء الأربعاء".

"أنا آسف لإيقاظك".

"لا بأس، يسعدني معرفة أن الوقت لا يزال مستمرًا في جريانه في الرابعة صباحا، هل بدأ النور بالتسلل؟".

"ليس بعد، ولكن سيبدأ بعد وقت قصير، وستبدأ الطيور بالزقزقة".

"الطائر المبكر التقط الدودة".

"نظريًّا".

"لكنني لا أعتقد أنني سأكون قادة على البقاء مستيقظة لرؤية ذلك".

"ليلة سعيدة".

"تسوكورو؟".

"إمممم؟".

"ليلة سعيدة، استرخ، واحصل على قسطٍ من الراحة".

وعند ذلك، أغلقت السماعة.

الفصل التاسع عشر.

تبدو محطة شينجوكو هائلة، ففي كل يوم يعبرها ما يقرب من 3.5 مليون شخص، كما أنها سجلت لها العديد من الأرقام القياسية العالمية في موسوعة غينيس وتوجت بكونها المحطة "الأكثر ركابًا في العالم"، ويعبر من خلالها عدد من خطوط السكك الحديدية، أهمها خط تشو وخط سوبو وخط يامانوتو وخط سايكو وخط شانون- شينجوكو وخط ناريتا، تتقاطع القضبان فيها وتتحد بطرق معقدة جدا، فهناك ستة عشر رصيفًا، إضافةً إلى أن هناك خطين خاصين للسكك الحديدية كخط أوداكيو وخط كييو، وثلاثة خطوط مترو أنفاق متصلة من الجانب، فهي متاهة كاملة، تتحول خلال ساعات الذروة إلى بحر بشري يتزايد ويحتدم ويزدحم عند المداخل والمخارج، فترى أمامك تيارات من الأشخاص الذين يغيرون قطاراتهم في خطوط متشابكة، مما يؤدي إلى حدوث دوامات خطيرة، في مشهد لا يمكن لأي نبي، فضلًا عن الصالحين، أن يفصل ذلك البحر العنيف المضطرب.

من الصعب تصديق أن هذا المشهد يتكرر كل صباح ومساء، خمسة أيام في الأسبوع، يتم التعامل مع هذا الحشد الهائل من البشر بكفاءة دون أية مشاكل كبيرة من قبل موظفي المحطة الذين لا يتهمهم أحد أبدًا بأنهم غير كفؤ لهذه المهمة.

تعد ساعة الذروة الصباحية مشكلة خاصة، إذ إن الجميع يسارعون للوصول إلى المكان الذي يريدون، وليكونوا حاضرين ساعة تسجيل دخولهم لأعمالهم، في وقت لا يكون فيه أحد في مزاج رائع، فهم لا يزالون متعبين، ونصف نائمين، وركوب القطارات يستنزفهم جسديًا وعاطفيًا، والمحظوظون في هذه المعمعة هم الذين يتمكنون من العثور على مقعدٍ خالٍ، كان تسوكورو مندهشًا دائمًا من أن أعمال الشغب لا تندلع في هذا المكان، ولا تحدث أية كوارث دموية مأساوية، فإذا ما

استهدفت جماعة متعصبة من الإرهابيين إحدى هذه المحطات أو القطارات المليئة بالناس، فسينجم عن ذلك الكثير من القتل والخسائر الفادحة في الأرواح، بالنسبة للأشخاص الذين يعملون في خطوط السكك الحديدية والشرطة، وبالطبع الركاب، وقد ظل هذا كابوسًا لا يمكن تصور السيناريو الخاص به، ولم تكن هناك أية طريقة لمنع ذلك حتى الآن بعد الكابوس الذي حدث بالفعل في طوكيو ربيع عام 1995.

الأصوات لا تنتهي في المحطة، أصوات موظفي المحطة على مكبرات الصوت بإعلاناتهم التي لا نهاية لها، صوت حركة القطار المتكرر، صوت الماسح الآلي لبطاقات السكك الحديدية، وتذاكر السفر، وعبور القطار. وتعلو أصوات القطارات الطويلة -وصولها ومغادرتها- كأصوات حيوانات مزرعة -مدربة تدريباً جيداً- طالت معاناتها، أصوات زفير واستنشاق الناس تُسمَع بانتظام، أصوات إغلاق البوابات وانفتاحها واندفاع الناس نحو المحطة التالية، ترتفع حشود الناس صعودًا ونزولًا على الدرج، وإذا ما انحرف شخص ما على قدمك وفقدت حذائك، فحظًا سعيدًا لك في استعادته! إذ يُبتلع الحذاء في موجة الحركة القوية لساعة الذروة ويختفي إلى الأبد، والشخص الذي تعرض لهذا الموقف يبقى بفردة حذاء واحدة طوال اليوم!

في أوائل التسعينيات، قبل انفجار فقاعة الاقتصاد في اليابان، نشرت جريدة رائدة في الولايات المتحدة صورة كبيرة التقطت في صباح يوم شتوي لركاب متجهين إلى أسفل الدرج في ساعة الذروة في محطة شينجوكو (أو ربما محطة طوكيو - فالأمر نفسه ينطبق على كليهما)، كما لو كان بالاتفاق، كل الركاب يحدقون إلى أسفل، تعبيراتهم متوترة وغير سعيدة، ويبدون كأسماك هامدة معبأة في علبة أكثر من كونهم أشخاصًا، وكُتِب التعليق: "قد تكون اليابان غنية، ولكن معظم اليابانيين يبدون منبوذين وغير سعيدين". وأصبحت الصورة مشهورة نتيجةً لذلك.

لم يكن لدى تسوكورو أي فكرة عما إذا كان معظم اليابانيين -كما ادعى المقال- غير سعيدين، لكن السبب الحقيقي في أن معظم الركاب ينظرون إلى الأسفل أثناء النزول على الدرج في محطة شينجوكو ليس لأنهم غير سعيدين بل كانوا قلقين بشأن موطئ أقدامهم وسط الزحام، فكانت تومض في أذهانهم طوال رحلتهم عبارات من قبيل لا تنزلق على الدرج، لا تفقد حذاءك، لم يكن هناك تفسير لهذا، ولا تعليق على الصورة، وبالتأكيد كان من الصعب رؤية هذه الكتلة من الناس سعداء وهم يرتدون ملابسهم الغارقة في ألوان معاطف داكنة ورؤوسهم منحنية نحو الأسفل، وبالطبع من المنطقي رؤية بلدًا لا يمكن للناس أن يتنقلوا فيه صباحًا دون خوف من فقدان أحذيتهم كمجتمع غير سعيد.

تساءل تسوكورو عن مقدار الوقت الذي يقضيه الناس للذهاب إلى العمل كل يوم، وافترض أن متوسط التنقل للمرء قد يستغرق منه ساعة أو ساعة ونصف، بدا له ذلك صحيحًا. فإذا ما كنت عامل مكتب مثالي، تعمل في طوكيو، متزوج ولديك طفل أو اثنان، وتريد امتلاك منزلًا، فإن الخيار الوحيد لديك أن تعيش في الضواحي وتقضي الكثير من الوقت في الذهاب إلى العمل والعودة منه، وهذا يجعلك تقضي من ساعتين إلى ثلاث ساعات يوميا في تنقلات العمل، إذا كنت محظوظًا قد تتمكن من قراءة صحيفة أو كتاب جيب في القطار، وربما يمكنك الاستماع عبر جهاز iPod إلى سيمفونية هايدن أو درس محادثة إسباني، بعض الناس يغمضون أعينهم ويدخلون في مرحلة تفكر عميقة، ومع ذلك يبدو من الصعب أن ندعي أن هاتين الساعتين أو الثلاث ساعات وقتًا ممتعًا للمرء، بل إن هذه العملية تجعلنا نتساءل عن مقدار حياة المرء المسلوب نتيجة لهذه الحركة غير المجدية (في الأرجح) من النقطة (أ) إلى النقطة (ب)؟ وكم استنفدت من جهد الناس وأعمارهم؟

ولكن هذه لم تكن قضايا تقلق تسوكورو تازاكي موظف شركة السكك الحديدية ومصمم المحطات، إذ لم تكن تلك حياته، وكان يسير على مبدأ أن دع الناس يعيشون حياتهم الخاصة، وكل شخص حر فيما

يقرره بنفسه عن مدى سعادة أو تعاسة المجتمع، كان كل ما على تسوكورو التفكير به البحث عن الطريقة الأكثر أمانًا والأكثر فعالية للحفاظ على هذا التدفق البشري الهائل ومساعدتهم في تنقلاتهم، فبالنسبة لوظيفة كوظيفته لا يكون التأمل أمرًا مطلوبًا كونه يتطلب أفضل الممارسات المجربة والمُختبرة وهو لم يكن مفكرًا أو عالمًا اجتماعيًا، بل مجرد مهندس يعنى ببناء مكان ذلك التدفق البشري وتصميمه.

أحب تسوكورو تازاكي مشاهدة محطة شينجوكو الصغرى.

عندما ذهب إلى المحطة اشترى تذكرة منصة من الجهاز وانتقل إلى الطابق العلوي للمحطة بين المسارات 9 و10، وهو المكان الذي تتوقف فيه القطارات السريعة على خط تشو، والقطارات القاطعة لمسافات طويلة إلى أماكن مثل ماتسوموتو وكوفو، مقابلة مع منصة الركاب، كان عدد الركاب أقل بكثير، وعدد القطارات القادمة والمغادرة أقل، جلس على أحد المقاعد وراقب على مهل ما يحدث في المحطة.

يستمتع تسوكورو بزيارة محطات السكك الحديدية مثلما يستمتع الآخرين بالحضور للحفلات الموسيقية، ومشاهدة الأفلام، والرقص في الأندية، ومشاهدة الرياضة، و التسوق، فعندما يشعر بالخسارة، وعدم جدوى القيام بشيء، فإنه يتوجه إلى المحطة، وعندما يشعر بالقلق أو يكون بحاجة إلى التفكير تحمله قدميه من تلقاء نفسها إلى محطة، كان يجلس بهدوء على مقعد في رصيف المحطة، يحتسي القهوة التي اشتراها من أحد الأكشاك، ويتحقق من أوقات الوصول والمغادرة للقطارات من خلال جدول الجيب الزمني الذي يحمله دائمًا في حقيبته، يمكن أن يقضي ساعات جالسًا في محطة منغمسًا في تأمل تلك الجوانب، وعندما كان طالبًا جامعيًا اعتاد على فحص تصميم المحطات، وحركة الركاب، وموظفي المحطة، ثم يكتب ملاحظات تفصيلية في دفتر ملاحظاته، لكنه تجاوز تلك المرحلة الآن.

يتباطأ القطار عند دنوه من الرصيف، تُفتح الأبواب ويترجل الركاب واحدًا تلو الآخر، تجعله مشاهدة هذا المشهد يشعر بالهدوء والرضا، يشعر بالفخر عندما تصل القطارات وتغادرفي موعدها المحدد حتى لو لم تكن تلك المحطة أحد المحطات التي ساعدت شركته في بنائها، يظل شعور فخر هادئ وبسيط ساكنًا فيه، بعد وصول القطار يجمع فريق التنظيف على متن القطار القمامةَ وإعادة توجيه المقاعد الدوارة إلى الأمام بدقة، بخفة يصعد على متن القطار طاقم عمل آخر مرتديين قبعات وزي رسمي ويقومون بمراجعة القوائم، يستبدلون علامة الوجهة، ورقم القطار، في تناغم سلس وبكفاءة عالية ودون مواجهة أية عقبات، وهذا هو عالم تسوكورو تازاكي.

فعل الشيء نفسه في محطة هلسنكي المركزية، إذ حصل على جدول مواعيد القطار، وجلس على مقعد يشرب القهوة الساخنة من فنجان ورقي- يشاهد القطارات تصل وتغادر. فحص وجهاتهم على الخريطة، وتأكد من نقطة انطلاقهم، لاحظ الركاب وهم يغادرون القطارات، شاهد الآخرين يندفعون نحو منصاتهم لركوب المزيد من القطارات، تتبع تحركات موظفي المحطة وأطقم القطارات، وكالعادة، هدّأه فعل هذا الأمر، مر الوقت بسلاسة متجانسة، وبخلاف عدم قدرته على فهم إعلانات السلطة الفلسطينية، لم يكن الأمر مختلفًا عن الوجود في محطة شينجوكو، إذ إن بروتوكول تشغيل محطة السكك الحديدية يتشابه إلى حد كبير في كل أنحاء العالم، حيث تعتمد العملية بأكملها على الاحتراف الدقيق والمهارة، وقد ولد هذا استجابة طبيعية لديه، وشعور داخلي يخبره أنه كان في المكان الصحيح.

كان آخر المغادرين من المكتب يوم الثلاثاء، إذ استمر عمله حتى الثامنة مساءً، ولم يكن العمل الذي أخره عاجلاً لتلك الدرجة، لكن فكرة أنه سيقابل سارة مساء الأربعاء جعلته ينهي أية مهام قد تتبقى.

قرر أن يتوقف عند تلك الأثناء، أغلق جهاز الكمبيوتر الخاص به، ووضع الأقراص والمستندات المهمة في الدرج، وأطفئ الضوء، ثم غادر من خلال المدخل الخلفي للشركة، وقال ليلة سعيدة لحارس الأمن الذي يعرفه بالنظر.

"أرجو لك ليلة سعيدة يا سيدي". قال الحارس له.

فكر في تناول العشاء في مكان ما لكنه لم يكن جائعًا، لم يكن يرغب بأن يعود للمنزل، لذا توجه إلى محطة شينجوكو، وفي ذلك المساء أيضًا اشترى القهوة من أحد الأكشاك، كانت ليلة صيفية نموذجية في طوكيو، وكان ظهره مغطى بالعرق، لكنه لا يزال يفضل القهوة السوداء الساخنة، وبخارها المتصاعد عن أن يتناول مشروبًا باردًا، لقد كان الأمر مجرد عادة.

كما هو الحال دائمًا، في رصيف المحطة رقم 9 كان آخر قطار لتلك الليلة المتجه إلى ماتسوموتو يستعد للمغادرة، مشى الطاقم على طول القطار، متحققين بأعين مجتهدة من أن كل شيء على ما يرام، لم يكن القطار أنيقًا تمامًا مثل قطار شينكاشين الرصاصي، لكن تسوكورو كان يحب القطارات الواضحة التي لا معنى لها، موديلات E257 المألوفة، يتجه القطار إلى شوجيري على طول خط تشو، ثم يسير على خط شينونوي إلى ماتسوموتو، ويصل إلى ماتسوموتو قبل منتصف الليل بخمس دقائق، حتى مدينة هاتشويجي لا يزال مسار القطار في منطقة سكانية وكان عليه الحد من صوت الضوضاء، ولكن بعد ذلك يبدأ بالانطلاق عبر الجبال، ويمر بالعديد من المنحنيات، التي تمنعه من أن يمضي بأقصى سرعة له، وبالنسبة لمسار القطار، فإن الرحلة تستغرق وقتًا طويلاً.

كان لا يزال هناك بعض الوقت قبل أن يفتح القطار أبوابه للصعود، إلا أن الركاب اشتروا على عجل بعض صناديق وجبات العشاء، والوجبات الخفيفة وعلب البيرة والمجلات من الأكشاك، وكان بعضهم

مستغرقًا في عوالمهم الصغيرة وهم مرتدين سماعات **iPod** البيضاء، يحمل بعضهم هواتفهم الذكية، يتبادلون الرسائل النصية من خلالها، ويجري الآخرون مكالمات هاتفية بأصوات عالية تطغى على أصوات الإعلانات. رصد تسوكورو زوجين شابين، يجلسان معًا على أحد المقاعد، ويتبادلان بعض الأسرار، طفلان توأم بأعين نعسة في سن الخامسة أو السادسة، يجرهما والديهما بأيديهما ويسيرون باتجاه تسوكورو وهما ممسكين بجهازي ألعاب. رصد أيضًا شابين أجنبيين يحملان حقائب ظهر ثقيلة، امرأة شابة تسحب حقيبة تشيلو، وامرأة مذهلة عابرة، كان الجميع على وشك أن يستقلوا قطارًا ليليًا متجهين إلى وجهة بعيدة، كان تسوكورو يحسدهم، ففي الأقل كان لديهم مكانًا يتجهون إليه.

لم يكن لدى تسوكورو تازاكي أي مكان يحتاج الذهاب إليه.

أدرك أنه لم يذهب أبدًا إلى ماتسوموتو أو كوفو أو شوجيري من قبل، ولا حتى إلى أقرب بلدة لهاشيوجي، فلقد شاهد قطارات لا تعد ولا تحصى تغادر هذا الرصيف ذاهبة إلى ماتسوموتو، لكنه لم يفكر أبدا من قبل أنه يمكنه أن يستقل إحداها، لم يفكر أبدا في ذلك! تساءل في نفسه، لماذا لم أفعل ذلك من قبل؟.

تخيل نفسه صاعدًا ذلك القطار ومتجهًا إلى ماتسوموتو، لم يكن الأمر مستحيلًا تمامًا، ولم تبدو فكرةً سيئة، فلقد قرر فجأة أن يذهب إلى فنلندا، فما الذي يمنعه من أن يذهب إلى ماتسوموتو؟ بدأ يتساءل "أي نوع من المدن هي يا ترى؟ وما نوع الحياة التي يعيشها الناس هناك؟" لكنه هز رأسه وقطع هذه الأفكار، ففي صباح الغد سيكون من المستحيل عليه أن يعود إلى طوكيو في وقت بدء عمله، ولقد كان يعلم هذا الأمر دون أن يحتاج مراجعة الجدول الزمني لرحلات القطار، كما أنه سيقابل سارة مساء الغد، وهو يوم مهم جدًا له، ولن يفسده بالذهاب إلى ماتسوموتو لمجرد نزوة.

شرب ما تبقى من قهوته الفاترة وألقى بكوب الورق في صندوق قمامة قريب.

لم يكن لدى تسوكورو تازاكي أي مكان للذهاب إليه، كان هذا الأمر يمثل اختصار قصة حياته، إذ لا يوجد لديه مكان للذهاب إليه، ولا مكان يعود إليه، فقد كان المكان الوحيد بالنسبة له هو المكان الذي كان فيه الآن- المحطة.

وجد نفسه يفكر قائلًا "لا، هذا ليس صحيحًا تمامًا".

في مرحلة ما من حياته، كان لديه مكان يشعر أنه يحتاج للذهاب إليه، ففي المدرسة الثانوية كان قلبه متعلقا بحلم الذهاب إلى كلية الهندسة في طوكيو والتخصص في تصميم محطات السكك الحديدية، كان ذلك هو المكان الذي يحتاج الذهاب إليه، وقد درس بجد ليتأكد من أنه يمكنه الوصول لحلمه، فلقد حذره مستشاره الأكاديمي من أن درجاته الحالية لا تمنحه سوى 20% من فرص الالتحاق بتلك الكلية، لكنه بذل قصارى جهده وتغلب بطريقة ما على تلك العقبة، لم يكن يدرس ليتنافس مع الآخرين للحصول على درجات أعلى، ولكنه كان يملك هدفًا وضع قلبه وروحه فيه، ولقد بذل لأجله جهدًا لم يكن يتخيل أنه قد يبذله يومًا، وكانت التجربة اكتشافًا جديدًا لقدراته الخاصة بالنسبة له.

نتيجة لذلك، غادر تسوكورو ناغويا ليعيش بمفرده في طوكيو، وفي طوكيو كان يتوق للعودة إلى مسقط رأسه في كل وقت ممكن، حتى وإن كان لوقت قصير فقط، وذلك ليرى أصدقائه، في تلك المرحلة، كانت ناغويا هي المكان الذي يشعر أنه يحتاج أن يعود إليه، فقد ظل يتنقل ذهابًا وإيابًا بين مكانين مختلفين لأكثر من عام، ولكن بعد ذلك دون سابق إنذار انكسرت تلك الدورة.

بعد ذلك، لم يعد لديه مكان يذهب إليه، أو مكانًا ليعود إليه، كان منزله لا يزال في ناغويا، والدته وأخته لا تزالان تعيشان هناك، وغرفته ما زالت كما تركها، أخته الكبرى ما زالت تعيش في المدينة أيضًا، في

كل سنة كان يزورها مرة أو مرتين وكان دائمًا يُستقبل بحرارة، ولكن لم يكن لديه شيء ليتحدثه مع والدته أو أخته، ولم تعد تربطه بهم أية مشاعر وحنين، كانوا يريدون منه شخصه القديم، وهو الشخص الذي تركه ولم يعد بحاجة إليه، ولإحياء هذا الشخص لعائلته، استلزم منه الأمر أن يلعب دورًا غير مريح، أضحت شوارع ناغويا في ناظريه كئيبة، لم يكن يملك شيء يريده، ولا شيء يمنحه شيئًا من دفء.

في تلك الأثناء، كانت طوكيو تمثل له المكان الوحيد الذي انتهى به الأمر ليعيش فيه، كانت المكان الذي قد التحق فيه بالجامعة، والمكان الذي يعمل فيه، مهنيًّا كانت المكان الذي ينتمي إليه، ولكن ما عدا ذلك لم تكن تعني له شيئا، في طوكيو، عاش حياة هادئة، كاللاجئ في أرض أجنبية، لا يخالف أي قانون، ولا يتسبب بأية متاعب، يتوخى الحذر أكثر من أي وقت مضى حتى لا يُلغى تصريح إقامته، عاش هناك كما لو كان لاجئًا في حياته، وكانت طوكيو هي المكان المثالي لشخص يسعى للحصول على حياة مجهولة.

لم يكن لديه أي صديق مقرب، دخلت بعض الصديقات حياته لكنهن لم يبقين طويلاً. كانت علاقات سلمية تتفكك بشكل ودي، ولم تدخل واحدة منهن قلبه، لم يكن يبحث عن هذا النوع من العلاقات، وفي الأرجح أن النساء اللاتي خرجن معه لم يرغبن في ذلك أيضًا، فكانوا متعادلين.

"يبدو الأمر وكأن حياتي توقفت في سن العشرين" قال لنفسه مفكرًا وهو جالس على مقاعد محطة شينجوكو، الأيام التي تلت ذلك كانت بدون لون وطعم، مرت السنوات بهدوء مثل نسيم لطيف، لم تترك أي ندوب ولا حزن ولا تثير أية مشاعر قوية ولا تترك أي سعادة أو ذكريات تستحق الذكر، والآن أصبح موشكًا على أن يلج منتصف العمر، لا، ما زال أمامه بضع سنوات قبل ذلك ولكنه لم يعد شابًا.

بمعنى ما، كانت إري لاجئة في الحياة أيضًا، فهي تحمل بداخلها الكثير من الندوب العاطفية التي أدت بها إلى ترك كل شيء وراءها والتخلي عن بلدها، لقد اختارت عالمًا جديدًا في فنلندا، والآن لديها زوج وابنتان، إضافة إلى أنها غمرت نفسها تمامًا في عملها في صناعة الفخار، كان لديها كوخ صيفي بجانب البحيرة، وكلب صغير الحجم، تعلمت الفنلندية، وبدأت تبني عالمها الصغير بثبات، وهذا ما يجعل تسوكورو يرى أنها مختلفة عنه.

ألقى نظرة على ساعة هوير في معصمه الأيسر، كانت تشير إلى الثامنة والخمسين دقيقة، بدأ الركاب بالصعود إلى القطار، واحدًا تلو الآخر، سحب الناس أمتعتهم ووضعوها في أماكنها، انغمسوا في مقاعدهم، وضعوا حقائبهم في الرفوف العلوية، استقروا في المقطورات المكيفة، وبدؤوا يحتسون المشروبات الباردة.

كان يراهم من خلال نوافذ القطار، ورث ساعته من والده، كانت واحدة من الأشياء القليلة القيمة التي تلقاها، كان تحفة فنية جميلة تعود لأوائل عام **1960**، إذا لم تُلبس لثلاثة أيام، ستتوقف عقاربها، أمر مزعج لكن تسوكورو أحبه، كان جهاز ميكانيكي بحت، قطعة صنعت ببراعة، لا تحوي كوارتز أو رقاقة داخلية، كل عملها يدار بالتروس والزنبرك، ظلت تعمل بشكل مستمر دون توقف لنصف قرن وحتى الآن، وقد كانت دقيقة بشكل مدهش.

طوال حياته، لم يشترِ تسوكورو ساعة لنفسه أبدًا، عندما كان صغيرا، أعطاه شخص ما ساعة رخيصة واستخدمها دون كثير تفكير، فطالما أنها تخبر بالوقت، لم يهتم بجودة ما يرتديه، كانت تلك مشاعره تجاه الساعات، ساعة كاسيو رقمية بسيطة تفي بالغرض، وبالتالي عندما توفي والده، وحصل على ساعة اليد الباهظة الثمن تذكارًا، لم تثر أية مشاعر خاصة لديه، كان عليه أن يرتديها بانتظام لئلا تتوقف، ولكن بمجرد أن اعتاد عليها، وجد أنه كان مولعًا بالساعات، وجد نفسه يتحقق

من الوقت أكثر من السابق، وفي كل مرة كان يفعل ذلك، يظهر أمامه طيف والده.

والحق يقال، إنه لا يتذكر والده جيدًا، كما أنه لا يحتفظ بذكريات دافئة عنه، فهو لا يتذكر أنه ذهب لأي مكان مع والده منذ أن كان طفلًا وحتى بعد أن كبر، أو حتى لا يتذكر أنه حظي بأي حديث ودي معه أو قد تشاركا هما الاثنان شيئًا كهذا، فقد كان والده شخصًا غير اجتماعي (في الأقل، كان نادرًا ما يتحدث في المنزل)، وإلى جانب ذلك، أبقاه عمله مشغولاً لدرجة أنه نادراً ما يتواجد مع عائلته، والآن وجد تسوكورو أنه يفكر أن والده ربما كان يتودد إلى عشيقة في مكان ما.

كان تسوكورو يشعر أنه لا يشبه والده الحقيقي و لا يعرفه أكثر من معرفته لأحد أقربائه الذين اعتاد على زيارتهم كثيرًا، فبشكل أساسي نشأ تسوكورو على يد والدته وشقيقتيه الأكبر منه، لم يكن يعرف شيئًا عن الحياة التي عاشها والده وعن أفكاره وقيمه وما الذي كان يفعله يوميًا، ما عرفه أن والده وُلد في جيفو، وأنه فقد كلا والديه حين كان لا يزال فتىً، ثم أخذه عم أبيه الذي كان كاهنًا بوذيًا، وبعد أن تخرج في المدرسة الثانوية بدأ شركة من الصفر، وحقق نجاحًا هائلًا في ذلك، وفي نهاية المطاف أسفر ذاك النجاح عن ثروة ضخمة، وعلى عكس معظم الأشخاص الذين كافحوا في الحياة، فقد فضل أن لا يعيش تحت وطأة التجارب التي مر بها، أو ربما لم يرغب في تخفيف الأوقات الصعبة، وعلى أي حال، كان من الواضح أن والده لديه فكر استثنائي للعمل التجاري، إضافة إلى موهبة الحصول على ما يحتاج إليه أينما رغب، والتخلي عن كل ما لا يحتاج إليه، وكانت أخته الكبرى قد ورثت -جزئيًا- شيئًا من موهبة العمل هذه من والدها، في حين أن شقيقته الصغرى ورثت جزًا من حب الانخراط المجتمعي الذي تتمتع به والدته، إلا أن تسوكورو لم يحظَ بأي من هاتين الصفتين.

كان والده يدخن أكثر من خمسين سيجارة في اليوم، مما سبب له بأن يتوفى بسرطان الرئة، عندما ذهب تسوكورو لزيارته في المستشفى في ناغويا، لم يكن قادرًا على الحديث، بدا أنه يريد أن يخبر تسوكورو شيء ما، لكنه لم يستطع التحدث، وبعد شهر من ذلك توفي في سريره في المستشفى وترك له الشقة المكونة من غرفة نوم واحدة في جيوغوكا، وحساب مصرفي بمبلغ لا بأس به باسمه، وساعة هوير اليدوية هذه.

ليس هذا فقط بل كان هناك شيء آخر تركه له والده، اسمه- تسوكورو تازاكي.

عندما أعلن تسوكورو عن رغبته في الدراسة في كلية الهندسة في طوكيو، شعر والده بخيبة أمل شديدة كون ابنه الوحيد لن يكمل مسيرته في تولي أعمال العقارات التي عمل بجد لبنائها، لكنه مع ذلك ساند تسوكورو ودعمه في تحقيق حلمه ليصبح مهندسًا، فقال له "إذا كان هذا هو ما تريده، فاذهب إلى تلك الكلية في طوكيو، وسأكون سعيدًا بأن أدفع لك تكاليف دراستك فيها، فتعلم مهارة فنية وبناء أشياء حقيقية أمر جيد ويساهم في بناء المجتمع، ادرس بجد، وابنِ قدر ما تشاء من المحطات". في ذلك الحين بدا والده مسروراً من أن الاسم الذي اختاره -تسوكورو- قد أثمر واتضح أنه كان مناسبًا جدًا له، ربما كانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي جعل فيها تسوكورو والده سعيدًا، وبالتأكيد كانت المرة الوحيدة التي رأى فيها والده سعيدًا بشكل واضح.

في تمام التاسعة مساءً، بدأ القطار المتجه إلى ماتسوموتو بمغادرة المحطة -كما كان مجدولًا له- كان تسوكورو يتتبع بعينيه أنواره وهي تتضاءل من مقعده في المحطة إلى أن اختفى عن ناظره وغاص في ظلام تلك الليلة الصيفية، في ذلك الحين شعر بأن كل ما حوله فارغ، بدا له أن أضواء المدينة تتلاشى تمامًا مثلما يحدث عندما تنتهي المسرحية

وتنطفئ الأنوار بعد آخر عرض، نهض من مقعده وشق طريقه ببطء نحو أسفل الدرج.

غادر محطة شينجوك، وذهب إلى مطعم قريب، جلس في المنضدة، وطلب قطعة لحم وسلطة البطاطس، بالكاد أنهى نصف طلبه، لا لكون الطعام سيئا فقد كان في أحد المطاعم المعروفة بلحومها اللذيذة، لكنه لم تكن لديه شهية للأكل، وكالعادة أنهى نصف الجعة.

ركب القطار وعاد المنزل، بمجرد وصوله استحمّ وغطى كامل جسده بالصابون، ارتدى رداء حمام بلون أخضر زيتوني (كان هدية من إحدى صديقاته في عيد ميلاده الثلاثين) وجلس على كرسي في الشرفة، كان نسيم الليل يرفرف عليه وهو يصغي إلى صوت المدينة الساكن، عقارب الساعة تنبئ أنها الحادية عشرة مساءً إلا أنه لم يكن متعباً.

تذكر تسوكورو تلك الأيام في الكلية عندما كان الموت جل ما يفكر فيه، لقد مر ستة عشر عامًا على ذلك، وفي ذلك الوقت، كان مقتنعًا أنه إذا ما ركز على ما يجري بداخله، فإن قلبه سيتوقف أخيرًا من تلقاء نفسه، وإذا ما ركز مشاعره بشكل مكثف على نقطة واحدة ثابتة -مثلما تُثبَّت العدسة على مكان معين في الورق فتشتعل فيها النيران- فإن قلبه سيتعرض لضربة قاتلة، كان يأمل في حدوث الأمر على هذا النحو أكثر من تمني حدوث أي شيء آخر، لكن الشهور مرت، على عكس توقعاته، دون أن يتوقف قلبه، ما جعله يدرك أن القلب ربما لا يتوقف بهذه السهولة.

سمع صوتًا بعيدًا لمروحية، بدأ الصوت يقترب ويزداد وضوحًا، نظر إلى السماء محاولًا أن يراها، شعر كأنها رسول يحمل خبرًا مهمًّا، لم يستطع التقاطها بعينيه، وبدأ صوتها يتلاشى ثم يختفي تمامًا إلى جهة الغرب تاركة وراءها همهمة المدينة الرقيقة وغموضها الليلي.

ربما في ذلك الوقت كانت شيرو تأمل في أن تفرق مجموعتهم، قفز إلى عقله هذا الاحتمال بشكل مفاجئ وهو جالسًا على كرسيه في الشرفة، ووجد أنه بدأ يملأ الفراغات بهذه الفرضية.

كانت مجموعتهم في المدرسة الثانوية قريبة جدًا ومحدودة، قبلَ بعضهم الآخر كما هم، وفهمَ بعضهم الآخر، ووجد كل واحد منهم رضىً عميقًا وسعادة في هذه العلاقة وفي تلك المجموعة الصغيرة، لكن النعيم لن يستمر إلى الأبد، ففي مرحلة ستضيع الجنة، سينضج كل منهم بشكل مختلف، وسيتخذون مسارات مختلفة في الحياة، ومع مرور الوقت، سيتطور بينهم إحساس من عدم الارتياح وسيشعرون أنه لا مفر منه، سينشئ ذلك الإحساس خطًّا متصدعًا دقيقًا بينهم، وسيكبر هذا الشعور شيئًا فشيئًا.

ربما لم تكن أعصاب شيرو قادرة على تحمل ضغوط ما سيحدث مستقبلًا، صدمة النهاية الحتمية لهذه المجموعة من الأصدقاء، ربما شعرت أنه يتعين عليها تفكيك تلك الروابط العاطفية للمجموعة بنفسها قبل أن تنهار وتختفي كشخص منفي ابتلعته دوامة سفينة غارقة.

الآن يمكن لتسوكورو أن يفهم هذا الشعور إلى حد ما، بدأ توتر المشاعر الجنسية المكبوتة يأخذ بداخله أهمية أكبر مما كان يتخيله، ربما كانت الأحلام الجنسية التي عاشها امتدادًا لهذا التوتر، وهذا التوتر كان لا بد من أن يكون له بعض التأثير على الأربعة الآخرين أيضًا وهو ما لم يكن لديه أي فكرة عنه.

كانت شيرو تريد الهروب من هذا الوضع، ربما لم تعد قادرة على تحمل هذا النوع من العلاقات، العلاقات الوثيقة التي تتطلب اهتمام مستمر بمشاعر الفرد، كانت شيرو بلا شك الشخصية الأكثر حساسية من بين الخمسة، لذا فقد تكون قد فكرت بهذا الأمر قبل الآخرين، لكنها لم تستطع أن تفر خارج تلك الدائرة بمفردها، لم تكن تملك القوة لفعل هذا، فقامت بتلبيس تسوكورو تهمة اغتصابها كونه الحلقة الأضعف

بينهم فأصبح أول عضو يخرج من المجموعة، بتعبيرٍ آخر، كانت ترى أنه يستحق العقاب، لذلك عندما اغتصبها شخص ما وحدثت تفاصيل ستظل محض أسرار أبدية -حول من فعل بها ذلك وماذا كانت الظروف وراء اغتصابها والحمل الذي نجم عنه- كانت تعيش في خضم بلبلة هستيرية ناجمة عن الصدمة تخلصت فيها من الحلقة الأضعف، مثلما يُنتزع حبل الطوارئ لإيقاف القطار.

بالنظر للأمر بهذه الطريقة، وُضِعت الكثيرة من النقط على حروفها، في ذلك الوقت، اتبعت شيرو غرائزها واختارت تسوكورو خطوةً انطلاق، وكان وسيلتها لتخرج خارج أسوار المجموعة، لا بد من أنه كان لديها ذات الشعور بأن تسوكورو -حتى لو وضع في هذا الموقف الفظيع- سيكون قادرًا على التعايش معه تمامًا كما توصلت إري إلى تلك النتيجة.

تسوكورو تازاكي دائما هادئ ورابط الجأش، ودائمًا ما يتجاوز الأمور بطريقته الخاصة.

نهض تسوكورو من كرسيه في الشرفة ودخل إلى شقته، تناول زجاجة شاي كيتي سارك من أحد الرفوف وسكب منها في كأس ثم عاد إلى الشرفة، جلس مرة أخرى، وضغط برهةً بأصابع يده اليمنى على صدغه.

فكر قائلاً- "لا، أنا لست هادئًا ورابط الجأش، ولا أتجاوز الأمور بطريقتي الخاصة، إنها مجرد مسألة توازن، أنا جيد في نقل الوزن الذي أحمله بداخلي من جانب لنقطة الارتكاز إلى جانب آخر وتوزيعه، ربما هذا يجعل لآخرين يظنون أنني هادئ، لكنها ليست عملية سهلة، إذ تستغرق وقتا أكثر مما يبدو، وحتى لو وجدت التوازن الصحيح، فإن هذا لا يقلل من الوزن الكلي جرامًا واحدًا".

ومع ذلك كان قادرا على مسامحة شيرو، أو يوزو، فقد حملت بداخلها جرحًا عميقًا ولم تكن سوى تحاول يائسة حماية نفسها، لقد

كانت شخصًا ضعيفًا، شخص يفتقر إلى الصلابة والقسوة الذين كانت تحيط نفسها بهما، كان ذلك جل ما كان بوسعها فعله لتعثر على ملجأ آمن عندما أحاطها الخطر، ولم تكن قادرة على التفكير بشأن الأساليب التي تتبعها، من يمكنه لومها على ذلك؟ لكن في النهاية -بغض النظر عن الشوط الذي قطعته-لم تستطع الهرب، وبقي الظل المظلم للعنف يتبعها بلا هوادة، فما تسميه إري روح شريرة، طرق بابها في ليلة هادئة باردة ماطر من ليالي مايو، وخنق حنجرتها الرقيقة الجميلة، في مكان ووقت عُيِّنا من قبل.

عاد تسوكورو إلى الداخل، رفع الهاتف، وبدون التفكير في ما كان يفعله، ضغط على رقم الوصول السريع لسارة، رن جرس الهاتف ثلاث مرات قبل أن يفكر في الأمر جيدًا ويغلق الهاتف، كان الوقت متأخرًا، كما أنه سيراها غدًا، سيراها ويتحدث معها شخصيا، كان يعلم أنه لا ينبغي له أن ينهي الأمر قبل أن يراها، ومع ذلك، أراد أن يسمع صوتها، الآن، وقد فجر ذلك الشعور بداخله رغبة لا يمكنه كبحها.

وضع التسجيل الخاص بلازار بيرمان لمعزوفة (سنواتُ حجٍ) على القرص الدوار وأخفض الإبرة، أصغى بإنصات إلى الموسيقى، عاد لمخيلته مشهد البحيرة في هامينلينا، ستارة الدانتيلا الأبيض يحركها النسيم، صوت القارب الصغير مربوط بالرصيف حين تهزه الأمواج، طيور الغابة وهي تعلم صغارها بصبر كيفية التغريد، رائحة شامبو الليمون الباقية على شعر إري، القوة الحياتية، رغبة البقاء على قيد الحياة، ليونة ثديي إري، البلغم الذي بصقه الرجل العجوز الذي دله على الطريق في الأعشاب الضارة، هز الكلب ذيله بحماس عندما قفز في الجزء الخلفي لسيارة الرينو، وحينما كان يتتبع ذكريات هذه المشاهد، عاد الألم الذي شعر به في صدره للظهور مرة أخرى.

شرب تسوكورو كيتي سارك وغرق في تذوق العطر القابع فيه، أحس بدفء يتسلل إلى معدته، فمنذ صيف عامه الثاني في الكلية وحتى

الشتاء الذي تلاه -عندما كان يفكر في الموت فقط- ظل يحتسي في الليالي الشبيهة بليلته هذه كأس ويسكي صغير، وكان لا يتمكن من النوم بدونه.

رن الهاتف فجأة، قام عن الأريكة ورفع الإبرة برفق، وقف أمام الهاتف، توقع أن يكون المتصل سارة، فلن يتصل به أحد في هذا الوقت من الليل غيرها، كانت ستعرف أنه اتصل بها وستعيد الاتصال، رن الهاتف عشرات المرات دون أن يجيب تسوكورو، كان غير متأكد فيما إذا كان عليه أن يرد، عض على شفته بشدة، حبس أنفاسه، وحدق باهتمام إلى الهاتف كشخص يقف بعيدًا محاولًا حل صيغة رياضية صعبة على السبورة، دون أن يتمكن من ذلك، توقف الهاتف عن الرنين، وتلا ذلك صمت عميق مثيرٌ للعواطف.

لملء الصمت، أعاد تسوكورو الإبرة إلى مكانها، عاد إلى الأريكة، وصغى منتبهًا إلى اللحن الموسيقي، هذه المرة حاول بكل جهده ألا يفكر في أي شيء على وجه الخصوص، أغلق عينيه وحاول تصفية عقله، ركز فقط على الموسيقى، وأخيرًا مأخوذًا اللحن بدأت تومض الصور خلف جفنيه واحدة تلو الأخرى، تظهر ثم تختفي على شكل سلسلة من الصور لا تحمل أي شكل ملموس أو معنى، فقط تأتي من هوامش الوعي المظلمة، وتعبر بلا حدود إلى العالم المرئي، ثم تعود إلى الجانب الآخر لتختفي مرة أخرى كالخطوط العريضة الغامضة للكائنات الحية الدقيقة السابحة في المجال الدائري لشريحة المجهر.

بعد خمس عشرة دقيقة رن الهاتف مرة أخرى، وهذه المرة لم يرد أيضًا، ظل جالسًا يستمع إلى الموسيقى ويحدق في الهاتف الأسود، لم يحسب عدد المرات التي رن فيها، ففي النهاية توقف عن الرنين وبقي صوت الموسيقى.

فكر "سارة، أريد أن أسمع صوتك، أريد أن أسمعه أكثر من أي شيء آخر، لكن الآن لا يمكنني الرد".

"غدًا قد تختار سارة ذلك الرجل الآخر، ولن تختارني"، فكر تسوكورو وهو مستلقٍ على الأريكة ومغمضًا عينيه "إنه أمر ممكن تمامًا، وقد يكون الخيار الصحيح لها".

أي نوع من الأشخاص كان ذلك الرجل الآخر؟ ما نوع العلاقة التي تربطهم؟ ومنذ متى تربطهم هذه العلاقة؟ كانت تلك أسئلة لا يملك تسوكورو أية وسيلة لمعرفة إجاباتها ولا يريد أن يعرفها أيضًا، كان يفكر بشيء واحد فقط حول هذه النقطة، لقد كان لهذا الرجل القليل جدًا مما يمكنه أن يقدمه لها، أمر محدود في كميته وقيمته العينية ومحتويات لا تكاد تذكر، فهل يريد أي شخص حقًا أن يأخذ هذا القليل؟

"قالت سارة إنها تكنُّ لي الكثير من المشاعر" لم يكن لديه أي شك في ذلك، ولكن هناك أشياء لا حصر لها في العالم لا يكفيها شعور كهذا فقط، فالحياة طويلة وقاسية أحيانًا، في بعض الأحيان نجد أنه هناك حاجة للضحايا، شخص ما عليه تولي هذا الدور، في المقابل نجد أن الأجسام البشرية هشة وسهلة التضرر، بمجرد قطعها ستنزف بلا توقف.

"إذا لم تخترني سارة غداً، فقد أموت، أموت واقعيًّا أو مجازيًا فلا فرق بين الاثنين غير أن هذه المرة سألفظ أنفاسي الأخيرة بالتأكيد، سيفقد تسوكورو تازاكي عديم اللون كل ارتباط لوني وسيخرج بهدوء من هذا العالم، سيبطل كل شيء، ولن يبقى سوى كتلة صلبة ومتجمدة من الأوساخ".

"لا يهم الأمر فقد حدث الشيء نفسه تقريبًا عدة مرات من قبل، ولن يكون غريباً إذا ما حدث مرة أخرى، فهو مجرد ظاهرة جسدية لا أكثر، سيثبت الزنبرك في ساعتي أكثر، سيزداد عزم الدوران فيها ويقترب من الصفر حتى تتوقف التروس تمامًا، ستتوقف عقاربها، ويحل الصمت بدلًا عن كل شيء، أليس هذا ما سيحدث؟".

انزلق إلى السرير قبل تغيير تاريخ اليوم بقليل، أطفأ مصباح السرير، وفكر ما أجمل ما سيكون لو رأى سارة في حلمه، حلم مثير، أو لا بأس إن لم يكن كذلك، يكفي ألا يكون حلمًا حزينًا جدًا، وإن كان حلمًا يمكنه فيه أن يلمس جسدها سيكون جل ما يرجوه، فهو فقط مجرد حلم.

كان يتوق لها أكثر مما يمكن أن تصفه الكلمات، شعر ما أروع أن تكون قادرًا على أن ترغبَ شخصًا بهذا القدر، كان شعوره حقيقيًا جدا، متمكنًا منه، لم يشعر بشيء كهذا منذ مدة طويلة، بل لم يشعر بشيء كهذا من قبل قط، في الحقيقة لم يكن كل شيء رائعًا، فالأمر مؤلمٌ بعض الشيء، وجد صعوبة في التنفس، شعر بخوف ما، بشيء من تذبذب، إلا أن هذا النوع من الألم أصبح جزءًا مهمًا مما يشعر به الآن، لن يترك هذا الشعور ينزلق منه، فإن فقده فقد لا يحدث له هذا الدفء مرة أخرى أبدًا، وإذا ما كان عليه أن يخسرها، فإنه سيخسر نفسه حقا.

"تسوكورو إنك تحتاج إلى أن تتمسك بها، بغض النظر عما فعلت، فإن سمحت لها بالرحيل الآن، قد لا تحظى بأي شخص آخر مثلها في حياتك".

كانت إري محقة، بغض النظر عن كل شيء، عليه أن يبقي سارة معه، لكن هذا ليس أمرًا يقرره بمفرده، إنه قرار مشترك بين شخصين، بين قلب وآخر، شيء ما يُعطى، وآخرٌ يُقبل، كل شيء معلق على ناصية الغد "إذا اختارتني سارة غدًا وقبلتني، سأعرض الزواج عليها على الفور، وسأمنحها كل شيء أقدر عليه، كل شيء حرفيا، قبل أن أفقدها وأجدني هائمًا على وجهي في غابة مظلمة، متلبسًا بالجان".

"لا يضيع كل شيء مع تدفق الوقت، فلقد آمنا بشدة بشيء ما في ذلك الوقت، وعرفنا أننا من الأشخاص القادرين على الإيمان به، بكل قلوبنا، وهذا النوع من الأمل لن يتلاشى أبداً" هذا ما كان على تسوكورو

أن يقوله لإري حينما ودعا بعضهما الآخر على ضفاف البحيرة في فنلندا، إلا أنه حينها فقد القدرة على رصف أي كلمات.

هدّأ نفسه، أغمض عينيه ونام، بدأ الضوء الخلفي لوعيه بالتلاشي شيئًا فشيئًا، مثل مشهد مضي آخر قطار ليلي حين يتسارع ويصغر تدريجياً حتى يغوص في أعماق ظلمة الليل ويختفي، كل ما تبقى صوت الريح منزلقًا على أغصان أشجار البتولا البيضاء.